ديوان ابن خاتمة الأنصاري

(أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري الأندلسي)

ورسالة : الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعاذل

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله

حققه وشرحه وقدم له

الدكتور

محمد رضوان الداية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان
ابن خاتمة الأنصاري

ديوان

ابن خاتمة الأنصاري

(أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري الأندلسي)

ورسالة: الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعاذل

حققه وشرحه وقدم له

الدكتور محمد رضوان الداية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الكتاب ٩٦٧
الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م

سورية - **دمشق** - برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد - ص.ب (٩٦٢)
برقيا: فكر - س.ت ٢٧٥٤ هاتف ٢٣٩٧١٧، ٢١١١٦٦ - تلكس FKR 411745 Sy

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

١ ـ عصر الشاعر :

هدأت الأحوالُ السياسية هدوءاً نسبياً ، في مملكة غرناطة ، في القرن الثامن ، بالقياس إلى الاضطراب والفوضى وحال التقهقر وسقوط المدن والممالك والحصون في أثناء القرن السابع . فقد استبد بنو نصر المعرفون ببني الأحمر بشؤون الدولة الإسلامية المتبقيّة لهم من الأندلس ، وضبطوا شؤونها . وبعد سلسلة متلاحقة من التنازلات للجانب الآخر من جانبي الصراع ، شعروا بضرورة الوقوف صامدين أمام ذلك المدّ الخارجي ، وأن يُحسنوا الدفاع عن الباقي إن لم يستطيعوا استعادة ما فقدوه بأنفسهم ، وما فقده مَنْ سبقهم من بني هُود وبني مَرْدَنِيش وأواخر أمراء الْمُوحِّدين المستضعفين .

ويُخَيَّل إلى الناظر في تاريخ القرنِ الثامن الهجري أن الأندلس تستردُّ عهد قوة وتمكُّن ، وتُعيد إلى الحياة ذكريات قديمة من بعض أيام القوّة والسيادة ؛ سواء في ذلك ما يتصل بالشؤون العسكرية والإداريَّة والسياسيّة أو ما يتصل بالشؤون الحضارية عامة ، والشؤون الفكرية والفنيّة والمعاشيّة خاصّة .

وهكذا نشطت الحركة العسكرية بالتعاون بين الأندلس والمغرب ، وتوجهوا نحو تحالف الدويلات الشّماليّة بما صانَ الحدود وحمى البلاد . وكثرت العمائر الفخمة من قصور ومساجدَ وقناطر ومدارس ، وركن الناس إلى شيءٍ من الاطمئنان وإن كان مشوباً دائماً بالحذر من عدو خارجي أو فتنة داخليّة[1] .

---

(١) للتوسّع في تاريخ هذه الفترة يرجع إلى : =

وفي هـذا القرن ظهَر نشـاطٌ أدبيٌّ واسـعٌ تنـاول جـانبي الشعر والنثر ، وظهر أعـلامٌ كبـار في غرنـاطـة ، ورُنْـدَة ، والْمَرِيَّـة ، وبَسْطَـة ، ووادي آشْ ، وغيرهـا : أسهموا في الفنونِ الأدبيّـة نظماً وتأليفاً ومشاركة ، وأضافوا إلى تراث أجدادهم شيئاً طريفاً يدل على حيويّـة الأنـدلسيين ونصاعـة بيانهم كما يدل من جهة أُخرى ، مهمّة ، على أنَّ أَلَقَ العبـارةِ وجودة الصّيـاغة والتَّمكُّنَ من نـاصيـةِ اللغة ومتابعة الفحول من أعلام الأدبِ العربيِّ ، كل ذلك استمر بارزاً في ذلك الصقع البعيـد ؛ وبرز شعراء وكتّاب لهذا القرن ، وفي القرن الذي تلاهُ أيضاً ؛ لم يَلِنْ شعرهم ، ولم تسقـط عبـارتهم . ولعل استمرار ذلك القطر على نمط من العُروبة فريد مكَّنهم من تلك النصاعة ، والمقدرة ، والبراعة .

= ١ ـ الإحاطة في تاريخ غرناطة ، تأليف لسان الدين بن الخطيب ، (نشر مكتبـة الخـانجي بـالقـاهرة ، تحقيق الأستـاذ محمد عبد الله عنان ، أربعة أجزاء) ، وكان ظهر جزآن من الكتاب في مطبعة الموسوعات بالقاهرة .

٢ ـ اللمحة البـدريـة في الـدَّولـة النَّصريـة ، للسـان الـدين ، صححـه ووضع فهـارسـه محب الـدين الخطيب ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .

٣ ـ كناسة الدكان بعد انتقال السكان للسان الدين . مطبوعات وزارة الثقـافة ، القـاهرة ١٩٦٦ ، تحقيق د . محمـد كمال شبانة .

٤ ـ نفاضة الجِراب في علالة الاغتراب ، للسان الدين ، القاهرة بلا تاريخ ، تحقيق د . أحمد مختار العبّادي .

٥ ـ أعمال الأعلام للسان الدين ، تحقيق ل . بروفنسال ، طبع بيروت (دار المكشوف) .

٦ ـ الكتيبة الكامنة للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٦ م .

٧ ـ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، تحقيق الأستـاذ محمـد بن تـاويت الطنجي ، لجنة التـأليف والترجمـة والنشر ، القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

٨ ـ رقم الحلل في نظم الدول للسان الدين ، طبع تونس ١٣١٦ هـ .

٩ ـ نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الأحمر ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، طبع دار الثقافة ببيروت ١٩٦٥ (وانظر الدراسة المطولة الملحقة بالكتاب) .

١٠ ـ نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه لابن الأحمر (مؤسسة الرسالة الطبعة الثانيـة) .

١١ ـ الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى للناصري السلاوي ـ الدار البيضاء بالمغرب ١٩٥٤ .

١٢ ـ نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، محمد عبد الله عنان ، مطبعة مصر ، ١٩٤٩ .

هذا ؛ بالإضافة إلى التّواريخ العامـة ، كتـاريخ ابن خلـدون ، ونفح الطيب للمقري ، الأدب العربي (جـ ٦) للـدكتور عمر فروخ وغيرها .

في هذا القرن (الثامن) نجد أسماء لامعة متألقة ، بعضهم أسعفهم الحظُّ وأعانهم السعد ، فبقي من تراثهم ديوان شعر أو مجموع تَرَسُّل ، أو كتاب مفرد ؛ وبعضهم كان دون ذلك فعرفنا شيئاً من أخبارهم وشيئاً من شعر أو نثر ، وهنالك فئة ثالثة درست آثارهم فلم يبق مما يتصل بهم شيء يُفصح أو يُبين .

ومن رجال الفئة الأولى الشيخ الرئيس أبو الحسن بن الْجَيَّاب كاتب الدولة النصرية ووزيرها ، ومنهم الوزير الخطير ذوالمقام الرفيع لسان الدين بن الْخَطيب ، ومنهم الرَّحّالة الحاج القاضي خالد بن عيسى البَلوي ، ومنهم الشاعر الكاتب الوزير ابن زَمْرَك ، الذي يزيّن شعره قصر الحمراء في غرناطة بني نَصر . ومن هؤلاء صاحب الديوان الذي نقدمه ، الأديب ، الشاعر ، الكاتب ، العالم ، المصنّف ، المتفنّن ، أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري ، الأندلسي ، المريني ، من أهل مدينة الْمَرِيّة ، إحدى مشاهير البلاد في مملكة غرناطة .

٢ ـ موطنه :

والْمَرِيَّةُ[١] هي إحدى المدن الرئيسية في دولة غرناطة ، وهي مدينة عربيَّة أُنشئت سنة ٣٤٤ أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن الناصر . وقد جعلها المسلمون مرأى ومرقباً وبنوا فيها المحارس لتجنب أيِّ هجوم بحري طارئ .

وتقع (الْمَرِيَّةُ) على الشاطئ الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة إيبرْيَة ، وهي مرسى مهمّ من مراسي البحر المتوسط ، كانت تقصدها مراكب التُّجار من الإسكندرية والشام ، وسواها . ووادي الْمَرِيَّةِ مريع ؛ ونقل المقّري في نفح الطيب أنه أربعون ميلاً في مثلها ، كلها بساتين بهجة ، وجنات نضرة ، وأنهار مطردة وطيور مغردة .

وقد توالى عليها الولاة والمستبدون بأمرها ، وبنيت فيها الحصون والقلاع ، واشتهرت بعدد

(١) راجع (الْمَرِيَّة) في الروض المعطار للحميري : ١٨٣ ـ ١٨٤ ، ومعجم البلدان لياقوت : ١١٨ ـ ١١٩ ، ونفح الطيب للمقرّي : ١٦٢ ، والْمُغرب في حلي المغرب لابن سعيد : ١٩٣/٢ ـ ٢٠٨ ، ومشاهدات لسان الدين (مجموعة من رسائله) تحقيق د . أحمد مختار العبّادي ٤٣ ـ ٤٤

من الصَّنائع العامة ، وأخذت مكانة خاصة مع خيران العامري استمرت مع عهد المرابطين (الملثّمين) ؛ ولما ضاقت على المسلمين بلادهم باحتلال معظمها ، ازدادت مكانة هذه المدينة وأهميّتها .

و (الْمَرِيَّةُ)[1] في تقسيمات ابن سعيد في (الْمُغرب) هي إحدى قواعد مَوْسطة الأندلس الستّ ، ومِنْ أعمالها أَنْدَرَش وغيرها .

وذكر لسان الدين بن الخطيب في كتابه (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) ما يرجع إلى مملكة غرناطة من الأقاليم والأقطار لزمانه ، فقال : إنه يرجع إليها ثلاثة وثلاثون إقليماً منها إقليم أرش اليَمن وفيه مدينة المرية ، ووصفها لسان الدين ، معاصر ابن خاتمة وصاحبه ، بأنَّها « معقل الإسلام ذات القصبة الشهيرة والجباية الغزيرة .. وأنه يرجع إليها عدد كثير من الحصون في شرقيها وغربيها .. » .

٣ ـ التعريف بابن خاتمة :

والشاعر هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتِمَة ، الأنصاري ، الأندلسي أبو جعفر . وهذه السلسلة مثبتة بخط الشاعر نفسه في إجازة منحها لأحد تلاميذه على غلاف كتاب : (رائق التَّحلية)[1] . وهو في مقدمة الديوان لم يتجاوز جدَّ والده الْمُسَمَّى باسمه . وتتفق كتب التراجم على هذا النسق ، غير أن صاحب النفح ينقل في نسبة أخي الشاعر محَّدٍ أنه محمد بن علي بن محمد بن علي بن يحيى ؛ وكلمة (يحيى) مصحفة عن محمد .

---

(١) قالوا في النسبة إلى مدينة المرية ، المريي ، واستثقلوها فقالوا : المريني ، بإضافة النون الشائع إضافتها في كثير من النسب ، وممن استعمل صيغة (المريني) ابن سعيد في كتاب المغرب . وليس هناك علاقة بين المريني (نسبة إلى المرية) وبني مرين حكام المغرب في هذه المدة .

(١) انظر ترجمة ابن خاتمة في : الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب : ١١٤/١ ـ ١٢٩ ، والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة لابن الخطيب ٢٣٩ ـ ٢٤٥ ، والإكليل الزَّاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر لابن الخطيب : ٢٢٣ . (وهو ملحق برسائل لسان الدين في كتابه : ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، من مخطوطة في دار الكتب المصرية) . ونثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان للأمير ابن الأحمر . تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية : ٣٢١ . ونثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان ، طبع بتحقيق محمد رضوان الداية في مؤسسة الرسالة . =

وابن خاتمة مشهور في عصره بفنون الثقافة المختلفة : شاعر وكاتب ، ومترسل ، وفقيه ، ومصنف ، وزاهد . أثنى عليه معاصره وصاحبه وصديقه لسان الدين بن الخطيب ، وترجم له في مواضع مختلفة من مؤلفاته ، فهو ذكره مطوّلاً في كتابه (الإحاطة في أخبار غرناطة) وفي (الكتيبة الكامنة) وفي (الإكليل الزّاهر) . وترجم له من معاصريهِ الأمير أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر في كتابيه الاثنين : (نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان) ، و (نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان) . وانتقى من شعره ونثره .

وترجم له ابن القاضي في كتابه (درّة الحجال) ، وترجم له أحمد بابا في نيل الابتهاج ونقل عن الحضرمي في فهرسته ، ولابن خاتمة ذكر طويل كثير عند المقري في نفح الطيب وأزهار الرياض ، وقد اختار من شعره ونثره ، ونقل من كتب لابن خاتمة كان يملكها في مكتبته ، وترجم له ترجمة سريعة ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ، ومحمد بن محمد مخلوف في شجرة النور الزكية .

وهذه التّراجم قدّمت لنا مادة واسعة سنفيد منها في رسم معالم شخصية الشاعر وبيان مشيخته وتلاميذه ومؤلفاته وأخباره ، وسنعتمد على آثاره نفسها لجلاء بعض الأُمور ، في محاولة لإعطاء صورة دالة ولمحة كافية .

٤ ـ مشيخته ، وتلامذته ، ومكانته :

سَمّى لسان الدين بن الخطيب في أحاديثه عن ابن خاتمة شيوخه البارزين الذين تلقّى عليهم علومه وأجازوه ؛ فمنهم أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المرّي ، وإبراهيم بن محمد أبي العاص التّنوخي ، والمحدّث الرحالة محمد بن جابر بن حسان الوادي آشي ، والشيخ الفقيه محمد بن محمد أبو البركات ابن الحاج البَلّفيقي السُّلمي ، والشيخ الخطيب عبد الرحمن بن محمد بن شعيب ،

= ودرة الحجال في غرة أسماء الرجال لأحمد بن محمد المعروف بابن القاضي : ٤٠/١ ، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا الشهير بالتنبكتي : ٧٢ ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، مخطوطة بدار الكتب المصرية : ٥٠٢/١١ ـ ٥٠٣ ، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (في مواضع متفرقة) ، وكتابه الآخر أزهار الرياض في أخبار عياض (مواضع متفرقة) .

وذكره إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين : ١١٣/١ ، ومحمد بن محمد مخلوف في شجرة النور الزكية : ٢٢٩

والشيخ أبو جعفر بن فَركون ، والوزير الحاج الزاهد محمد بن محمد بن سهل بن مالك . وحفظت لنا كتب التراجم بعض أخبار شيوخ ابن خاتمة ، فهم في عصرهم من الطبقة الجيدة من أهل العلم وأرباب الفضل وولاة الأمر من كتاب ووزراء .

واستمر في تحصيله على هؤلاء ، وعلى غيرهم أيضاً ، بما كفل له أن يصبح ذا مركز مرموق وثقافة ناضجة ، وبما هيأه لأن يقعد للإقراء في مسجد مدينة الْمَريّة .

وقد تتلمذ عليه عدد كبير من طلاب العلم والمعرفة ، منهم : علي بن لسان الدين بن الخطيب (نفح الطيب : ٣٤٠/٢ ، و ٢٧/٢) وأبو جعفر بن زَرقالة (مقدمة مُصنّفه : رائق التحلية) وأخو الشاعر المسمى محمد بن خاتمة (النفح : ٢٣٠/٦ ـ ٢٣١ ، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني : ٢٠٠/٤ ـ ٢٠١ ، والإحاطة ـ النسخة المخطوطة الجزء الأول ـ الورقة ٥٤/ب) .

ووصف الحضرمي مجلس ابن خاتمة وطريقته فقال : « تصدَّر للإقراء بالجامع الأعظم بالْمَرِيَّة وعقد مجلساً للجمهور ، وقيَّد الكثير ، وصنّف ؛ طَبّاً للأمور ، حسن الإلقاء ، طلق الوجه ، بارّاً بإخوانه وأصحابه » . وكان إقراؤه يتناول فنون الأدب واللغة المختلفة ، ففي ترجمة الشاعر الأندلسي ابن الحدّاد الوادي آشي في نفح الطيب نقل من الإحاطة قصيدته :

أَقْبلْنَ في الْحَبَراتِ يَقْصُرْنَ الْخُطا ويُرِيْنَ في حُلَلِ الوَرَاشِيْنَ القَطا

وقال : وهي طويلة ، وكتب عليها ابن مؤلف الإحاطة : سمعتها من شيخي أبي جعفر بن خاتمة بالمريّة في سنة خمس وستين وسبع مئة ، قاله علي بن الخطيب » . (النفح : ٢٧/٢) . وقال ابن الأحمر في صدر ترجمته له : « إنه كان يُقرئ العربية ، وسائر العلوم بها » ، وهذه عبارة كافية للدلالة على غزارة علمه ، وشمولها ، وعلى مقدرته وتمكُّنه .

وعرف له أهل بلده مكانته وقدروا علمه ، فكان يقوم بعقد الشروط ، وكتب عن الولاة ببلده ، وكان يفد إلى العاصمة غرناطة بين الحين والآخر في زيارة رسمية ، كما نقول اليوم ـ باستدعاء من قصر الحمراء ـ أو زيارة شخصية يزور فيها عالماً أو صديقاً أو وزيراً ، أو غير ذلك . وفي رسائله المتبقية ما يدل على حسن صلته بالطبقة العالية في المملكة النّصرية كلسان الدين بن الخطيب ، وأبي البركات ابن الحاجّ البَلّفيقي ، وأبي عبد الله بن شُعيب والي قصبة المرية ، وأبي القاسم بن رضوان .

وقد وفد على غرناطة ، مثلاً ، في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة عند إعذار الأمراء في الدولة اليوسفيّة (أي في ظل حكم السلطان يوسف بن الأحمر ٧٣٣ ـ ٧٥٥) . ومثّل هذه الدعوات تقليد قديم في الأسرة النصريّة يحتفلون له ، ويدعون علماء البلاد ووجوهها وشعراءها من أقطارهم المختلفة[١] .

٥ ـ آثاره :

١ ـ اختار الذين ترجموا لابن خاتمة نماذج متفرقة من شعره ، وأشاروا إلى ديوان من شعره الذي كان مرغوباً فيه في زمانه ، فهو جمع شعره في ديوان صنعه بنفسه وكتبه بخط يده سنة ٧٣٨ بناء على رغبة نفر من أصحابه وأصدقائه (مقدمة الديوان الورقة ٢/ظ) .

وفي (فائق التورية) الذي صَنَّفه ابن زَرقالة أن رئيس الكتّاب أبا القاسم عبد الله بن رضوان طلب من صديقه ابن خاتمة ديوان شعره ، وكان بينهما في ذلك مطارحة شعرية (القطعة ٢٨ من الكتاب المسمى : رائق التحلية في فائق التورية) وقد وصل إلينا ديوان ابن خاتمة بخط يده[٢] ، وهي النسخة التي صنعها سنة ٧٣٨ ، ووصلت نسخة أخرى مغربية وسنتحدث عنها فيما بعد .

٢ ـ ومن مؤلفاته : تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد ، تحدث فيه عن الطّاعون الجارف الذي اجتاح العالم القديم سنة ٧٤٩ . ونعرف له نسخة واحدة (لدي عنها نسخة مصورة) .

٣ ـ ومنها كتابه الكبير : مَزِيَّةُ الْمَرِيَّة على غيرها من البلادِ الأندلسيَّة ، ذكره غير واحد ممن ترجموا لابن خاتمة ، ونقل منه المقرّي في نفح الطيب وأزهار الرياض نقولاً كثيرة ، وقال إنه كانت لديه منه نسخة بالمغرب . والكتاب مفقود . ومن النُّقول عنه نستطيع أن نعرف منهجه ومقصده فهو على شاكلة المؤلفات في تواريخ المدن ، من حديث عن موقع المدينة وتاريخها وحضارتها ورجالها والطارئين عليها ، وذكر شعرائها وكتابها . وكتاب الإحاطة لمعاصره لسان الدين نموذجٌ حيٌّ لهذه المصنَّفات الكبيرة في الأندلس .

(١) نلمح شيئاً من هذا في ثنايا كتاب أبي البقاء الرُّندي ، شاعر القرن السابع الأندلسي ، المسمى : الوافي في نظم القوافي . (ص ٤١ مثلاً) ، مخطوطة ، بمكتبة أحمد تيمور ، رقم ٦٠٣ أدب .

(٢) احتفظت مكتبة الاسكوريال في إسبانيا بديوان ابن خاتمة ، وصورته الجامعة العربية (معهد المخطوطات) في جملة ماانتقاه أستاذنا الدكتور عبد العزيز الأهواني ، رحمه الله ، لذلك المعهد .

٤ ـ ومنها جزء سمّاه : إلحاق العقل بالحس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ، وكذا نقل أحمد بابا في نيل الابتهاج عن الحضرمي في فهرسته ، ولا أعرف أحداً ذكره غيره ، وهو مفقود .

٥ ـ وجمع تلميذ الشاعر أبو جعفر أحمد بن علي بن زَرقالُه ما يتصل بالتورية من شعر أستاذه ابن خاتمة ، ومعظم ما في الكتاب مما لم يرد في الديوان . وهو نقل عن شيخه مناسبات تلك المقطوعات وملابساتها ، والنُّسخة فريدة على جانب من الأهمية ، لأنها بخط أحد أصدقاء المصنِّف ، وعليها إجازة من ابن خاتمة لأحد تلامذته ، والنُّسخة مما وقع في نوبة أمير المسلمين أبي عنان المريني المغربي مَلِكِ دولة بني مَرِيْن بالمغرب الأقصى ، وهو توفي سنة ٧٥٩ . ونحن نعلم أنه كان مثقَّفاً[١] ، وجمّاعة للكتب ، ومحبّاً للعلماء ، ومقرباً للشعراء[٢] .

٦ ـ ونشر المستشرق الفرنسي (ج. كولان) في (مجلة هسبيريس) كتاباً مختصراً لمؤلف مجهول ، انتقى مادّته من كتاب (إيراد اللآل من إنشاد الضّوال) الذي ألفه أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري . والكتاب الموجود ، المُنتقى من كتاب ابن خاتمة ، هو من الكتب التي اهتمت بظاهرة (لحن العامة) وهو نص صغير نسبيّاً ، فقد شغل ما بين ٨ ـ ٣٢ من صفحات المجلة .

وذكر ج . كولان في مقدمة نشرة الكتاب أن ابن هشام اللخمي ـ نزيل سبتة ـ كان ألّف كتابه في (لحن العامة) ـ وهو كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ـ . ثم جاء بعده محمد بن هانئ اللخمي السَّبتي (المتوفى سنة ٧٣٣) فوضع كتابه (إنشاد الضوال وإرشاد السُّؤّال) فرتب كتاب ابن هشام وعلّق عليه .

ثم وضَع الأديب الأندلسي أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري كتاب : إيراد اللآل من إنشاد الضَّوال . قال المرحوم الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في مقدمة (الجمانة في إزالة الرَّطانة) : إن كتاب ابن خاتمة هذا « يعدّ كالاستدراك على كتاب ابن هاني السَّبتي »[٣] .

---

(١) راجع مثلاً خبر عناية السُّلطان أبي عنان بشعر ابن خميس التلمساني المقتول سنة ٧٠٨ في أزهار الرياض للمقري : ٣١٦/٢

(٢) وقد حققت كتاب (رائق التحلية) ونشرته في دمشق .

(٣) الجمانة في إزالة الرطانة ـ لمؤلف مجهول ـ حقّقه الأستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهّاب ـ طبع القاهرة ١٩٥٣ ـ راجع صفحة (ط) من المقدمة .

وجـاء أخيراً ، وفي المنزلـة الرابعـة من هـذه السلسلـة ، مـؤلف مجهـول فـانتقى من كتـاب ابن خاتمة ذلك الجزء الذي نشره كولان G. S. Colin[1] .

ولا يقع اسم أبي جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري الأنـدلسي في القرن الثـامن على غير شاعرنا ذاته . فهو إذن ألّف كتاباً في موضوع (لحن العامّة) ، فُقِـد فيما فقـد من مؤلفـات ، غير أن مُنتقى منه ، صنعه بعض اللغويين أو النحويين المجهولي الاسم ، وصل إلينا . وهو الجزء الذي نشرهُ المستشرق المذكور . ولم ينسب أحد ممن ترجم لابن خاتمة ـ في مصادري التي رجعت إليهـا ـ كتـاباً بهذا الاسم[2] .

ويلفت نظر الباحث أن كولان ، وتابَعَهُ محقق الْجُمانة ، جعل ولادة ابن خـاتمـة سنـة ٧٢٣ ، وتاريخ مولده بهذا الزمن يلفت النظر ، مما جعل بروكلمان في تـاريخـه يضع إشـارة استفهـام بعـد هذا التاريخ (724?) ؛ وهو يذكر أن ابن خاتمة صنع ديوانه سنة ٧٣٨ .

٧ ـ رسالة : الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعازل ، نشرها أول مرة سوليداد جيبرت ، ونعيد نشرها في آخر الديوان .

٦ ـ حياته ووفاته :

لانعرف تاريخاً محدّداً لولادة ابن خاتمة[3] . أما وفـاتـه فقـد ءكر صـاحب نيل الابتهـاج أنهـا

(١) Hespéris. Année 1931. Tome XII.

(٢) أعـاد الـدكتـور إبراهيم السـامرائي نشر هـذا الكتيِّب في (نصـوص ودراسـات عربيـة وإفريقيـة) ، اعتماداً على نشرة ج . كولان ، مع تعليقات وشروح جديدة . وجعله لابن خاتمة مباشرة ، لا أنه منتقى من كتابه . ومقدمة الـديبـاجـة فيه : « ومن إيراد اللآل من إنشاد الضوالّ لابن خاتمة الأنصاري رحمه الله ، اختصر فيـه كتـاب إنشـاد الضوال وإرشـال السؤّال ... لابن هاني السَّبتي ... » . انظر (نصوص ودراسات ..) : ٢٠٩ ـ ٢٣٣

(٣) ذكر المستشرق Gayengos في كتابه :
The history of the Mohammedan Dynasties in Spain (I. 358-359).
أن ولادة ابن خاتمة كانت سنة ٧٢٤ . وذكر هـنا ـ ولعلـه نقلـه من جـاينجوس ـ كولان في مجلة Hespéris في العـدد الثاني عشر حين قدَّم لكتاب إيراد اللآل من إنشاد الضوّال .
وأثبت بروكلمان في تاريخه هذا الرقم مستغرباً ، في : (Gal - II, 259) .
والأكثر غرابة ماذكره Pons Boigues من أن ابن خاتمة ولد سنة ٧٣٤ . انظر :
Pons Boigues: Ensayo Bio-Bibliografico sobre los Historiadores Y Geograficos
= Arabigo-Espanoles (Madrid 1898).

كانت في تاسع شعبان سنة سبعين وسبع مئة . وحين ترجم لسان الدين بن الخطيب له في الإحاطة قال إنه كان حيّاً وقت تأليف كتابه والترجمة له في ثاني عشر شعبان سنة سبعين ؛ ونقل في نيل الابتهاج أنه عاش ستين سنة .

قلت : أما سنة وفاته فهي سنة ٧٧٠ ، وربما كان تاسع شعبان منا رقماً صحيحاً ، ويكون خبر وفاة ابن خاتمة تأخر وروده على لسان الدين .

وأما أنه عاش ستين عاماً فهذا كلام تحته نظر ؛ ففي مسالك الأبصار ينقل ابن فضل الله العمري عن أبي عبد الله العقيلي السري « أنه فارقه سنة ٧٤٠ بقيد الحياة ، زعم أنه فارقه وقد أسنَّ » . وكرّر سنة أربعين وسبع مئة كتابة لا رقماً مرَّةً أُخرى ، ولا يُقال هذا الوصف لمن كان ابن ثلاثين . ولَمّا ترجم لسان الدين له في الكتيبة الكامنة دلَّ على وفاته بالترحُّم عليه ، وهو أَلَّف الكتيبة سنة ٧٧٤ كما استظهر الدكتور إحسان عباس في مقدمة تحقيقه .

ويظهرُ لي أنَّ كلمة (ستين) من عبارة نيل الابتهاج مصحفة عن (سبعين) ، ومع هذا فإن احتمال وفاة ابن خاتمة عن أكثر من سبعين عاماً يظل احتمالاً مقبولاً .

وقد تمتَّع ابن خاتمة بمزايا الأديب ، العالم ، الفاضل ، وتحلَّى بكثير من المزايا ، فكان « قويَّ الذِّهنِ كثير الاجتهاد ، جيِّد القريحة ، بارع الخطِّ ، مُمتع المجالسة ، حسَن الْخُلق » ، وكما قال لسان الدين : هو حسنة من حسنات الأندلس ، وطبقة في النظم والنثر . وفي ديوان ابن خاتمة خطّاً ونظماً ما يدلُّ على صدق عبارة صاحبه فيه .

٧ ـ الديوان :

وديوان ابن خاتمة وحده من بين دواوين شعراء عصره وصل إلينا كاملاً كما خطّه بيده . وهو في طبقة عالية من النظم والبراعة ، والرغبة في مجاراة الشُّعراء الكبار .

وقسم الشاعر ديوانه إلى أقسام :

الأوَّل في المدح والثناء .

= واعتماد جاينجوس كان على المقّري في (نفح الطيب) خصوصاً ، ولم أعثر على شيء من هذا في (نفح الطيب) ولا في (أزهار الرِّياض) .

والثاني في النّسيب والغزل .
والثالث في الْمُلَحِ والفكاهات .
والرابع في الموشّحات والأزجال .
ولم يُسَمّ الخامس قسماً ، بل جعل (نبذة) يختم بها الكتاب ، كما قال .

والذي يلفت النَّظر حَقّاً أنّ قسم المديح لم يتضمّن مدح شخصيَّة مّا من شخصيات العصر ، لا أمراء الدولة النَّصرية ولا وزرائها ؛ ولكن الشاعر اشتغل بثناء الله تعالى على نعمائِهِ والاعتراف بفضله ، والدَّعوة إلى طاعته ، والتفكُّر بآلائه وحُسن صنيعهِ في خَلْق السَّموات والأرْضِ .

وغزله رقيق المعاني ، رشيق العبارة ، يدلُّ على قدرة الشاعر وموهبته ، وتمكُّنه من الصنعة . وما في القِسمَيْن الثالث والرّابع هو أقلُّ محتويات الديوان ، ولعلَّ الشاعر وجدهما من طراز خاص من الشعر الذي كان شائعاً ، وكانت مناسباته مواتية ، فقال في ذلك شعراً ، ولكنه حَصَرهُ في حيِّز محدود . وأكثر شعره في قسم الْمُلح والفكاهات : مقطّعات قصيرة تتناول موضوعات متفرّقة ، ويشيع فيها تناول عدد من الفنون البديعيَّة التي كانت لها سوق رائجة .

وشعر قسم الوصايا والحكم قريب من حيث الشكل من القسم السَّابق إلا أنَّ موضوعاته خاصَّة ، ففيها يجلو ابن خاتمة عن وجه العالم ، الزاهد ، الفقيه ، ويميل إلى الاستفادة من الأفكار الإسلاميَّة العامة ممَّا يحثُّ على الطَّاعات ، وحسن المعاملة ، ومكارم الأخلاق ، وربَّما نظم مدلولات أمثال شائعة أو عبارات لبعض أعلام الإسلام . وهذا يرتبط بامتناعه عن المديح المألوف في الشعر وعن التوجُّه إلى أشخاصٍ ذوي مكانة دنيوِيَّة بغية العطاء أو النّوال . وقد عرفنا في شيوخه بعض العلماء والزُّهّاد والخطباء والوعّاظ . وقد أطنب الذين تحدَّثوا عنه في وصف مآثره من ورع ، وتُقى وحُسْنِ عشرة ، وترفع عما يخوض فيه كثير من المتأدّبين . ونحن - على كل حال - غير بعيدين في هذا العصر عن نزعة واضحة إلى التصوُّف ، واعتزال مشاغل الدُّنيا ، عند نفر غير قليل من علماء الأندلس ورجالاتها .

والقسم الأخير من الديوان يضم تسعة عشر موشَّحاً ، لم يسبق نشرها ، ولا تحدّث عنها أحدٌ مِمَّن ترجموا لابن خاتمة ، ولا أثبتوا نُقولاً منها . وهي موشحات فائقة من حيث صياغتها ، ورقّتها ، وجمالها ؛ وهي تدلُّ على شيئين :

أحدهما :

علوُّ كعب ابن خاتمة في فن التوشيح ، وبراعته في أنواع المنظوم لذلك العهد من قصيد مُطَوَّل ، ومقطعات ذاتِ أغراضٍ محدودة ، وموشح يرتكز إلى أبرز خصائص الموشّحات بعد مرحلة النُّضج والاكتمال : لطافة المعاني ، ورقة العبارة ، والسلاسة ، والموسيقيَّة ، وعذوبة الكلمة المُنتقاة ؛ ولا شكَّ في أنَّها ستكون مادة خصبة لدارسي الموشَّحات . وقد كانت بعض الخرجات من هذه الموشَّحات موضوع حديث أستاذنا الدكتور عبد العزيز الأهواني في مقدمة كتابه (الزَّجل في الأندلس) .

وثاني الأمرين :

أن هذه الظاهرة في ديوان ابن خاتمة تستحق النظر والبحث في تاريخ هذا الفن الأندلسي الخالص : فن التوشيح ، لهذا القرن الثامن ؛ فإن شيوع هذا الفنّ في استعمال الأدباء يستدعي التدقيق من جديد ، وتحليل ظاهرة العودة إلى التَّوشيح ـ ولو على النطاق الأدبي المحض ـ ففي هذا العصر نجد لسان الدين الخطيب ، وابن خاتِمَة الأنصاري ، وابن زَمْرَك ، وغيرهم مِمَّن ضربوا في هذا الفن بسهم ، وتركوا موشّحات كثيرة ، تستحق الدّراسة ، والعَرْضَ على مادَّةِ تاريخ فن التوشيح في الأندلس ، وتاريخ الأدب الأندلسي عامّة .

٨ ـ نسخ الديوان ، والعمل في تحقيقه :

لدينا من الديوان نسختان اثنتان :

١) الأولى نسخة فائقة ، بخط الشّاعر ، مؤرخة « في أُخريات سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة » وهي محفوظة في مكتبة الإسكوريال تحت رقم ٣٨١ ، في ٦١ ورقة . وفي الصفحة ١٦ سطراً في المتوسط ، والخطُّ أندلسي جميل ، مضبوط بالشَّكل الدقيق ، وقد سبق أنَّ ابن خاتِمَةَ وُصِفَ بجمال الخط ، والنسخة على العموم على غاية من الإحسان والإتقان .

وعلى هذه النُّسخة كان اعتمادنا في المتن ، وقابلت مافيها على النسخة الثانية في الحاشية الأولى من حواشي الديوان .

٢) والنُّسخة الثانية حديثة نسبيّاً ، مغربيّة ، وبخط مغربي أيضاً ، مما دَخل خزانة الرباط العامة ، وهي في مجموع أدبيّ ما بين صفحتي ٢٨٦ إلى ٣٩٧ . وفي الصفحة ١٧ سطراً في المتوسط .

وفرق مابين النُّسختين من حيث الجودة والرَّداءة فرق تام ، إذ أنَّ بينهما تبايناً تامّاً ، فهذه صحيحة والأخرى سقيمة ، وهذه واضحة الرسم بيِّنة الحروف والإعجام ، وتلك سقيمة الخط رديئة الإبانة .

والأصل الذي ترجع إليه نسخة الرباط هو النُّسخة الأولى أي نسخة المؤلف نفسها التي فرغ من تدوينها سنة ٧٣٨ ، لأنها لا تزيد بما فيها من شعر وتوشيح على ما في النسخة الأمّ ، ولا شك في أن ناسخ النسخة المغربية قد نقلها عن أصل أُخذ من ذلك الأصل الذي صنعه الشَّاعر .

وقد عرفنا اهتمام المغاربة بشعر الأندلسيين ، وانتقال شعر الشاعر في حياته إلى المغرب ، فتلك النسخة المغربيَّة السقيمة نقلت عن أصل متسلسل إلى تلك النسخة الأولى الأم . ويؤكد هذا أن الشَّاعر في نسختِه ربَّما بدَّل كلمة بين الحين والآخر ، وذلك بإضافة الكلمة المستعاض بها على الهامش أو فوق الكلمة المستعاض عنها وهو ممَّا تخلو منه النسخة المغربية . ولكن هناك مواقع يذكر فيها الشاعر كلمتين : إحداهما فوق الأخرى ويكتب في الهامش « معاً » . ونصادف مثل هذا في كلتا النُّسختين . أما الإضرابُ عن كلمة بغيرها فتكاد تنفرد به نسخة المؤلف ، التي نُرجِّحُ أنَّها ظلَّت في حوزته ينسخ عنها النُّساخ ، ويُغيِّر هو فيها بين الحين والآخر كلمة هنا أو هناك .

وعلى هوامش نسخة المؤلف عبارة تكررت عدداً من المرّات ، وهي « بلغت القراءة والسماع » بخط دقيق مغاير لخط المؤلف . فقد كان الشيخ يضع النسخة في يد تلميذ من تلامذته أو معجب أديب ، فيقرأ ذلك الْمُريد ويستمع الشيخ ، ويسجِّل المريد بعد كل مجلس عبارته « بلغت القراءة والسّماع » تحت بصر الشيخ وسمعه . ويؤكد هذا ما في الورقة ٦٠/ب من عبارة في آخر الكتاب ، على هامشه وهي : « بلغت القراءة والسّماع على منشئه ، أبقاه الله » .

أمّا ناسخ النسخة المغربيَّة فلم يذكر اسمه ، ولم يعين مكان النسخ أيضاً ، ولكنه ترك التاريخ وهو « يوم الأحد الخامس والعشرين من ربيع النبوي سنة أربع وتسعين وتسع مئة » . ولم تفدنا نسخة الرباط في كثير مما يتّصل بالتحقيق ، أو الضبط ، أو التَّغاير ، ولكن فائدتها تجلَّت في مواضع من نسخة المؤلف ، لم يتَّضح فيها الكلام لتآكل أطراف الصفحات ، في بعض المواضع ، شيئاً يسيراً جداً ، أو بسبب التصوير . وهي مواضع يسيرة ، أهمها في الورقات الأولى . ولهذا رجَّحت أن أُقابل النُّسختين ، وأُثبت تلك المقابلة ، إلا ما كان تصحيفاً واضحاً وخصوصاً ما يتصل بالإعجام والإهمال ، فهو في نسخة الرباط كثير وفاشٍ ، ولقد أثبتُّ تلك الاختلافات حفاظاً على أمانة

النَّقل ، عسى أن يجد الْمَراجع ما يفيد من بعض تلك الاختلافات ، وسأعرض عن ذكر نماذج لهذا الباب من الحديث ، اكتفاءً بما هو مثبت في الحواشي .

ولعلَّ الشّكَّ الذي يلقيه ناسخ المغربيَّة راجع إلى أنه نسخ النُّسخة عن الأصل الذي اعتمد عليه ؛ ثم أعاد قراءتها ـ دون ذلك الأصل لسبب مّا ـ فصار يخمّن أحياناً حيث كان سها هو في بعض المواطن ، فتجده يقول في الهامش : « ولعله كذا » وهو قليل . أو لعلَّ النسخة التي اعتمد عليها سقيمة ، غير أن هذا ، لو صحَّ ، لا يغيّر من رأينا فيه على كل حال .

وهكذا ، فقد اعتمدتُ أساساً على نسخة المؤلف ، وأشرت إلى الخلاف بينها وبين نسخة الرّباط في المواطن التي لا علاقة لها بالتصحيف والتحريف والسهو ، فإذا ما كان للنص مصدر ثالث أو أكثر نبهت إلى ذلك ، وقابلت النصوص .

وأضفت إلى المتن ، والحاشية الأولى التي فيها الفروق بين النسخ ، حاشية أخرى تليها تتضمن بعض الشُّروح اللغوية أو التعليقات التي أرى لها مناسبة ، أو الإحالات ذات الضَّرورة . ولم أُسرف في تلك الشروح أو التَّعليقات حتى لا يكون الشرح عبثاً أو إسهاباً في غير موضعه .

ولَمّا فرغت من الدّيوان جمعت ما تفرّق من شعر ابن خاتمة في المصادر التي تحدثت عنه أو نقلت من شعره ، مخطوطة كانت المصادر أم مطبوعة ، على قدر الجهد الْمُستطاع ، وبمثل ما هو مُبَيّنٌ في ثبت المصادر والمراجع . ورتّبت ما اجتمع لديَّ على حروف الْمُعجم ، ولَمّا لم يتوفّر للنص عندي أكثر من أصل واحد ، تركت العهدة فيه على ناقل النّص ، مع إشارتي في الهوامش والحواشي إلى مصادري على كل حال . وقد اجتمع لي من شعر ابن خاتمة ، بعد الديوان ، قدر صالح(١) .

أما كتاب الوزير الأديب أبي جعفر أحمد بن علي بن زرقالة المسمّى : رائق التحلية في فائق التورية ، فقد رأيت إفراده بنشرة خاصة على الرَّغم من أن ما فيه هو شعر خالص لابن خاتمة . غير أن المصنّف جمع الكتاب ورتَّبه ، وصاغه بعبارته ، وفق هدف معين ونظام خاص ، ومقدمة مبينة . وقد وجدت للمؤلف ترجمة وشعراً ، فأحببت أن أُطرفَ متتبع التراث الأندلسي بكتاب ابن زَرقاله كما صَنَّفَهُ مؤلفه ، وهو كتاب صغير ، لطيف الحجم ، طريف الموضوع .

---

(١) قال ابن خاتمة في مقدمة الديوان : إن بعض أصحابه طلب من شعره « جملة يسهل استظهارها ، ويجمل في منصّة المحاضرة استحضارها .. » فقد يكون ترك قدراً من شعره دون تدوين ، وإن كان بين أيدي الناس منه شيء ، وهو على كل حال قال الكثير من الشعر بعد جمعه ديوانه هذا ، ومن ههنا كثر لديّ ما جمعته في (مستدرك الديوان) .

٩ ـ شعر ابن خاتمة ، وأدبه :

بين يدي الديوان أضع بعض الملاحظات ، على شكل خطوط رئيسية سريعة عن شعر ابن خاتمة وموشحاته تكون كالمدخل لدراسته ، ولدراسة عصره . ولا شكَّ في أن الشعر الغني لهذا الشاعر ، وموشحاته الهامة ، وجوانب تراثه المختلفة تسمح للدارس بأن ينظر في كل ذلك ، ويخرج بنتائج جيِّدة .

١ ـ حافظَ ابن خاتمة في شعره على سلامة العبارة ، ودقة الاستعمال ، وكان يميل إلى الفصاحة والجزالة ؛ وهو في ذلك يتحرّى مجاراة الشعراء الكبار في شعرهم ، وفي بعض قصائدهم بخاصَّة ؛ ويتقيَّلُ آثارهم في النَّصاعة والفخامة . وكان معجباً بالفحول من الشعراء العباسيين والأندلسيين كالمتنبي ، وأبي تمام ، وابن خفاجة ، وربَّما أعجب بمن وراءَهم فسمَّط بعض الشعر المشهور أو نسج على منواله ، كما صنع في بعض شعر الشاب الظريف وابن الخيمي . ولكن هذا كله لم يحجب شخصية الشَّاعر ولم يتركه ظلاً أو تابعاً ، بل استطاع أن ينفذ من خلال ذلك الإعجاب إلى التَّعبير الشخصي عن مواقفه وآرائه وأن يكوّن لنفسه نهجاً واضحاً ، فتشعر وأنت تقرأ له شعره أنه يعبّر عن رأي ذاتي فيما يطرح من موضوع ، ويستعمل من أداة ، كوَّنها بنفسه ، ارتضاها وطاعت له . وكان يتحرى الفصاحة ، ويسعى لأن تكون العبارة رصينة متينة ، والكلمة منتقاة وفي موضعها من الاستعمال .

٢ ـ مال الشاعر إلى طريقة الشعر المُحدث ، على وجه العُموم ، مع احتفاظ العبارة بقدر عالٍ من الجزالة والفخامة . ولهذا تجد ابن خاتمة يسعى وراء الصورة ، ويطلبها ، ويحاول أن يأتي بالطريف الغريب ، وأن يخترع المعنى أو يولِّد من القديم مافيه روح الطّريف . وقد تبع هذا ، في صنعته ، اعتماده المقصود على بعض أنواع البديع التي أعانته على إسباغ الجرْس الموسيقي ، أو التزيين الصَّوتي أو اللوني ، من جناس ـ خصوصاً ـ أو طباق أو سوى ذلك . فهو سَعى ، من جهةٍ ، إلى مايُعجب الذِّهن ويسرُّ نفس القارئ ؛ ومن جهة أخرى إلى ما يملأ الفم ويطرب الأذن أو يقرعها في بعض الأحيان . ومن الأمثلة البارزة على هذا قصيدته في الورقة ٧/أ :

الأرْضُ بَيْنَ مُدَبَّجٍ ومُحَلَّلِ ... والرَّوْضُ بَيْنَ مُتَوَّجٍ ومُكَلَّلِ
والزَّهْرُ بَيْنَ مُوَرَّدٍ ومُوَرَّسٍ ... والنَّشْرُ بَيْنَ مُمَسَّكٍ ومُصَنْدَلِ

وربما بالغ الشاعر في الجِناس ، ولكن هذا لا يخرج لكي يصبح ظاهرة صارخة تلتصق بالشاعر وتميّزه .

٣ ـ ولا بدَّ لنا من الوقوف قليلاً عند فن (التورية) في مقطَّعات ابن خاتمة خصوصاً . فإنه لم يتّسع نطاق التورية لتشمل قصائده المطوَّلات ، فإنْ ورد فيها شيءٌ ، فبشكل عفويّ تقريباً . وقد كانت التورية فناً شائعاً في غرناطة ، في ذلك الوقت ، يتخذه الأدباء والمتأدبون تسلية ، ورياضة ذهن ، ويمتطيه الذين يقرزمون وينظمون للمُشاركة . ومن هذا الباب جمع تلميذ ابن خاتمة مااتَّصل بهذا الفن من مقطَّعات الشاعر ومن ثنايا قصائده ، في كتيّبه الصغير . وأكثر التَّورية في الديوان متجمهر في القسم المخصوص بالمُلح والفكاهات .

٤ ـ التفت ابن خاتمة إلى الطبيعة من حوله فأغراه جمالُها ، ووجد فيها مادّة خصبة ليصفها ولينفذ منها إلى تأمُّلاتهِ الفكرية الدينية ، ويتَّخذها دلالةً على آلاء اللهِ الباهرة . وقد امتزج وصف الطبيعة عنده بكثير من الموضوعات ، وصارت معطياتها مادة للشاعر يُعبِّر بها ويكثر من العودة إليها على منهج أستاذه في هذا الفن ابن خفاجة . فقد استفاد من طريقته مثلما استفاد منها معاصره ، وزعيم الطبقة التالية لطبقته : ابن زَمْرَك في روضيّاته . وفي (أزهار الرِّياض) للمقَّري قصائد كثيرة لابن زمرك تشهد لما نذهب إليه من رأي . وانظر في ديوان ابن خاتمة القصائد ١ ، ٣ ، ٥ على سبيل المثال .

وقد تبلور إعجاب الأندلسيين بالطبيعة ، والتزم نفرٌ كثير منهم بالتّردُّد إلى هذا الغَرض ، وإحلاله مكانة عالية منذ القرن الخامس ثم ابن خفاجة ؛ فكانوا من بعده يترسَّمون خُطاه في قَصْد الطبيعة ، والحديث عنها ، والاطمئنان إليها ، والاستفادة من العودة إليها أو إلى كثير من معطياتها في موضوعات عديدة ، بل ربَّما كانت الطبيعة مقدّمة للقصيدة ، وربَّما أكثر بعضهم من وَصفِها حتى صار مشهوراً بذلك ، وقد قَدَّمَ لسان الدين لبعض قصائد ابن خاتمة بقوله : « ومن روضيَّاته » ـ راجع الكتيبة الكامنة في ترجمته ـ . وأرى أن هناك سلسلة متلاحقة لم تنقطع حلقاتها بعد ابن خفاجة ، يدخل فيها الرُّصافي البلنسي ، وابن الزَّقاق ، وابن سهل الإشبيلي ، وابن خاتمة الأنصاري ، ولسان الدين بن الخطيب ، وابن زَمْرَك ؛ ولا شك في أن هناك طائفة أخرى من الشعراء تتم الحلقات ، وتزيد ذلك المَذهب الخفاجي وضوحاً .

٥ ـ كان ابن خاتمة بصيراً بأحوال الزهاد والمتصوفة ، وقد ظهر أثر معرفته ، وزهده ، وميله إلى التصوف في مواضع كثيرة في الديوان .

٦ ـ وموشحات ابن خاتمة التي احتفظ لنا بها ديوانه من أهم آثار الشّاعر الفنيَّة ، وهي

موشّحات راقية ، عالية المكانة ، على طراز فائق من الجودة . أسبغ عليها ابن خاتمة ألفاظاً عذبة ، شعرية ، منتقاة ، واختار لها أنغاماً سائغة ، رقيقة . وأودع فيها من المعاني كل جميل طريف أو مولَّد تليد في ثوب جديد .

في الديوان تسع عشرة موشحة لم تنشر من قبل . ونحن لانعجب من إغفال لسان الدين صاحبه من كتابه (جيش التوشيح) الذي اختار فيه من موشّحات السابقين الأوَّلين الأندلسيين . ذلك لأنه لم يختر لنفسه مع أنه لا يخلو مُؤَلِّف واحد له من أن يذكر فيه لنفسه نظماً أو نثراً . ولعلّ لسان الدين أراد أن يختار من نماذج السّالفين على سبيل الحفظ والتأريخ والتعريف .

وكثرة هذه الموشحات ، بالإضافة إلى موشحات معاصريه ، كلسان الدين بن الخطيب ، وابن زَمْرَك ، تدلّ على استعادة هذا الفنّ لشيء من قيمته السالفة بعد عصر من التقهقر أمام شيوع الزَّجل ـ وهو فنٌّ يعتمد على اللهجة العاميَّة الدارجة ـ ولكن هذا لا يعني استعادة مجد الموشح باعتباره فنّاً شعبيّاً كسالف عهده . وفي بعض الخرجات ، ما يدلُّ دلالة قاطعة على أنّ الشاعر بنى موشحته وأخذ لخرجته من بعض الأغاني الشعبية الدارجة .

٧ ـ شارك ابن خاتمة في غير الشعر التقليدي ، فأنشأ الموشَّح ، كما أسلفنا قبل ، وطرق بعض الفُنون الْمُحدثة كالدّوبيت . نقل ابن زرقاله في (رائق التحلية) ، وكذا لسان الدين في (السّحر والشعر) نموذجاً فريداً ، وهو قوله :

قـالَتْ : أَتُحِبُّـهُ على عـارِضِـهِ ... هـذا وحَيـاتِكُم جُنـونٌ عـارض
لم تَـدْرِ بـأنَّ رَوضَـةَ وَجْنتـه ... قلْ كَيف تَرى الرِّياض غِبَّ العـارض

ولم أقع له على غيرها .

٨ ـ تحدث لسان الدين بن الخطيب ، وغيره ، عن نثر ابن خاتمة ، وترسُّله وقال إنه كتب عن الولاة ببلده الْمَرِيَّة ، كما نقل بعض الرسائل الإخوانية . ولدينا من نثره ما يتصل ببعض تواليفه الموجودة مثل نتف مبثوثة من مَزِيَّةِ الْمَرِية ، ومثل كتابه (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) . ولا بدَّ من دراسة نثره في مجال آخر يتسع لدراسة (النثر الفني في الأندلس) .

٩ ـ وقد لاحظت في أثناء تحقيق الديوان وشرحه أن الشاعر رُبَّما استعمل بعض الكلمات في غير ما نعرف من الاستعمال ، أو جمعها جمعاً لم يرد في المعاجم التي بين أيدينا ، وما شابه ذلك من جوازات وضرورات فنبهت على ذلك في مواضعه ، ووضعت لهذه الألفاظ ، والاستعمالات الخاصة ، فهرساً في آخر الديوان يعود إليه من شاءَ أن يدرس الشاعر أو لغته . ولعلي أنتفع بمن يصوب شيئاً ممّا ارتأيت ، أو شيئاً مما وجد للشاّعر أو عنه من خبر أو أثر . وقد أَلِفَ قراء التراث الأندلسي مثل هذه الملاحظات لِما كان للأندلسيين من بعض الاستعمالات الخاصّة ، لعوامل محليّة أثّرت في لغتهم ، أو لأسباب أخرى .

وبعد :

فإني أدعو الله تعالى أن يكون عملي في خدمة هذه اللغة الشريفة ، والتراث الأندلسي ، خالصاً لوجهه . وأحمده وأستعينه ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .

دومة (دمشق) في شعبان ١٤١٤ هـ **د . محمد رضوان الداية**
كانون الثاني ١٩٩٤ م

من شعر كاتبه

أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة

لطف الله تعالى به

حققه وشرحه وقدم له

الدكتور محمد رضوان الداية

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

صلى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وسلّم

قال عبد الله الراجي رحمته

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري

لطف الله به

حَمـدُ الله ـ جلَّ جلالُـه ـ أجملُ مـا وشَّتـه غَوالي[1] الأنقـاسِ في خُـدودِ الأطْراس[2] . وثنـاؤه ـ تقَدَّستْ أسماؤه ـ أفضلُ ما جالَ بهِ لِسانٌ في فمٍ ، وقلمٌ في قِرْطـاس . فـالحمـدُ للهِ الـذي فَتق أصْدافَ ثُغورنا عن جَواهرِ تحميـدهِ ، ورَتَقَ أكْنـافَ صُدورِنـا من ذخـائر توحيـده ، على أنفس من مَجـال الأنفاس . وشَفع لنا بكمـالِ العَقْل جمـالَ الإحسـاس ؛ لِما آثرَنـا بمزيَّـةِ الفضلِ على كافَّـةِ الأجنـاسِ . وخَصَّنا باللِّسانِ الفَصيح ، والبَيان الرَّحب الفَسيح ، فَجُلْنا منها في أضْفى لِباس . وجَعل هذه اللُّغَةَ العربيَّةَ والنَّغمة الأدبيَّةَ خيرَ لُغة وأطيبَ نَغمـة . كما جعلنـا خَيْرَ أمَّـةٍ أُخرجت للنَّـاس . وآثَر الشِّعر بأنْ جَعلهُ ديوانَها الجامعَ ، وقِسْطاسَها الوازِع عن لُغَتها كلَّ إبْهام وإلْبـاس . وأجمِلْ بـه من ديوانٍ ، وأعدِلْ بهِ من قِسطاس .

وأكمـلُ الصَّلاةِ والتَّسليمِ على الرَّؤوفِ الرَّحيم ، ذي الخُلُق العَظيم ؛ نَبيِّ الْمَرْحمـةِ والْمَلْحمـةِ ، إمـامِ الجودِ والبـاس ؛ الْمَخْصوصِ من جَوامعِ الكلمِ ، وبَـدائع الحكمِ ، وطبـائِع الْمَجْـد والكَرمِ ، بمـا لا يُحْصَر بحدٍّ ولا يُحصى بقياس . وعن آلِ الرَّسولِ ، وصَحابته البَرَرة العُـدول ، أسنى رِضىً مَوْصُول ما ذكَر ذاكرٌ ونسيَ ناس .

---

(١) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وغيرهما ، ج غَوال . النِّقس : المِداد ج أنقاس .

(٢) الطِّرْس : الصَّحيفة . ج طُروس وأطراس .

وبعدُ ؛ فإنَّ بعضَ خُلَصائي ـ وهو مَن لا يَسَعُ ، لجميلِ وُدِّه ، غيرُ تكميلِ قَصْده ـ خَطب إليَّ من بُنَيَّاتِ فِكْري وأبياتِ شِعْري جُملةً يَسهلُ اسْتِظْهارُها ، ويَجْمُلُ في مِنَصَّة المحاضَرة استِحْضارُها ، تأخُذُ من الآدابِ بأطْوارِها وفُنونِها ، وتَشْتَمِلُ من المعاني على أبْكارِها وعُونِها[1] ، لتكونَ كُفءَ خُلوصِه ، وكِفاءَ تَمَيُّزِه بودِّي وخُصوصِه . فأحْجمتُ عن ذلك بَراءَةً لإنصافي ، ثمَّ ذكرتُ حقَّ الصَّديق الْمُصافي ، فأوْسعتُ مَطْلَبَه إسْعاداً وإسْعافاً ، وإنْ لم تَقعْ حيثُ أراد حُلىً وأوْصافاً . لكنَّها الْمُصادقةُ تُوجبُ الْمُوافقةَ ، والْمُلاطفةُ تَقتضي الْمُساعَفة .

وعندما كَمل إبدارُها وتمَّ اعتِيامُها[2] واختيارُها ، زَفَفْتُها إليه سادِلةً ثوبَ الحياء ، تُقَدِّمُ رجلاً وتؤَخرُ أُخرى منَ الاستِحْياء ، رَيحانةً من أدْواح ، ونَسمةً من أرْواح . وقد قسمتها أربعةَ أقسام ، قَصْدَ التَّنْشيطِ والإجْمام :

القسم الأول في الْمَدح والثناء .
القسم الثاني في النَّسيبِ والغَزَل .
القسم الثالث في الْمُلَحِ والفُكاهات .
القسم الرَّابع في الوَصايا والحِكَم .

وخَتمتها بنبذة من التَّوْشيح الذي له في مِضْمار الأدب المجالُ الفَسيح .

ومن اللهِ سُبْحانه نسألُ الإرشادَ إلى سُبُلِ الرَّشادِ ، والإمدادَ ، في رِضى ذوي الوِداد . ونُقَدِّمُ إليه تَعالى ـ من سوءِ أقوالِنا وأفعالِنا ـ الْمَعْذِرةَ ، هُوَ أهلُ التَّقوى وأهلُ الْمَغْفِرة .

---

(١) عُون : ج عَوان وهي ـ من النساء ـ التي كان لها زوج .
(٢) اعتام : اختار .

القسم الأول

في المدح والثناء

وما ينتظم في سلكه من التنبيه على مواقع الجود والنعماء

[١]

قال لَطَفَ اللهُ به : **[من الطويل]**

١ ترومُ رِضاهُمْ ثمَّ تأْتي الْمَناهِيا ... أحبٌّ وعِصيانٌ؟ لقد ظَلْتَ لاهيا
٢ تَكنَّيتَ عبداً ثمَّ أكنَنْتَ إمرةً ... أعبدٌ وأمرٌ؟ ما أخالك صاحيا!
٣ جمعتَ عيوبَ الرَّد كِبراً وكَبرةً ... وماذا يُساوي مَن تحلّى المساوِيا
٤ أما أبصرتْ عيناكَ للحقِّ مُرشداً ... أمَا سمعتْ أُذناكَ للهِ داعِيا
٥ أبعدَ مشيبٍ تَسْتَجِدُّ شَبيبةً ... وبعدَ هُدًى تبغي عَمىً أو تعامِيا
٦ لقد صاحَ داعي الرُّشْدِ لوْأنَّ سَامعاً ... ولاحَ صَباحُ الحقِّ لوأنَّ رائياً!
٧ وأشرق سِرُّ الْجُودِ لوأنَّ ذا حِجًى ... يُشاهِدُ نُوراً أو يُجيبُ مُنادِيا
٨ تسامَتْ لكَ الأكوان تُجْلَى عَرائِساً ... فلو كنتَ ذا عَيْنين كنتَ الْمُناجيا
٩ ونادتْ ألا كُفءٌ يُكافي وما أرى ... لها مِنْكَ كُفؤاً إنْ خَطبتَ مُكافيا
١٠ وإلاّ فما بالُ البَهارِ مُحدِّقاً ... وقد كَحَلَتْ منهُ الظِّلالُ مآقيا
١١ وما بالُ صُدغِ الآسِ أخضرَ ناصِعاً ... وما بالُ خَدِّ الوردِ أحمرَ قانيا
١٢ وما لِثغورِ الزَّهرِ تُلفَى بَواسِماً ... إذا ما عُيونُ القَطْرِ ظَلْنَ بَواكِيا
١٣ ولِمْ طرَّزَ البرقُ الغَمامَ وَوَشَّحتْ ... سواجِمُه البَطْحاءَ بيضاً مَواضِيا
١٤ وما للآلي الشُّهبِ رُصِّعَ نَظمُها ... فأمسَتْ صدورُ الأُفقِ عَنها حَواليا
١٥ وما لبطاحِ الأرضِ أُبدعَ رَقْمُها ... فراقَتْ أساريراً ورقَّتْ حَواشِيا
١٦ وما لِحَمامِ الأيْكِ تَشدو تَرنُّماً ... وما لِقُدودِ القُضْبِ تهفو تَعاطِيا
١٧ ولِمْ قَبَضَ النَّيْلَوْفَرُ الكفَّ خائِفاً ... ولِمْ بَسَطَ السَّوْسانُ يُمناهُ راجيا
١٨ أتحسَبُ هاتي كُلَّها خُلِقت سُدى ... لغير اعتبارٍ؟ لا وَرَبِّكَ ما هِيا!
١٩ وأنَّ قُصاراها لِلَهْوٍ ولَذَّةٍ؟ ... لقد أخطأ التَّقديرُ مِنْكَ الْمَرامِيا
٢٠ فما خُطباءُ العُرْبِ أفصحُ واعِظاً ... مِنَ الطَّيرِ يَشْدو لَوْفَهمتَ الْمَعانِيا
٢١ ولا صفَحاتُ الهِنْدِ أردعُ زاجِراً ... مِنَ البَرْقِ يَبْدُو لَوْعلمتَ النَّواهِيا

٢٢ ولا لطَفُ الإحْسانِ أحسن مَوقِعاً ... مِنَ النَّورِ يَذْكو لوعرفْتَ الأيادِيا
٢٣ أيا غائِباً عن حَضرةِ القُدسِ قد نَبا ... به الطَّبعُ أن يأْتي هُدى أو يُواتِيا
٢٤ أما تَتَّقي بأْساً، أما تَرْتجي نَدىً ... أما تَنْتَهي وَعظاً، لقد ظَلْتَ هازِيا
٢٥ إذا ما دَعاكَ الْخَطْبُ كي تَرْعوي لهُ ... تَداركَكَ اللُّطفُ الخفيُّ تَلافِيا
٢٦ فلا شِدَّةٌ تُعديكَ إلا لَجاجةً ... ولا فَتْرَةٌ تُجديكَ إلاَّ تَمادِيا
٢٧ إليكَ إشاراتٌ وعنكَ عِبارةٌ ... وفيكَ أماراتٌ فلا تَكُ ساهِيا
٢٨ وسائِلةٍ ما بالُ جَفْنِكَ والبُكا ... وما عَرَفْتَني عَنْ هوًى قَطُّ سالِيا
٢٩ إليكِ فَما في خاطِري فَضْلُ وُسْعةٍ ... لِسَمْعِكِ، فَضْلاً عن حَديثِ غرامِيا
٣٠ ذَريني لِغَيْري وَلْتَرُوحي لِراحةٍ ... فَرُبَّتَما أعْدى أسايَ الأواسِيا
٣١ فُتِنتُ بِدُنيا جاذَبَتْني أعِنَّتي ... فما لِيَ لا أبكي لِذلكَ ما لِيا ؟!
٣٢ فما وَجْدُ ثَكْلى أُمِّ فَرْدٍ أصابها ... وَحِيٌّ رَدًى فيهِ فأصبحَ ثاوِيا
٣٣ تُردِّدُ فِكْراً لا ترى عنهُ مَعْدِلاً ... وتَرْجِعُ طَرفاً لا تَرى منه باقِيا
٣٤ فَتستنجِدُ الصَّبرَ الجميلَ لِخَطْبِها ... فَلا تَلْتقي إلا خَذُولاً وناعِيا
٣٥ فَتَهْتِكَ سِتْرَ الصَّبرِ عنْ بَرْحِ لَوعةٍ ... تُعيدُ بياض الصُّبح أسودَ ساجِيا
٣٦ مُدَلَّهةٍ وَلهى يُطارِحُها الأسى ... أفانينُ شَجْوٍ مُوْحَداً ومَثانِيا
٣٧ بأعظَمَ من وَجدي على فَرطِ زَلَّتي ... وأكبرَ منْ حُزني لقُبْحِ فَعالِيا
٣٨ شبابٌ مضى لم أحْلَ منهُ بطائلٍ ... فياليتَ شِعري كيفَ بالشَّيبِ حالِيا
٣٩ وما أسَفي أنْ مَرَّ ما مرَّ فانْقضى ... ولكنَّ هَمِّي ما بَقِيْ مِنْ زَمانِيا
٤٠ فقد فَتح الرَّحمنُ أبوابَ عَفْوِهِ ... لِمَنْ راجَعَ الذِّكرى وأقبلَ خاشِيا
٤١ أخافُ قبيحَ العَوْد فالعُذْرُ ضَيِّقٌ ... عَلَى أنَّ بابَ العَفو أوسَعُ نادِيا
٤٢ إلَهيَ والشَّكوى إليكَ اسْتراحةٌ ... فأنتَ إلى الشَّاكي أشدُّ تَدانِيا
٤٣ إلهيَ لا تَفْضَحْ عُواراً سَتَرْتَهُ ... فما لِيَ مَأْمولٌ سِواكَ إلهِيا
٤٤ هلكتُ ردًى إن لم أنلْ منكَ رحمةً ... تبَعِّدُ رَوْعاتي وتدني أمانِيا
٤٥ لَعَلَّ الَّذي قامَ الوجودُ بِجُودِهِ ... يُعيدُ بِحُسْنِ اللُّطْفِ حالِيَ حالِيا

[١]

جَوُّ القصيدة :

تبدأ القصيدة بأبيات يخاطب بها نفسه - ويصحّ أن يكون الخطاب عامّاً - ويعاتبها على ماتقع فيه من المخالفات : دقيقة أو جليلة (١ - ٣) ، ويزجر نفسه لتسمع داعي الرُّشد وتَعْتَبِرَ بأمور يُعَدِّدها (٤ - ٦) ، ويدخل في كلام متشعّب عن عظمة الله سبحانه وتعالى ، المتجلّية في أُمورٍ ممّا خلقَ وأبدع - على كثرتها وامتناعها عن الإحاطة بها - (٧ - ١٠) .

ويسترسل فيذكر أشياء من الطّبيعة الجميلة (وتحت نظره الطبيعة الأندلسية الجميلة في المريّة وسائر بلاد الأندلس الباقية) مِن أزهارها ونباتها وحيوانها ونجومها (١١ - ٢٢) ، ويُذَكِّرُ مَنْ غابت روحُه وغفلت عينُه عن (حضرة القُدس) (٢٣) ليكون مع الله تعالى في حالي الرهبة والرغبة (٢٤ - ٢٧) ، ويلتفت إلى سائلة تسأله عن طول بكائه (٢٨) ويُجيبها بأنه وقع تحت غُرور الدُّنيا الخادعة (٣٠ - ٣١) ويضرب مثلاً يبيِّن تفريطه وشعوره بالذَّنب (لتقصيره واغتراره بالدُّنيا الخادعة) (٣٢ - ٣٧) ، ويأسف على شباب ضيّعه ويأمل أن يكون ممن تاب وأناب (٣٨ - ٤٠) ، ويخشى أن يعُود في الخطأ - الذي بكى منه وشكا - (٤١) ، ويختم بدعاء ورجاء للإقالة والعفو والرحمة واللُّطف .

[١]

شروح :

(١) في البيتين ١ و٢ معنى قول الشاعر (ديوان الشافعي : ٩٣)

تعصي الإلـهَ وأنتَ تُظهر حبّه ... هذا مُحَالٌ في القياسِ بديعُ
لو كان حُبُّكَ صادقاً لأطَعْتَهُ ... إنّ المحبَّ لِمَن يُحبُّ مُطيعُ !
في كلِّ يومٍ يبتديكَ بنعمةٍ ... منهُ وأنتَ لشكرِ ذاكَ مُضيِّعُ

(٢) يقال : تَكَنّى بكذا : كان له كُنية ؛ وأكَنَّ الشيء : ستره .

وما أخالُكَ : ضبط الشاعر الفعل بفتح أوّله . قال في الصّحاح إن المستقبل من فعل خال (بمعنى ظنّ) « هو إخالُ بكسر الألف ، وهو الأفصح ؛ وبنو أسد تقول : أخالُ ، وهو القياس » . قلت : والكسر هو الأكثر شيوعاً .

(٣) الرّدّ ، والرّديء ؛ بمعنًى . وفي الأساس : يقال « تحلّى الرَّجُل بما ليس فيه » .

(٥) في (ط) : تبغي عمًى وتعاميا .

(٦) أي : لوأن سامعاً يَسْمع ... ولو أن رائياً يرى !

(٧) البَهارُ عند الأندلسيّين : النَّرجس ؛ وهو نبات تزييني مُزهر (من نباتات الأبصال التزيينية المُزهرة) . والعرب تشبه به العيون .

(١١) الآس : شجر دائم الخضرة ، بيضي الورق ، أبيض الزهر ، ورديّه ، عطري . ويكثر ذكره عند الشّعراء لخضرة ورقه النّاصعة ، ويضربون به المثل على طول أمد الشيء (قياساً إلى الورد والأزاهير المختلفة) قال ابن زيدون :

لا يكن عهـــــــــــداً ورداً إنّ عهــــــــدي لـــــــك آسُ !

(١٣) يقال : سجمت السَّحابة الماء : قَطَرَته وأسالته قليلاً أو كثيراً .

(١٥) يُطلق السُّرّ (والسُّرر والسَّرَر والسّرار) على خطّ الوجه والجبهة ، وفي كل شيء ؛ والجمع أسِرّة ، وأسرار ، وجمع الجمع : أسارير .

(١٦) هفا : أسْرَع . والتّعاطي : التّناوُل . وعطا الظّبي : تطاول إلى الشجر ليتناول منه .

(١٧) النّيلوفر : من الرياحين ، ينبت في الآجام والمياه الراكدة وله ورقٌ كثير من أصل واحد وزهر أبيض كالسوسن . والسَّوْسن (بفتح السين) والسُّوسن (بضمها) والسُّوسان : من الرّياحين ؛ والسّوسنيّات : فصيلة نباتية من وحيدات الفلقة أجناسُها وأنواعها كثيرة العدد أشهرها السوسن والزّعفران ...

- وقبض النيلوفر كفّه إشارة إلى انغلاق زهرته وانفتاحها بين ليل ونهار . وطابق الشّاعر بين القبض والبسط في نظرة شعريّة .

(١٩) القُصارى : الْجَهْدُ والغاية (ومثلها : القَصْرُ ، والقَصارُ ، والقُصّار ، والقُصَيْرى) .

(٢١) الصَّفْحَةُ من السيف عَرْضُه (خِلاف طوله) (ومثلُها الصَّفح والصُّفح) ، قال في اللّسان : ضَرَبَهُ بِصُفح السَّيف ؛ وجعل (صَفْح) بالفتح عاميّة .

(٢٢) النَّوْر : (بفتح النون) الزَّهر ، أو الأبيض منه . والأيادي جمع الجمع لليد ، بمعنى النعمة ؛ والجمع الأيدي ؛ يقال : لفلان عندي يد .

- وفي (ط) يذكى .

(٢٣) القُدْس : الطُّهر ؛ وسمّي جبريل روح القُدس لأنه خُلق من طهارة (تاج العروس) وحظيرة القدس : الْجَنّة .

وليس في مُصطلحات الصُّوفيّة ـ في مصادري ـ حضرة القُدس .

(٢٤) هازيا اسم فاعل من هَزأ (وهَزِئ) ؛ وسهّل الشاعر الهمزة .

(٢٩) قوله (إليك) حذف الجارّ بعده اكتفاءً أو ضرورة ، والمقصود إليك عَنّي : تنحَّ ، كُفَّ ، أمْسِكْ .

(٣٠) الأسى : الْحُزن ؛ والآسي الطبيب ؛ ولكنْ يُجْمَعُ على أُساة وإساء .

(٣١) الأعنة جمع العِنان ، وهو للدابة : الرَّسَن ؛ وما تُقَادُ به . واستعاره للإنسان .

(٣٢) الوَحِيُّ ـ على وزن ذكيّ ـ العَجِلُ المسرع .

(٣٣) المعدِلُ (والْمَعْدُول) : المصرف والْمَسْلَك . يقال : ماله معدل ـ ولا معدول ـ عن كذا .

(٣٥) البرح : الشدّة ؛ والسّاجي : الدائم ، الساكن .

(٣٦) الْمُدَلَّهُ : الساهي القلب ، الذّاهب العقل من عشقٍ ونحوه . والوَلْهَى : شديدة الْحُزن والجزع على ولدها . والْمَوْحَد من الواحد كالمثنى من الاثنين . والمثنى ـ أيضاً ـ من أوتار العود الثاني بعد الأوّل .

(٣٨) لم يَحْل منه بطائل : لم يستفد منه كبير فائدة .

(٤٣) العُوار : العيب .

(٤٥) حالي : حال الشاعر (الياء هي ضمير للتكلم) وحالياً اسم فاعل من حَلِيَ : صار ذا حِلْية (حَسناً) .

[٢]

وقال أيضاً : **[من البسيط]**

١	مَجالُ لُطفِكَ بينَ النَّفْسِ والنَّفَسِ	وسِرُّ هَدْيِكَ بينَ النَّارِ والقَبَسِ
٢	وسَيْبُ جُودِكَ قَدْ عَمَّ الوجُودَ لُهًى	مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ جَوْداً ومُنْبَجِسِ
٣	فَما عَسى أن يُطيلَ القَولَ ذولَسَنٍ	أو ما عَسى أنْ يُطيلَ الصَّمْتَ ذوخَرَسِ
٤	بَهَرْتَ نُوراً فَلا سِتْرٌ لِمُلْتفِتٍ	وفِضْتَ جوداً فلا عُذْرٌ لِمُلْتَمِسِ

٥ وعُدتَ بالحِلْمِ والإجمالِ فاتَّضَحَتْ ... حُلى جَمالِكَ مِثْلَ الصُّبْحِ في الغَلَسِ
٦ فالكُلُّ مُحتفِلٌ في الحمدِ مُبتهِلٌ ... سُفْلٌ كعُلْوٍ ومَرؤوسٌ كمُرْتَئِسِ
٧ وأيّما نعمةٍ منْ قبلُ نَشْكُرها ... والشُّكرُ مِنْها وشُكرُ الشُّكرِ ولْتَقِس
٨ كَفى بخَيْرِ البَرايا نعمةً نفُسَتْ ... فأعجزَ الشكرُ عَنْها كُلَّ ذي نَفَسِ !
٩ كفى ببَعْثِكَ خَيْرَ الرُّسْلِ مَوْهِبَةً ... عمَّتْ كِلا الثَّقَلَيْنِ : الْجِنِّ والإنسِ
١٠ رَسُولُ يُمْنٍ حَبانا كُلَّ مُلْتمسٍ ... ونُورُ هَدْيٍ كفانا كُلَّ مُلْتَبَسِ
١١ حَمَى حِمى الحقِّ إرْغاماً لِمُبْطِلِهِ ... فالشِّرْكُ في مأْتَمٍ والدِّينُ في عُرُسِ
١٢ نُورٌ لِمُقتبسٍ، حِرزٌ لِمُحترِسٍ، ... يُمْنٌ لِمُنتكِسٍ، نُعْمى لِمُبتئِسِ
١٣ أعْظِمْ بهِ من هُدىً لِلْمُقْتَفِين، نَدًى ... لِلْمُعْتَفين، رَدًى لِلْمُلْحِدِ النَّكِسِ
١٤ وقى بهِ اللهُ من هُلْكٍ، وبصَّر من ... شَكٍّ، وطَهَّرَ مِنْ إفكٍ ومِنْ دَنَسِ
١٥ هَدَى بهِ كُلَّ نابٍ سَمْعُهُ، شَرِهٍ ... وقادَ كُلَّ أبِيٍّ طَبعُهُ، شَرِسِ
١٦ حَتَّى مَحا رَسْمَ إفْكٍ كانَ مُرتَسِماً ... وأثْبتَ الدِّينَ والدُّنيا على أُسُسِ
١٧ آياتُ جُودٍ تَجلَّت في الوُجودِ (ضُحًى) ... ظَلَّتْ لَها فِئةُ التَّضْليلِ في (عَبسِ)
١٨ إليكَ يا مَلْجأ الرَّاجينَ قد نَزَعَتْ ... نوازعٌ بيَ إنْ تُسْتَقْصَ لا تُقَسِ
١٩ من سَفْحِ دَمعٍ بِسَفحِ الخدِّ مطَّرِدٍ ... وقَدْحِ وَجْدٍ بطَيِّ الصَّدرِ منعَكِسِ
٢٠ ونَهْبِ شوقٍ أباحَ السُّقم مَنْهبتي ... فالجِسْمُ في تعبٍ ، والقَلْبُ في تَعَسِ
٢١ فَهلْ سَبيلٌ تؤدّي حِلْفَ قاصِيةٍ ... إلى مَقَرِّ الهُدى من رَوْضةِ القُدُسِ
٢٢ إلى البشيرِ النَّذيرِ الْمُجْتَبى كَرَماً ... إلى السِّراجِ الْمُنيرِ الأشرفِ النُّدُسِ
٢٣ مَنْ لي بلَثْمِ ضَريحٍ لَثْمُهُ سَبَبٌ ... لِكُلِّ مُنقطِعٍ ، بِاللهِ مؤتَنِسِ
٢٤ روضٌ كَساهُ الرِّضى من طِيْبِه خِلَعاً ... فَلَيْسَ يَعْرَى مُحِبٌّ مِنْ هَواهُ كُسِي
٢٥ ياليتَ شِعْري وأيَّامي تُثَبِّطني ... ومَنْ سَقَتْهُ كؤوسُ العَجْزِ لم يَكِسِ
٢٦ هل أكحَلُ الجفنَ من تُربٍ بهِ عَبِقٌ ... وأرشُفُ الثَّغرَ من إظلالِهِ اللَّعِسِ
٢٧ وأُبْلِغُ الْخَدَّ من تَعفيرِهِ وَطَراً ... شَوقاً لِموطئ نَعْلٍ طاهرٍ قُدُسي

٢٨ إليكَ يا ربّ شكوَى مُبْعَدٍ قَعدتْ بـهِ الْخَطايا فلَمْ يَنْهَضْ لِمُلْتَمَسِ
٢٩ غَرَّتْهُ غُرَّةُ دُنيا بالصِّبا فصَبا وأنَّستْهُ بتَهوينِ الَهوى فَنَسِي
٣٠ يا ربّ رُحماكَ في تَبْليغِ مأْربِهِ فَلُطفكَ اللُّطْفُ في تيسيرِ كل عَسِي
٣١ أنا الفقير فَعُدْ بالفَضْلِ يا أمَلي فقَدْ دَعَوْتُكَ عن عُدْمٍ وعَنْ فَلَسِ
٣٢ ثُمَّ الصَّلاةُ على المبعوثِ مَرْحَمةً إلى الْخَليقةِ من جِنٍّ ومِنْ أَنسِ
٣٣ وآلهِ والصِّحابِ الغُرِّ قاطِبةً ما افْتَرَّ ثغرُ صَباحٍ عن لَمى غَلَسِ

[٢]

جَوُّ القَصيدة :

تبدأ القصيدة بتمجيدٍ ، وحمدٍ ، لله تعالى ، وكلام في جوده تعالى على عباده (١ ـ ٥) ، وطاعةِ الخلق لله ، وإذعانهم ، وشكر على نعمه الغامرة (٦ ـ ٧) ؛ وإرساله الرُّسُل ؛ وبعثة محمد ﷺ (٨ ـ ١٠) ، واسترسال في يُمن رسول الله ﷺ ونُوره ومكانته في هدى للمهتدين وردى الملحدين (١١ ـ ١٣) وما قدّمه للبشرية من هداية وطهارة نصرت الحقّ ، ودحضت الشك ، وقضت على الإفك (١٤ ـ ١٧) .

ويلتفت الشاعر إلى رسول الله ﷺ ليذكر شوقه ومحبّته لزيارته وزيارة المدينة المنوّرة ، ومسجد رسول الله ﷺ ، والوقوف عند ضريحه الطيّب (١٨ ـ ٢٤) ، ويتمنى ـ ضارعاً ـ أن يتاح له أداء فريضة الحجّ وزيارة ساكن طَيْبَة عليه أفضل الصّلاة والسّلام (٢٥ ـ ٢٧) ، ويعلن التوبة إلى الله تعالى من (ذنوب) أقعدته ، ودنيا غَرَّته (٢٨ ـ ٣٠) ، ويرفع دعاءً وابتهالاً (٣١) ، ويختم بالصَّلاة على رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه (٣٢ ـ ٣٣) .

[٢]

الشروح :

(١) النَّفْسُ : الرُّوح ، والنَّفَسُ (ما يَزفره الإنسان) . يقول حياة الإنسان ليست إلا إمساك النّفْس باستمرار جَريان النَّفَس بلطف الله تعالى .

وفي الشطر الثاني إشارة إلى قوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ موسى . إذ رَأى

نـاراً فقـالَ لأَهْلِـهِ امْكُثُـوا إنِّي آنسْتُ نـاراً لَعَلِّي آتِيْكُمْ مِنْهـا بِقَبَسٍ أو أجِـدُ عَلى النَّـارِ هُدًى ﴾ [٢٠/٩ - ١٠] .

(٢) اللُّهى جمع لهوة ، وهي العطيّة ، أو هي أفضل العطايا وأجزلها .
والْجَوْدُ : الْمَطر الغزير الواسع ، أو الّذي لا مَطر فوقَه . والْمُنبجس : الذي ينبعُ من اليَنابيع .
- وفي حاشية نسخة المؤلّف عند البيت الثاني ، فوق كلمة (لهى) : جدًى ، وكلمة : معاً .

(٣) اللَّسَنُ : الفَصاحة وجودة البَيان .

(٥) الغَلَسُ : ظلمة آخر الليل .

(٨) نَفُس الشيء : كان له قَدْرُه وخَطَره .

(٩) الثّقلان - كما فصّل البيت معنى الكلمة -: الجِنّ والإنس .

(١٣) المعتفي : طالب المعروف . والنِّكْس : الرَّذل ؛ والرّجل الضعيف الدّنيء الذي لا خير فيه (وهي بكسر النُّون المشدّدة وسكون الكاف) وحرّك الشاعر للوزن .

(١٧) في البيت تورية بسورتي (الضُّحى) و (عَبَس) .

(٢١) في البيت إشارة إلى الحديث الشريف : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » رواه أبو هريرة رضي الله عنه . (الفتح الكبير ٣/٨٧) .

(٢٢) النُّدُس : الفهم الفطن .

(٢٣) كاس يكيس : أي كان كَيِّساً .

(٢٦) الأصل في اللَّعس : سواد مستحسن في الشَّفة .
- وفي ط : من إظلامه اللعس .

(٢٩) ضبط الشاعر - بقلمه - كلمة (غُرّة) هكذا بضم أوّلها .

(٣٠) أي : (بتيسير كل عسير) فحذف على طريقة (الاكتفاء) كما اصطلح البلاغيون ، وسمّاه ابن فارس القبض ، وسمّاه ابن منقذ التّثليم . ومنه قول الشاعر :

☆ درس المنا بمتالعٍ فأبان ☆

أي درس المنازلُ ...

(٣٢) أَنَس : كذا ضبطها . وفي المعاجم الأَنَسُ : جماعة الناس . والإنس : البشر .

(٣٣) الغَلَس : ظلمة آخر الليل .

[٣]

وقال أيضاً : **[من البسيط]**

١ أدِرْ كـؤوسَ الرِّضـا نـاراً عَلى عَلَم ... لا خَيْرَ في لَـــذَّةٍ بتّـــاً لِمُكتَتِم
٢ ولْتَجْلُهـا بنتَ دَنٍّ عُمْرُهـا عُمَري ... تَسْتَـدرجُ العَقـلَ فِعلَ الشَّيبِ باللِّمَم
٣ مَشْمُـولَـةً نَسجَتْهـا للشَّمال يَـدٌ ... وألْطَفتهـا أكُفُّ اللُّطفِ في القِـدَم
٤ فَما لَهـا غيرَ رُوحِ الرُّوحِ من قَـدَحٍ ... ولا لَهـا غَيْرُ سِرِّ السِّر مِنْ فَـدم
٥ بَيْنـا تُرى في أكُفِّ الشَّـاربينَ طِـلا ... إذْ تَسْتحيـلُ شُعـاعـاً في خُـدودِهِم
٦ كَـــذاكَ من كَتمَتْ سِرّاً ضَمائِرُهُ ... كَسـاهُ منــه رداءٌ غيرُ مُنْكَتِم
٧ قُم هاتِها فريـاضُ الكونِ قـد جُليت ... وقـامَ للْحُسن ترتيبٌ على قَـدم
٨ ولاحَتِ الشُّهبُ كالأكـواسِ دائِرةً ... تُغْريـكَ بـالسُّكرِ مِنْ صَهبـاءِ حُبِّهم
٩ وسـاجَلَتْ أدْمـعُ السُّحب الحمـامَ بُكاً ... عَلى الرِّيـاضِ فـأضْحَى جِـدَّ مُبْتسِم
١٠ فَسَـلْ أزاهيرَ رَوضِ الْحُسن غِبَّ نـدًى ... هَـلْ نَبَّهت وَقعـاتُ الطَّـلِّ عينَ عَم
١١ في كُـلِّ حُسنٍ لـهُ مَعنًى تشـاهِـدُه ... عينُ الصَّفيِّ وقلبُ الحـاضرِ الفَهِم
١٢ يـا لامعَ البَرْقِ بـل بـالنـاظرين عَشًى ... وهـو الصَّبـاحُ تَفرَّى عن دُجـا الظُّلَم
١٣ أَعِـدْ على مُقلتي لَمْحـاً يـؤنِّقُهـا ... عسَى يَراكَ مُحِبٌّ عن سَنـاكَ عَم
١٤ يـا واديَ الْحَيِّ والأمْـواهُ ثـاعِبـةٌ ... واحرَّ قَلْبي لِـذاكَ الْمَـوردِ الشَّبِم
١٥ بـلْ هَـلْ يُبَلِّغُني وَخْـدُ الْمَطِيْ عَلى ... شَحْـطِ المـزارِ إلى رَبْـعٍ بـذي سَلَم
١٦ لِمَعْهـدٍ طـالَما حَـلَّ القُلـوبُ بِـهِ ... مُخَيِّمينَ وبـانُـوا عَنْ جُسـومِهِم
١٧ لِعُمـدةِ الـدِّينِ والـدُّنْيـا وقُطبِهِما ... ومُنْتهى الشَّرَفِ الأصليِّ والكَرم
١٨ لأفضـلِ النَّـاسِ من حـافٍ لِمُنْتَعِـل ... وأكرمِ الرُّسـلِ من بـادٍ لِمُخْتَتِم
١٩ لأحمـدٍ سَيِّـدِ الأرسـال قـاطِبـةً ... مُحَمَّـدٍ خيرِ خَلْـقِ اللهِ كُلِّهم
٢٠ يـا حـاديَ العيس نَحْوَ القـومِ مُرتَهنـاً ... يرمي بـهِ الشَّـوقُ من غـوْرٍ إلى تَهم
٢١ رفقـاً بنـا في بقـايـا أنفُسٍ خَفِيَتْ ... عَنِ الْمَنـايـا فلم تَمْتَزِ من العَـدم

٢٢ لأُلحِفَ الجسمَ ثَـوبَ السُّقْمِ مُمْتَهنـــاً — وأذرفَ العَيْنَ صـوبَ الأدْمُـع السُّجمِ
٢٣ وأُشربَ الـوجـدَ قَلبي والجـوى كَبـدي — والسُّهـدَ جَفْني وأنواعَ الشجـونِ دَمي !
٢٤ إن لم أَحُـــــطّ ركابي في أبرِّ ثَرىً — حتَّى أُعفِّر فيـــــه وَجْنَتي وفَمي
٢٥ ذُلاًّ وخَـوفـاً وإشْفـاقـاً ومَنْـدَمـةً — عَلى مسـاوئَ قـد زلَّتْ بهـا قَـدمي
٢٦ يـا طَيْبَــةَ الطَّيِّبينَ، اللهَ أنشُـــدكمْ — أمـا سَرَتْ نسمـةٌ من جـانب (العَلَم)
٢٧ عَســاكُم أنْ تُـوالُـوهــا سَـلامُكُم — حتَّى يَبينَ الرِّضـا منْهـا لِمُنْتَسِمِ
٢٨ وإنْ تَعُـدْكُم فَحيُّـوهـا فَعَـوْدَتُهـا — مِنِّي بردٍّ ســـــلامِ غَيْرِ مُنْصَرِمِ

[٣]

جَوُّ القصيدة :

يبدأ الشاعر بذكر (كؤوس الرضا) على طريقة شعراء الصوفيّة من إدارة الكلام على الخمرة وأدواتها وأوصافها وما يناسبُها (١ ـ ٨) وينتقل إلى ذكر بعض محاسن الطّبيعة الدالّة على خلق الله وإبداعه وعظمته جلَّ جلاله (٩ ـ ١٤) ويلتفت إلى (معهد) لرسول الله ﷺ طالما حلّت به القلوب وتشوّفت إليه النُّفوس (١٥ ـ ١٩) ويسترسل في تصوّر رحلة طويلة يحوطُها الْحُبّ والشوق لتحطّ ركابه في طَيْبَة (مدينة رسول الله ﷺ) ويبعث بتحيّته طيّ نسيم يسري ويمرّ (بجانب العَلَم) ويسأل مَنْ بِطَيْبَة أن ينسموا ذلك النسيم ، وأن يردّوا عليه بسلام دائم متواصل .

[٣]

الشروح :

(١) بتّاً : قطعاً .
(٢) اللمم جمع اللّمّة : الشّعر المجاوز شحمة الأذن .
(٤) الفِدام (بألف بعد الدال) : ما يوضع في فم الإبريق ليصفّى مابه .
(٥) الطِّلاء : الخمرة .
(٨) تُجمع الكأس على أكؤس وكؤوس وكئاس ، وزاد الفيروزابادي : كاسات .
(١٢) تفرّى : انشقّ . وفي الأساس : ومن المجاز قولهم : تفرّى الليل عن بياض النَّهار .

(١٥) الوخد للبعير : الإسراع .

(١٦) المعهد : المنزل المعهود به الشيء ، والمنزل الذي كنت عهدته أو عهدت بـه هوًى لـك أو شيئاً غيره .

(١٨) من بادٍ يريد من بادئ .

(١٩) الرَّسُول تُجمع على رُسل وأَرْسُل ورُسَلاء .

(٢٠) الغَوْر : كل ماانحدر مسيله مغرباً دون نجد . والتَّهَمُ لغة في تهامـة ، والتَّهَم والتَّهمـة : الأرض المتصوّبة إلى البحر .

والغور : دون مرحلتين من الغرب من وراء مكّـة . وتهـامـة : مكـة المكرمـة ، وأرض أوّلها ذاتُ عرق من قبل نجد إلى مكة ومـا وراءهـا بمرحلتين أو أكثر ثم تتصل بـالغور وتـأخـذ إلى البحر وجُدّة .

(٢١) امتاز : انفصل عن الشيء وانعزل .

(٢٦) طيبة : المدينة النبوية المنوّرة . والعَلَم : جبل شرقي الحاجر يقال له : أَبان .

[٤]

وقال أيضاً ـ وقد سئل إجازة البيت الأول ـ [وهو مطلع قصيدة لسيدي أبي مدين شعيب الأندلسي التلمساني ؛ انظر ديوانه : ص ١٨ طبع دمشق ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م] :

[من البسيط]

١ [يا من يُغيثُ الوَرى مِنْ بعدِ ما قَنِطُوا ... ارحَمْ عِباداً أكفَّ الفَقْرِ قد بَسَطوا]
٢ عَوَّدْتَهم بَسْطَ أرزاقٍ بلا سَبَبٍ ... سوى جميلِ رجاءٍ نحوَهُ انْبَسطوا
٣ وعُدْتَ بالفضلِ في وِردٍ وفي صَدَرٍ ... بالْجُودِ إن أَقْسَطوا والحِلْمِ إنْ قَسَطوا
٤ فَضائلُ ارتَبطتْ شُمُّ الأُنوفِ لَها ... وكُلُّ صَعْبٍ لِقَيدِ الْجُودِ يَرْتبطُ
٥ يا من تَعرَّف بالْمَعْروفِ فاعتَرفَتْ ... بجَمِّ أنعامِهِ الأطرافُ والوسَطُ
٦ وعالِماً بخفيَّاتِ الأُمورِ فَلا ... وَهْمٌ يجوزُ عَليهِ ، لا ولا غَلَطُ
٧ عَبْدٌ فقيرٌ ببابِ الجودِ مُنكسِرٌ ... من شأنِهِ أن يُوافي حين يَنضَغِطُ
٨ مَهْما أتى لِيَمُدَّ الكفَّ أَخْجَلَهُ ... قَبائحٌ وخَطايا أَمْرُها فُرُطُ

٩ يـا واسعـاً ضـاقَ خَطوُ الْخَلْقِ عن نِعَمٍ ... منـهُ إذا خَطبوا في وَصْفِهـا خَبَطُـوا
١٠ ونـــاشِراً بيـــدِ الإجْمالِ رَحْمَتَــــهُ ... فليسَ يَلحـقُ منـهُ مُسْرفـاً قَنَـطُ
١١ ارحَمْ عبـاداً بضَنْـكِ العَيْش قـد قَنِعُوا ... فـأيْنَما سَقَطـوا بينَ الـورَى لَقَطـوا
١٢ إذا تُـوُزِّعت الـــدُّنيــا فَما لَهُمُ ... غيرَ الـدُّجُنَّــةِ لُحفٌ والثَّرى بُسُـطُ
١٣ لكنَّهُم مِنْ ذَرا عَليـــاكَ في نَمَــطٍ ... سـامٍ رفيعِ الـذُّرى مـافَـوقَـهُ نَمـطُ
١٤ ومَنْ يَكُنْ بـالَّـذي يَهـواهُ مُجْتَمِعـاً ... فمـا يُبـالي أقـامَ الْحَيُّ أم شَحَطـوا
١٥ نحنُ العَبيـدُ وأنتَ الْمَلْـكُ ليسَ سِوى ... وكلُّ شَيءٍ يُرَجَّى بَعْـدَ ذا شَطَـطُ !

[٤]

جوّ القصيدة :

هذه القصيدة معارضة لقصيدة الغوث سيدي أبي مدين شعيب الأندلسي ، ثم التّلمساني .

وتجري الأبيات من أول القصيدة إلى آخرها على طريقة شعر الدعاء والاستغاثة والتضرّع والانكسار ؛ وفيها تمجيد الله سبحانه وتعالى ، ودعاء برفع الضُّرّ ، وفيها إظهار لمحبة الله تعالى والعبودية المطلقة له ، جلّ وعلا .

[٤]

الشروح :

(١) هذا البيت مطلع قصيدة لسيدي أبي مدين شعيب الأندلسي التلمساني . وهو من رجال القرن السادس الهجري (توفي سنة ٥٩٤) من مشاهير الصُّوفية في الأندلس والمغرب . انتقل من الأندلس إلى المغرب فأقام بفاس ، ثم في بجاية ؛ وكثر أتباعه ومريدوه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور الموحّدي ؛ وله معه خبر . مات في طريقه من بجاية إلى حضرة السلطان المذكور بمراكش ، بعد أن استقدمه إليه لينظر في تقارير الوشاة فيه ؛ وكان أبو مدين طمأن مريديه بأنه لا يرى السُّلطان ولا يراه ذاك أيضاً . وكان وفاته بالعُبّاد عند تلمسان . وله ضريحٌ مكرّم .

لأبي مدين ديوان شعر وموشحات ؛ على نهج شعراء الصُّوفية ، وله كتاب مخطوط عنوانه (مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب) .

وفي تراجمه أخبار وأحاديث عن فضائله وما يُنسب إليه من كرامات ولم يظهر من أخباره ما يدلّ على ادعائه أو تطوّله . والله تعالى أعلم .
(التشوف لرجال التصوّف : ٣١٦ والبستان : ١٠٨ وجذوة الاقتباس : ٣٣٢ ونفح الطيب ١٤٢/٧ ونيل الابتهاج : ١٢٧ وشجرة النور : ١٦٤ وعنوان الدراية : ٥ وشذرات الذهب ٣٠٣/٤ وجامع كرامات الأولياء ٣٩/٢ ؛ وألّف ابن قنفذ في أبي مدين كتاباً مستقلاً عنوانه : « أنس الفقير وعزّ الحقير » ط : الرباط ويُنظر : نثير الجمان لابن الأحمر : ٢٥٧ ـ ٢٥٨ وحاشية التحقيق) .
ـ وقصيدة ابن خاتمة في نفح الطيب ٣٤٦/٤ ـ ٣٤٧ ؛ ولم ينبه إلى أنّها مبنية على إجازة البيت الأول .

(٣) قسط (الرجل) إذا جارَ ؛ وأقْسَط إذا عدَل .

(٤) في النّفح : بقيد الجود .

(١٠) في كتب اللغة : قَنَط يَقْنُط (بكسر نون المضارع وضمّها) قُنُوطاً ؛ وقنِطَ يقنَطَ (بكسرها وفتحها) قناطةً ، وقنُط يَقْنُط (بضمّها) قناطة .
ولم أجد استعمال المؤلف : (قَنَط) . وقد أوردها إيراد الاسم أو المصدر .

(١١) أي يكتفون بما يُساق إليهم من رزق . وعبارة الشاعر تستخدم عبارة مثل عربيّ يقول : « لكل ساقطة لاقطة » . ولم أجد بين معنى الشاعر المقصود وبين ما شرح به الأصمعي وغيره المثل ؛ صلة واضحة على رغم التقارب اللفظي . وينظر مجمع الأمثال ١٩٣/٢

(١٣) الذّرا (بفتح الذال) فناءُ الدار ونواحيها ، وكل ما استترت به . والذّروة : المكان المرتفع ، والعلو ، والجمع ذُرى (بضم الذال) .

(١٤) شحط : بَعُد .

[٥]

وقال أيضاً في التّنبيه على مَواقعِ النعماء وموارد الآلاء : [من الكامل]

١ الأرضُ بينَ مُـدَبَّـجٍ ومُحَلَّـلِ والرَّوضُ بينَ مُتَـوَّجٍ ومُكَلَّـلِ
٢ والـزَّهرُ بينَ مـورَّدٍ ومُـوَرَّسٍ والنَّشرُ بينَ مُمَسَّـكٍ ومُصَنْـدَلِ
٣ والمـاءُ قـد صقَـل النسيمُ فِرَنْـدَهُ فتـوشَّحتْ منـهُ الريـاضُ بمُنْصُـلِ

٤ لُـويَتْ مَــذانِبـــهُ على أدواحِهـــا فـــاختلَنَ بينَ مُنَطَّـــقٍ ومُخَلْخَـــلِ
٥ مـــاذاكَ سجـعُ نسيبِـــهِ في ظِلِّهـــا لكنَّـــهُ وَســواسُ هـــاتيـــكَ الْحُلي
٦ أهـلاً بـــأيَّـــامِ الرَّبيـع وطِيبِهـــا أُنسِ الخليـعِ ونُـزهــــةِ الْمُتَبتِّـــلِ
٧ زَمَنٌ أرَقُّ مِنَ الـــــوداد شَمائـــــلاً وألـــــذُّ من عصرِ الشبـــابِ الأوَّلِ
٨ تُـذكي بَـلابِلُـهُ البَـلابِـلَ لَـوْعـةً ولَرُبَّ بَلبـــالٍ يَهيـــجُ لِبُلبـــلِ
٩ أعْجِبْ بـــهِ من مِهْرجـــانٍ قـــائمٍ بينَ البَسيطـــةِ والْحَيـــا الْمُتَهلِّـلِ
١٠ حَشَـدَ الرِّيـاضُ لـهُ جُنـودَ جَمالِـهِ وأتى بجـــافِـلِ جُنـــدهِ في جَحْفَـلِ
١١ فـالطَّيرُ تَشْـدو والغَـديرُ مُصَفِّـقٌ والقُضْبُ ترقُص والأزاهرُ تَنجلي
١٢ وعَرائسُ الأشجــــارِ تُجلى في حُلًى خُضْرٍ، ولا وَجْـــهَ العَروسِ إذا جُلي!
١٣ مـا إنْ تَرى عُرسـاً بـأجْمَلَ منـهُ في عَيْنِ الشَّجيْ إن غـابَ عن عَيْنِ الْخَلي
١٤ فـاعطفْ عَلى وَجْـهِ الـزَّمـانِ وحَيِّـهِ وانظُر إلى حُسنِ الرَّبيــعِ الْمُقبـــلِ
١٥ وأجِـلْ لِحـاظَـك في صِفـاحِ كتـابِـهِ حتَّى تَبَيَّنَ واضحــــاً من مُشْكلِ
١٦ وإنِ اعتراكَ عَشىً لِنيِّرِ نَـــــوْرِهِ فـاعـــدِلْ لإثمِـدِ ظِلِّـهِ فتكحَّـلِ!
١٧ مَن لم يُشـاهِـدْ مـوقـعَ الْحُسنِ الْخَفي مِن مَنْظرٍ لم يَـدْرِ مـا الْحُسنُ الْجَلي
١٨ فـالْحُسنُ مـا وَضُحت شَواهـدُ فَضْلِـه لِلْمُجْتَني كـوضـوحِهـــا لِلْمُجتَلي
١٩ ولَرُبَّ وَرْدَةِ دَوْحـــةٍ حَيَّتْ بهـــا جَـــامـــاً تَلهَّب نُـورُه في أنْمُـلِ
٢٠ يَنـدى على جَنبـاتِـه قَطْرُ النَّـــدى فـاعجَبْ لـه مـاءً ونـاراً قَـدْ مُلي
٢١ قـــد حُجِّبَتْ في ظِلِّهـــا فتَبسَّمتْ عَنْ قَرْقَفٍ وتَنسَّمتْ عن مَنْـــــدَلِ
٢٢ مـــا فَتَّـــح الـــزَّهرُ الجنيُّ ثُغـورَه إلاَّ لِيَرْشُفَ طِيبَ ذاكَ السَّلْسَـــــلِ
٢٣ كـلاَّ ولا جَمَــدتْ عُيـونُ بَهـارِهِ إلاَّ لغَيْرتِهـــا عليـــهِ أو فَــلِ؟
٢٤ هـذي البَـلابِـلُ قـد سَجَعْنَ لِشُربِـهِ تَشْـدو وتُنشـدُ في (الثَّقيـلِ الأوَّلِ)
٢٥ إيـــهٍ مُطَرِّبَـــةَ الْخَليِّ بَعَثْتِ لي أسفَ الشَّجيْ، رُدّي عَليَّ وبَـــدِّلي
٢٦ مـا عُـذْرُهـا والـوردُ مَـوْرِد عِشْقِهـا لَـوْ لَمْ تَغَنَّ بِحُسنـــهِ وتَغَـــزَّلِ

٢٧ فـالرَّوضُ قـد فَتح الحيـا في خَـدِّهِ وَرْداً سَبَى وردَ الحيـاءِ الْمُخْجِـلِ
٢٨ عَجبـاً وحتَّى الْحُسْنُ يعشـقُ بَعْضُـه بَعْضـاً، لقَـدْ أزْرى الهوى بـالعُـذَّل
٢٩ لُطَفٌ من الإحسـان أعْجَـزتِ الـورَى أوْصـافُهـا، سُبحـانَ مُبْـدِعِهـا العَلي !

[٥]

جَوّ القصيدة :

هذه قصيدةٌ تجري مجرى قصائد وصف الطّبيعة الأندلسية . ينظر الشاعر حولـه فيرى الأرض وقد ازيّنت بزينة الرَّبيع بخضرته وألوانه وبدائعه وعطره ومياهـه المتـدفّقـة ، وسجع طيوره (١ ـ ٥) ويلتفت إلى أيّـام الرّبيـع ويثني على الـزّمـان الْمُشرق فيهـا ، والمهرجـان الملـوّن الصّـاخب وقـد حشـدت الرّيـاض مـالـديهـا من فتنـة وحُسن من الحيـوان والنّبـات والجمـاد (٦ ـ ١١) ويستوقفه عُرْس الأشجار ـ الذي لم يَرَ الشـاعر أجمل منـه ـ (١٢ ـ ١٣) ويـدعو قـارئـه وسـامعـه إلى الاستغراق في حسن الربيع البـديع ويقرأ كتـابـه العجيب (١٤ ـ ١٥) ويضرب أمثلـة من الكتـاب الْحَسن الوشي في صفحـات الكَوْن البهيج مـارّاً بـالـورد والـزهر والبلابل (١٦ ـ ٢٤) ويتوقف عنـد سـاجعـة مطربـة تستثير الـوجـد والشـوق (٢٥ ـ ٢٦) ويبالغ فيرى الورد معجباً بعضُـه بعضـه (وهـذا ملمح لطيف بـديع : أن يجعل بعض مـا في الطبيعة يعشق بعضـه الآخر لغرابتـه وفرط جمـالـه) ، ويختم بـالبيت الأخير (٢٩) ويجعل منـه بيت القصيـدة : لأن فيـه العبرة لبني آدم من بـدائع خلق الله ، والـدلائـل على صنعتـه البديعة واستحقاقه العبودية والطاعة والشكر .

ـ والقصيدة في الكتيبـة الكامنـة للسـان الـدين بن الخطيب : ٢٤٢ ـ ٢٤٣ قـال في التقـديم : « ومن روضيّاته قوله في مرهف روض » .

[٥]

الشروح :

(١) دَبَّج : نقش ، ودبّج المطرُ الأرض : زَيَّنَها بالرّيـاض . ومحلّل : مكتسٍ بـالْحُلّـة ؛ وهي إزارٌ أو رداء بُرْدٍ أو نحوه .

(٢) مُوَرّس : مصبوغ بالورس . والورس : نباتٌ يُتَّخَـذُ منـه صبغٌ ؛ وهو كالعُصفر في وظيفتـه :

من تطييب الطعام وصبغ الثياب . والصَّندل : نباتٌ يُتّخذ منه طيب .
ـ في الكتيبة الكامنة : والنهر . وهي رواية مرجوحة .

(٣) المُنصل : السّيف .

(٤) المَذانِبُ (جمع مَذنب) : مسيل الماء والجدول . ومُنَطّق : ذو نطاق . ومُخَلْخَل : ذو خَلخال . (وهما من زينة المرأة) .
ـ في الكتيبة الكامنة : ممنطق .

(٥) الوسواس : صوت الحليّ (والقَصب) .
ـ في الكتيبة الكامنة : نسيها ؛ وفي ط : نسيبها .

(٦) في الكتيبة الكامنة : « وطلّها » . ونبّه في الحاشية على رواية الديوان من إحدى نسخ مخطوطته المعتمدة .

(٨) البلابل الأُولى جمع بُلبل : طائر (صغير الجثة سريع الحركة ، يُضرب به المثل في طلاقة اللسان) . والبلابل الثانية : شدّة الهمّ ، والوسواس . والبلبال : شدّة الهمّ والوساوس والهياج والحركة . والبُلبل ـ في آخر البيت ـ الطائر المعروف المذكور أوّلاً .
ـ وفي البيت تعقيد لفظي سببه الرّغبة في استيفاء الجِناس .

(٩) استعمل الشاعر المهرجان بمعناه العام وصار يعني الاحتفال الكبير . وأصلُه عيد فارسي ؛ عرفه العرب نقلاً عنه . وهو في الخريف (عند نزول الشمس أول الميزان) .
ـ انظر في هذا : معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة : ١٤٧ . والْحَيا : المطر .

(١٣) سكّن ياء (الشجي) ضرورةً .

(١٦) ضبط الشاعر كلمة نَوْره بفتح النُّون . والإثمد : حجر معروفٌ يُسْحَقُ ويُكتحل به .

(١٩) الجامُ : إناءٌ من فضّة .

(٢١) في ط : فتبسّمت عن ثغرها . والقرقفُ : الخمر . والْمَنْدَلُ : العود الطيّب الرائحة .

(٢٣) قوله في آخر البيت (أو فَلِ) هذا على سبيل الاكتفاء ، والمراد أو فلأي شيءٍ كان ذلك ؟ أو فلماذا ؟ .

(٢٤) الثقيل الأوّل من مصطلحات الموسيقى .

وقال أيضاً في المعنى : **[من الكامل]**

١ شَقَّتْ على الأرضِ السَّماءُ جُيوبَها ... فالْمَحْ سَناها أو تَنَسَّمْ طيبَها
٢ أرْضٌ مُدَبَّجَةٌ وظِلٌّ وارِفٌ ... وشَذًى بهِ مَلأَ النسيمُ رحيبَها
٣ قد مدَّ طاووسُ الجمالِ جناحَهُ ... فيها فغطَّى غُصنَها وكَثيبَها
٤ ماشِئْتَ من وَشْيٍ بها، تَوْريدَها ... تَوْريسَها، تَفْضيضَها، تَذْهيبَها
٥ سَحبَ السَّحابُ بها فُضولَ ذُيولِه ... فَوشَى أباطِحَها ولَمَّ شعُوبَها
٦ فأتَتْ كما نَضَت العَروسُ نِقابَها ... وجَلتْ عن الوَجْهِ الجميلِ شُروبَها
٧ وادٍ بهِ نَفضَ الربيعُ عِيابَهُ ... وأرَى فُنونَ فُتونِه وضُروبَها
٨ أضفَى عليه النَّورُ من أثْوابِهِ ... خِلَعاً تُهذِّب نَشرَها تَهذيبَها
٩ في عاتِقَيْهِ من المِياهِ صَوارِمٌ ... يُبدي النَّسيمُ بمَتْنِها تَشْطيبَها
١٠ فالدَّوحُ بينَ مُدَمْلَجٍ ومُخلخَلٍ ... عنها غَدا جَرْسُ الْحُليّ نَسيبَها
١١ لا غَرْوَ إنْ ضَحِكَتْ مَباسِمُ زَهرِهِ ... فالْمُزنُ قد سَفَحت عَلَيْهِ غُروبَها
١٢ أو إن بَدا خَجِلٌ بخَدَّيْ وَرْدِهِ ... فالدَّوحُ قد شقَّتْ عَلَيْهِ جُيوبَها
١٣ أو أنْ يُغنّي بُلبلٌ في ظِلِّها ... طَرباً وقَد حاكَ البَديعُ نَسيبَها
١٤ ما مِثْلُ أيَّامِ الرَّبيعِ ونَهْبِها ... عَيشٌ يَطيبُ؛ فلا تُضِعْ مَنْهوبَها
١٥ واعطِفْ عَلى وجْهِ الزَّمانِ فَحَيِّهِ ... بتَحيَّةٍ تُنْسي ذُكاءَ غروبَها
١٦ واعدِل لِظلٍّ ألْعسٍ فارشُفْ بهِ ... كأسَ الْمُنى حتَّى تَطَعَّمَ طِيبَها
١٧ والْمَحْ صحائفَ ذا الوجودِ بعيْنِ مَنْ ... جَمعَ التفرُّقَ تَستَبِنْ مَكتوبَها
١٨ فَوراءَ هذا الْحُسنِ حُسنٌ قَدْ غَدا ... مَطلوبَ نفسِكَ لو دَرتْ مَطلوبَها
١٩ لولا اتِّقائي أن يُقالَ أخو صِبا ... لَرَشْفتُ من ثَغْرِ الأَقاحِ شَنيبَها
٢٠ أو أنْ يباهِتَ في الْمَلامةِ عاذِلٌ ... بسفاهِ حِلْمٍ لاعتنَقتُ قضيبَها
٢١ ورَفعتُ نَفْسي عن زِرايةِ غادَةٍ ... وجَعَلْتُ ذاكَ من الحِسانِ نَصيبَها

[٦]

جوّ القصيدة :

يصف الشاعر الأرض وقد ارتوت من ماء السَّماء ، واخضوضرت وتلوّنت ، وفاح عطرها ، وامتدّ ظلّها ، وانتثرت الأزاهير والأوراد والزّنابق (١ ـ ٥) . ويقول إن الأرض صارت عروساً كشفت عن وجهها المُشْرِق (٦ ـ ٧) . ويسترسل في وصف ماترى العين من ملامح الجمال ، وما تسمع الأُذن من أغاريد الطبيعة الناطقة ، وما تحسّه النفس من كلّ جانب من جوانبها (٨ ـ ١٠) ويذكر حسن ماصنعت المُزْن في توريد خُدود الورد ، وما حَرّضَ الجمالُ والظّلالُ البلبلَ على السَّجع والتطريب (١١ ـ ١٣) ويذكر أيام الربيع وحسن العيش فيها (١٤ ـ ١٦) ويدعو الإنسان إلى التأمّل والتفكر ، وإلى الشكر ، وإلى أنّ وراء هذا الحسن صانعاً مدبّراً مصوّراً (١٧ ـ ١٨) ويستغرق في الطبيعة التي (يقول إنها) تُغنيه عن كل حسناء رائعة الجمال (١٩ ـ ٢١) .

[٦]

الشروح :

(١) الجيب في القميص والثوب ونحوهما : طوقه ؛ وهو ما ينفتح على النَّحر ؛ استعاره الشاعر للسَّماء . يريد أنّ ماء السماء انهمر غزيراً فكأنه فاض من جيب السَّماء (المشقوق على الأرض) فيضاً .

(٢) دبّج المطرُ الأرضَ : زيَّنها بالنبات .

(٣) جعل للجمال طاووساً يمدّ جناحيه ؛ وإنما أوحى إليه بهذه الصُّورة وفرة ألوان الطبيعة في الربيع ، والرّياض مُرتوية ، والزمانُ مشرق .

(٤) التوريد من لون الورد ، والتوريس من لون الورس (صبغ معروف) والتفضيض والتذهيب من ألوان الفضة والذهب .

(٥) الشَّعب : التفرّق . والبَطْحاء : مسيلٌ واسع فيه حصى الوادي اللين وتُرابُه ممّا جرفته السُّيول (والجمع بطاح وبطحاوات) .

(٦) نضت نقابها : رفعته ، وخلعته . والشُّرْبة : الحمرة في الوجه (تكون بفتح الشين وضمّها) .

(٧) العياب جمع العَيْبة : وعاء من أدَم (جلد) يكون فيه المتاع .

(٩) شطب السّيف : خطوط وطرائق تلمع في متنه من شدّة جريان مائه وصفاء فرنده .

(١٠) مُدَمْلَج : لبس الدُّملج وهو حلي يلبس في العَضُد . ومُخَلخل : لبس الْخَلْخال .

(١١) غروب جمع غَرْب : وهو الدَّلْو العظيمة يُستقى بها على السّانية (كالناعورة) .

(١٥) ذُكاء : اسم علم للشمس .

(١٦) اللَّعَسُ : سواد (سُمرة) مستحسن في الشفة .

(١٩) الشّنب : ماء ورقّة وبرد وعذوبة في الأسنان .

(٢٠) باهَت الرجل : أتى بالبهتان . وبَهته : قال عليه مالم يفعل وأخذه بغتة . والقضيب هنا : القامة .

(٢١) آخر أبيات ابن خاتمة هذه يشرب من شعر ابن فرج الجيّاني وأوّله :

وطائعة الوصال عففت عنها ... وما الشيطان فيها بالمطاع

(اطلبها في كتابنا : المختار من الشعر الأندلسي ـ طبع دار الفكر) .

[٧]

يتحدث الشاعر عن الحبّ الكبير العظيم ، الذي يتجاوز كل حبّ دينوي ، ويُخبر عن نفسه بصيغة الغائب (على طريقة الالتفات) ليذكر دمعَةَ المسكوب ، وصبره النّافد (١ ـ ٤) ويعلن أنه شرب كأس الهوى ، ولا يجد محبّاً عاشقاً مثله (٤ ـ ٨) ويتمنّى لو يجد من يبثه (حديث ليلى) ـ وهي ليلى في رموز الصُّوفيّة ؛ والتي قال فيها أبو الحسن الششتري الأندلسي (ديوانه : ٣٦٤) ـ :

سلبت ... ليلى ... منّي العقـــــلا

قلت يـــــا ليلى ... ارحمي القتـــــلا !

قالوا : هي « الأنثى الكلّية ، والوردة الحمراء ... » .

ويقدّم الشاعر أوصافاً لذاك الذي يمكن أن يستودعه سرّه (٩ ـ ٢٠ (ويخرج إلى ذكر بعض اللطائف والبدائع من دوران الأفلاك ونضرة الروض وابتسام الزّهر ، ونزول القطر ، وأنفاس النَّسيم .. إلخ (٢١ ـ ٢٩) ، ويختم ببيان حبّه الإلهي الذي لا يشبهه حُبّ ؛ ويحكي عن نفسه لوعتين ، على حين يعاني العشاق من لوعة واحدة ! (٣٠ ـ ٣٣) .

[٧]

وقال أيضاً : [من البَسيط]

١ وَشَى بسِرِّكَ دَمــعٌ ظَــلَّ يَنْسَكِبُ وغــالَ صَبركَ صَــدْعٌ ليسَ يَنْشعِبُ
٢ فَما اعتِــذارُكَ لِــلاَّحي وقَــدْ هَتكَتْ عنـكَ الحِجـابَ أُمورٌ ليسَ تَنحجبُ
٣ هَيْهاتَ عنـدي جَـوىً لـوفَضَّ بادِرةً منـهُ على الشُّهْب مـا دارَتْ بـهِ الشُّهُبُ
٤ مـا كُـلُّ جُرحٍ جَناهُ طَرفُ ذي حَـوَرٍ كُــلاًّ ، ولا كُــلُّ سُكْرٍ جرَّهُ شَنَبُ
٥ شَربتُ كأْسَ الهَـوى وَحـدي مُعَتَّقـةً والعـاشقونَ ـ جَميعـاً ـ فَضْلَها شَربوا
٦ فَمَنْ يَكُنْ عـاشِقـاً مِثلي يَحـقُّ لـهُ ألاَّ يُبـــالي أقـــامَ الْحَيُّ أمْ ذَهبــوا
٧ فِي وَجْـهِ مَنْ هَـامَ قَلبي فيــهِ لي شُغُـلٌ عنْ كُلِّ شُغلٍ ، فلا يُزْري بكَ الرَّغَبُ
٨ وجــهٌ إذا انتَسبَتْ كُـلُّ الـوُجـوهِ إلى حُسنٍ فَما لِســـواهُ الْحُسْنُ ينتسبُ
٩ يــا لهفَ نَفْسي على خِـلٍّ أُفـاوِضـهُ حَـــديثَ لَيْلَى فَيُصفي لي كَما يجبُ
١٠ مُطَهَّرِ السَّمــعِ لا يَثْني لِــلائِمــةٍ وَجْهاً ولا يَـزدَريـه الْمَيْنُ والكَـذِبُ
١١ أبثُّــــه سِرَّ حُسْنٍ جــــلَّ مُضمَرُهُ عنْ أن تُطــالعــهُ الأقـلامُ والكُتُبُ
١٢ فيــه شِفــاءٌ من الــدَّاءِ العَيــاءِ سِوى أنَّ القُلـوبَ إلى نَجْـواهُ تَنجــــذِبُ
١٣ فَــلا تظنَّنَّ أنْ يُصْغي لِنَغْمتِــــهِ قلبٌ فَيُسلِمَــهُ أُخرى المــدى وَصَبُ
١٤ سِرٌّ مِن الْحُسْنِ لـو يُجلَى سَنـاهُ عَلى أعْمَى لأبصرَ مـا قَــدْ وارَتِ الْحُجُب !
١٥ أو قيــلَ في أُذُنٍ صَمَّـــاءَ أسْمَعَهـــا أو رامَــهُ أخرسٌ دانتْ لَــهُ الْخُطَبُ
١٦ أو خَــــطَّ في وَجْنَتيْ مَيْتٍ لأنشرَهُ وقـــامَ للحِينِ في أثــوابِـــهِ يَثِبُ
١٧ فهـل بـذا الْحُسنِ مـا يُصغَى لنـاعِتــه أو بالَّـذي قـد بَـدا من نَعْتِـهِ عَجَبُ ؟
١٨ هَبْ صَحَّت الكِيْمِيا أيْنَ الْمُصيخُ لَها هَيْهاتَ قَـدْ صَعُبَ الْمَطْلوبُ والطَّلَبُ
١٩ عَــزَّ الرجــالُ فهَـل مَنْ يُستراح لـهُ بنَفْثَــةٍ دونَهــا الأرجــاءُ تضطربُ ؟!
٢٠ كرِّرْ لِحـاظَـكَ في هـذا الوُجودِ تَجِـدْ عن ذلـكَ السِّرِّ مــا يَبْـدو ويَحتَجِبُ
٢١ فَعَنْ لَطــائِفِـــهِ الأفــلاكُ دائرةٌ والشَّمْسُ حــاسِرةٌ والبَــدرُ مُنْتَقِبُ

٢٢ والرَّوض مُلْتَحِفٌ والغُصْنُ مُنْعَطِفٌ والزَّهْرُ مُبْتَسِمٌ والقَطْرُ مُنتَحِبُ
٢٣ ومِلْ بِسَمْعِكَ للطَّيرِ الْمُرِنِّ إذا نَمَّ الصَّباحُ فعنهُ ذلِكَ الطَّرَبُ
٢٤ ولِلمِياهِ فَفِيهِ ماتَراجَعَهُ ولِلْحَلْيِ ففيهِ الْحَلْيَ يَصطخِبُ
٢٥ وشُمَّ إنْ شئتَ أنفاسَ النَّسيم إذا ما حَمَّلْتهُ شَميمَ الرَّوضةِ السُّحُبُ
٢٦ تَجِدْ عَليهِ أريجاً عَرْفُهُ عَبِقٌ لا شَكَّ أنَّ شَذاهُ منهُ مُكْتَسَبُ
٢٧ في كُلِّ حُسنٍ لـه مَعْنًى يُشاهِدُه قَلْبٌ خَلا عنهُ إفكٌ وامَّحَتْ رِيَبُ
٢٨ لا يَطمعُ الطَّرْفُ أن يَحْظَى بملْمَحَةٍ مِن حُسنهِ ولِغَيْرٍ عِنْدهُ أربُ
٢٩ ما بَعْدَ الرَّاحَ عَن عَلياءِ حَضْرتهِ شَيءٌ ، سِوى أنَّها قَدْ خانَها الأدبُ
٣٠ وعاذلٍ ما دَرى مِقْدارَ مَوْجِدتي يَظُنُّ أنِّيَ مِمَّنْ سَعيُهُ خَببُ
٣١ عَنِّي بلومكَ إنِّي عَنْهُ في شُغُلٍ ما كلُّ مُلتهب الأحشاءِ مكتئبُ !
٣٢ لي لَوعَتانِ وللعُشَّاقِ واحِدةٌ شَيءٌ تفرَّدتُ فيهِ ، والهَوى رُتَبُ
٣٣ أرضَى لِمَنْ ظَلَّ يَلحاني بِحالتهِ يَقضي الْمَدى وهوَ لم يَعْلَق بهِ سَبَبُ

[٧]

الشروح :

(١) غاله يغولُه : أهلكه . وانْشَعب الشيء : انْصَلح والتأم (ويقع انشعب بمعنى تفرّق في مجالٍ آخر ، والكلمة من الأضداد) .

(٢) اللاّحي : اللائم .

(٣) البادرة من الشرّ : أوّل ما يبدرك منه (الجمع بوادر) .

(٧) الرَّغَبُ من : رغب إليه رغباً : تضرّع وسأل .

(٩) ليلى (انظر : جوّ القصيدة) .

(١٠) المين : الكذب ، والجمع مُيون .

(١٢) داءٌ عَياءٌ : صعبٌ لا دواء له أعيت الأطبّاء مداواته .

(١٣) الوصبُ : المرض والوجع الدّائم والجمع أوصاب .

(١٦) أنشر الله الميت : أحياه .

(١٨) الكيمياء : الإكسير ، أو : دواءٌ يُحْمَلُ على معدنيّ فَيُجريه في الفلك الشمسي (الذهب) أو القمري (الفضّة) . وهي محاولاتهم الطويلة لتحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة !

(٢٣) الطيرُ المُرِنُّ : الذي يصوّت أصواتاً شجية (حزينة) .

[٨]

وقال أيضاً يُسَمِّطُ قصيدةَ الشَّيخ الصوفي شهاب الدِّين أبي عبد الله بن الخِيَمي(*) رضي اللهُ عنهُ ورحمَه :

[من البسيط]

١ منكَ التجلِّي ومنَّا السَّترُ والحجُبُ وكل نُعمى فَمِن عُلياكَ تُرتَقبُ
وأنتَ أنتَ الَّذي أبْغي وأطَّلِبُ يا مَطْلباً ليسَ لي في غَيرِهِ أربُ
إليكَ آلَ التَّقصِّي وانْتَهى الطَّلبُ(**)

٢ يا حاضراً سِرُّهُ عِندي، وفيَّ، ومَعي أغَيْرَ ذِكْرِكَ أُمْلي أمْ سِواهُ أعِي
تاللهِ ما راقَ عَيْني حُسْنُ مُرتَبعِ ولا طمَحتُ لِمَرْأى أو لِمُسْتَمَعِ
إلاَّ لمعنًى إلى عُلياكَ ينتَسِبُ

٣ لقد أبى فيكَ صَبري أنْ يُجامِلني وجَلَّ فيكَ غَرامي أن يُشاكِلَني
وَدَدْتُ أرْدَى ولكنْ لن تُعاجِلَني وما أرانيَ أهلاً أن تُواصِلَني
حَسْبِي عُلُوّاً بأنِّي فيكَ مُكتَئِبُ

٤ يا عِزَّةَ العَبْدِ بينَ الذُّلِّ والرَّهَبِ وراحةَ الصَّبِّ بينَ الْجَهْد والنَّصَبِ
حَسْبِي من الوَصْل أني لَسْتُ ذا طَلَبِ لكنْ يُنازِعُ شَوْقي تارةً أدَبي
فأطْلُبُ الوَصْلَ لَمّا يضعُفُ الأدبُ

٥ ها فارمُقوني تَرَوا صَبّاً بلا رَمَقِ مُقَسَّمَ الدَّهرِ بينَ الوَجْدِ والْحُرَقِ
فاليومُ في وَلَهٍ واللَّيلُ في أرقِ ولستُ أبرحُ في الحالَيْنِ ذا قَلَقِ
نامٍ وشوقٍ لهُ في أضْلُعي لَهَبُ

٦ أيْن التجلـدُ؟ مـــا للقلبِ ضَيَّعَـــهُ؟ من مُنْصِفي مِن فُـؤادٍ خـانَ أضلُعَـهُ
ومِن ضَميرٍ أبـــانَ الشَّـوقُ مُـودعَـهُ ومَـــدْمَـعٍ كلَّما كَفْكَفتُ أدمُعَــــهُ
صَوناً لِحبُّكَ تَغْصيني وتَنسكبُ

٧ هَـلْ مِن صَـديـقٍ لِنَجوى أو مكاتمَـةِ أمَّـــا العَـزاءُ فَقـــد وفَّى مُصـارَمَتي
حَسْبي الأسَى لِخُلـوِّي أو مُنـــادَمتي ويـدَّعي في الهـوى دَمْعي مُقـاسَمتي
وَجْدي وحُزني ويَجري وهو مُخْتَضِبُ

٨ هَيهـات غَصَّ بطعمِ الطَّعنِ مَن نَجـلا وأشْعـلَ الـوَجـدَ مَن في قَلبـهِ اشْتَعـلا
أيْنَ التمثُّـلُ مِمَّنْ قــد غَـــدا مَثـلا كالطَّرفِ يَـزْعُم تـوحيـدَ الحبيبِ، ولا
يَزالُ في لَيْلهِ للنَّجمِ يرتقِبُ

٩ مـا لي ومـا لِفُـؤادٍ إن أرُضْـهُ عَســا وخـــاطِرٍ كلَّما غَرَّبْتُـــهُ أنِســـا
ومَـــدْمـعٍ كُلَّما كَفكفتُـــهُ انْبَجَســـا يا صاحبي قد عَدِمْتُ الْمُسعِدين (فَسا
عِدْني) على وَصَبي، لا مسَّكَ الوَصَبُ!

١٠ يـا حـاديَ العِيسِ رِفْقاً في السُّرى بِهِمِ هُمُ بَقـــايـــا جسُـومٍ فـوقَ مِثْلِهمِ
وأنتَ أيضـــاً وقـــاكَ اللهُ مِنْ ألمِ بـاللهِ إنْ جئتَ كُثبـانـاً بـذي سَلَمِ
قِفْ بي علَيها وقُل لي: هذهِ الكُثُبُ!

١١ ولْتَنْـزِلَنْ لي لَـديهـا لا ضَللتَ سُرى وسِرْ برَحْلي وذَرْني أنـــــدبُ الأثَرا
أُعفِّرُ الْخَـــــدَّ بين التُّرب مُنْكَسِرا ليقضيَ الخَـــدُّ في أجْرَعِهـــا وطَرا
من تُربها ويُؤدِّي بَعْضَ ما يَجبُ

١٢ يـا صاحِ والقَلْبُ لا يَصْحـو لـلائِمَـةٍ بـــاللهِ إنْ ملتَ من نَجـدٍ إلى سمـةٍ
عـارضْ صَبـاهـا لتَشفيني بنـاسِمـةٍ ومِـلْ إلى البـانِ من شرقيٍّ كاظمــةٍ
فَلِي إلى البانِ من شَرْقيِّها طَرَبُ

١٣ قُـلْ أيّ مَغنى زكتْ في الطِّيب تُرْبَتُـهُ تَحـــدو النُّفـوسَ لِلُقيـــاهُ مَحبَّتُـــه
وتَـزجُر اللَّحْـــظَ عَنْ مَرآهُ رَهبتُـــهُ أكرِمْ بـــهِ مَنزِلاً تَحميـــهِ هَيْبَتُـــه
عَنّي وأنوارُه، لا السُّمرُ والقُضُبُ

١٤ إيـهِ خليلي بِـوُدِّي فيـكَ لا نُبِـذا   شِمْ ذا البَريقَ وخُذْ بي حيثُ مـاأخَـذا
وحـاذِهِ فهـو من آمـالِنـا بِجِـذا   ومِـلْ يَميناً لمغنًى تَهْتـدي بِشَـذا
نَسيمِهِ الرَّطبِ إنْ ضَلَّت بكَ النُّجُبُ

١٥ فازَتْ نفوسٌ قُبيلَ العيسِ قـد ظَعَنتْ   وشاهَدَتْ حُسْنَ من تَشتاقُـه ودنَتْ
أحْبِبْ لِقَلبي بِمثـواهـا لقـد أمِنَتْ   ففيهِ عاهَدْتُ قِدْماً حُبَّ مَنْ حَسُنَتْ
بِهِ الملاحَةُ واعتزَّت بِهِ الرُّتَبُ

١٦ خـاطِرْ بنَفْسكَ فـالبَلْوى تُمَخِّضُهـا   كمالَ ذاتِـكَ في العُليـا تُعَرِّضُهـا
حَيثُ المحـاسنُ أجْـلاهـا وأغْمَضُهـا   حيثُ الهِضـابُ وبَطحاها يُرَوِّضُهـا
دَمْعُ الْمُحبِّين لا الأنداءُ والسُّحبُ

١٧ مَنْ لي وأحْلى أمـاني الْحُبِّ أكْـذَبُهـا   بـأنْ يُسـاعِـدَ نَفسي فيـهِ مـأرَبُهـا
فَيَنْتهي الـوَجْـدُ أو يَرْضى مُعَـذِّبُهـا   دَعْني أُعَلِّـل نَفْسـاً عَـزَّ مَطْلَبُهـا
فيهِ وقَلباً لغَدْرٍ ليسَ يَنقلبُ

١٨ يـا مـانحَ العَتْبِ والإنصـافُ يُعتِبُـه   لم تَـدْرِ أنَّ عنـاءَ الصَّبِّ مَطْلَبُـه
دَعني فبـالقلب بَـدْرٌ عَـزَّ مَرْقَبُـهُ   دانٍ وأدْنى وعِـزُّ الْحُسْنِ يَحْجُبُـه
عَنِّيْ، وذُلِّيَ والإجلالُ والرَّهَبُ

١٩ تَـوَلُّـهُ الصَّبِّ حَلْيٌ فـوقَ حِليتِـهِ   فَمَنْ لَحـاهُ نَهـاهُ عن سَجيَّتِـهِ
إنَّ الَّـذي صَـانَ قلبي في طَـوِيَّتِـهِ   أحْيـا إذا مِتُّ مِن شَـوقي لِرُؤْيتِـهِ
فإنَّني لِهَواهُ فيهِ مُنْتَسِبُ

٢٠ هَـلْ للْمُحبِّ سرورٌ بعـدَ تَرْحَتِـهِ   آهٍ لِـوجْـدٍ كَـوى صَـدري بِلَفحتِـه
جِسْمٌ تَفـانَى وقَلْبٌ رَهْنُ قَرْحَتِـهِ   ولَسْتُ أعجَبُ من حُبِّي وصِحَّتِـه
من صِحَّتي إنَّما سُقْمي هو العَجَبُ!

٢١ للهِ لمحَـةُ حُسنٍ صَـحَّ مُـدْنَفُهـا   سَرَتْ بِقلبي فَتَصريفي تَصَرُّفهـا
قَـدْ مِتُّ عنهـا ولكنْ لَستُ أُنْصِفُهـا   والَهْفَ نفسيَ لـو يُجْـدي تَلَهُّفهـا
غَوْثاً، وواحَرَبي لو يَنْفَعُ (الحرَبُ)

٢٢ يـا ليْتَ شِعريْ وفي دَهْري مُخـالَفـةٌ هَـلْ مِنْهُم لِيَ قُرْبى أو مُعـاطَفـةٌ
أو رحمـةٌ أو حُنـوٌّ أو مُـلاطفـةٌ يَمضي الـزَّمـانُ وأشواقي مُضـاعَفـةٌ
يا لَلرجالِ ولا وَصْلٌ ولا سَبَبُ !

٢٣ لو كنتَ للوصْل أهلاً مـا تُركتَ سُدى كم مُـدَّعٍ وهـوَ في دَعـواه قـد جَحَـدا
مـا كلُّ نُورٍ تَبـدَّى للعُيـونِ هَـدى يـا بـارِقـاً بـأعـالي الرِّقمتين بَـدا
لقد حَكَيْتَ ولكنْ فاتَكَ الشَّنَبُ

٢٤ آهٍ لنـارٍ عَلى الأحشـاءِ ضـارِمـةٍ بـاللهِ ريـحَ الصَّبـا حَيِّيْ بنـاسِمَـةٍ
تُحْيِي ذَمـا مُهْجـةٍ للبُعْـدِ هـائِمـةٍ ويـا نَسيمـاً سَرى من جَـوٍّ كاظمـةٍ
باللهِ قلْ ليَ كيْفَ البانُ والغَربُ ؟

٢٥ إيـهٍ فَـداكَ مُحِبٌّ ليلـهُ يَقِـظُ كيفَ الأحبَّةُ هَلْ راعَوا وهَلْ لَحَظـوا
مُحبُّهم : فَرضـوا قُربـاه أمْ لفَظُـوا وكيف جيرَةُ ذاكَ الْحَيِّ هَـلْ حَفِظـوا
عَهداً أُراعيهِ إن شطُّوا وإن قَرُبوا ؟

٢٦ يـا سَعْـدُ والقَلبُ لم يُسعِـدْهُ غيرُهَم تُراهُم ـ وبطَيِّ الصَّـدرِ سِرُّهَم ـ
رَعَـوْا مُعَنًّى بهِمْ أضنـاهُ هَجرُهَم أمْ ضَيَّعـوا ومُرادي مِنـكَ ذِكرُهَم
همُ الأَحبَّةُ إن أعطَوا وإن سَلَبُوا

٢٧ هُمُ الملـوكُ وإنِّي عَبْـدُ مَجْـدِهِمُ حَسْبي عُـلاً أنَّني صَبٌّ بـوُدِّهِمُ
مـاقـدرُ منعِهِمُ في جَنْبِ رِفْـدِهِمُ إن كان يُرضيهمُ إبعـادُ عَبْـدِهِمُ
فالعبدُ منهم بذاكَ البُعْدِ مُقْتَرِبُ

٢٨ نحنُ الْمُحبِّينَ لانُعْـزَى إلى طَلَبٍ رِضى الأحبَّـةِ عَنّـا غـايـةُ الأربِ
إنْ كانَ وصْلُهُم تِهْنـا من الطَّربِ والْهَجْرُ إن كانَ يُرضيهمْ بـلا سَببِ
فإنَّهُ منْ لَذيذِ الوَصْلِ مُحْتَسَبُ !

٢٩ مـا خَيَّبُوا قَـطُّ حـاشـاهم مـؤمِّلَهمْ قَلبي بهِمْ آهِـلٌ لازالَ منزلَهُمْ
إن أظْهروا الْحُسْنَ لم أُغْفِـل تَـأمُّلَهمْ وإنْ هُمُ احتَجبُوا عنِّي فـإنَّ لَهُمْ
في القلبِ مَشْهودَ حُسنٍ لَيْسَ يَنْحَجبُ

٣٠ حَسْبُ الْمُتَيَّم أن يحـــــدو مَحَجَّتهمْ فَقَــدْ أقــامَ العُـلا والعِـزُّ حُجَّتَهُمْ
بُــدورُ تمٍّ أبــانَ الصِّــدقُ لَهجتَهُمْ قــد نَـزَّه اللطفُ والإشراقُ بَهْجَتَهُمْ
عَنِ أنْ تُمنِّعَها الأستارُ والْحُجبُ

٣١ هُمُ الأهِلَّـــــة لاتَخفى لِمُرْتَقِب أدارَهُمْ فَلَـــكُ العُليـــا على قُطُب
تُرْبي مَحــاسِنُهم عَــدّاً على الشُّهب مـــا يَنْتَهي نَظري مِنهمْ إلى رُتَب
في الْحُسْنِ إلاّ ولاحَتْ فوقَها رُتَبُ

٣٢ كالُ كُـــــلِّ جَمالٍ من كالِهِمُ وسِرُّ كلّ عــلاءٍ مِنْ جــلالِهِمُ
كلُّ القلـوبِ هَيــامَى في خِــلالِهِمُ وكُلَّما لاحَ معنًى من جَمالِهِمُ
لبَّاهُ شَوقٌ إلى مَعناهُ يَنتَسِبُ

٣٣ كَمْ ذا أُورِّي وكِتمانُ الهـــوى نَصَبُ خيرُ الوَرى مقْصدي والصُّحبةُ النجُبُ
مــالي ـ وحَقِّهمُ ـ في غيرِهمْ أرَبُ أظَـــلُّ دَهري وليْ من حُبِّهمْ طَرَبُ
ومن أليمِ اشتياقي نَحوَهمْ حَرَبُ

(☆) شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن الخَيمي ، الأنصاري ، اليَمني الأصل ، المِصري الدّار . قال ابن شاكر في ترجمته (فوات الوفيات ٤٥٨/٢ ـ ٤٦٩) : إنه كان الْمُقدَّم على شُعراء عصره ، وعانَى الخدمة الديوانيَّة ، وباشر وقف مدرسة الشافعي وغيره ، ووصفه بالأمانة والمعرفة ، وبالبديهة والذَّكاء . وقال عن شعره « إنه في الذروة » . وكانت وفاة ابن الخيمي في القاهرة سنة ٦٨٥ عن اثنتين وثمانين سنة . وانظر شذرات الذهب ٣٩٣/٥ ، والوافي بالوفيات ٥٠/٤ و Brock. (GAL) 1. 466 .

ووجدتُ في مقدمة ديوان ابن الفارض خَبراً ملخّصه أن الشيخ شهاب الدين السَّهروردي شيخ الصوفيّة حج سنة ٦٢٨ ولقي ابن الفارض ؛ قال وَلَدُ ابن الفارض : « فاستأذن السَّهروردي والدي أن يُلبسني ويلبس أخي عبد الرحمن خِرقة الصُّوفية على طريقتهِ فلم يأذنْ له ، وقالَ له : ليست هذه طريقتنا ؛ فلم يزل يُعاوده إلى أنْ أذِنَ له . فلبستُ منه أنا وأخي ، ولبس مَعنا بإذن والدي رضي الله عنه أيضاً شهابُ الدين بن الخَيمي وأخوه شمس الدين ، فإنَّهما كانا عند والدي في منزلة الأولاد » . ديوان ابن الفارض بشرح البوريني والنابلسي (مصر ١٣٠٦) ص ١١ .

(☆☆) قصيدة ابن الخيمي في فوات الوفيات ٤٥٩/٢ ـ ٤٦١ . والوافي بالوفيات ٥١/٤ ـ ٥٣ . ولها قصة طريفة ، وفيها أن (نجم الدين بن إسرائيل) حجَّ فرأى ورقة ملقاة فيها القصيدة التي لابن الخيمي البائية فادَّعاها . واجتمع الشاعران بحضرة جماعة من الأدباء ، وجرى الحديث ، فتحاكما إلى شرف الدين بن الفارض ، فسألهما أن ينظما على الوزن والروي ، فنظم ابن الخيمي قصيدته :

لِلهِ قومٌ بجرعاء الحِمى غُيبُ   جَنَوْا عَليَّ ولما أنْ جَنوا عَتبوا

ونظم ابن إسرائيل :

لم يَقض من حقِّكم بعض الذي يجبُ   صَبٌ مَتى ماجرتْ ذِكراكُمُ يَجِبُ

فلما وقف عليهما ابن الفارض حكم لابن الخيمي .

ونقل المقري في نفح الطيب (٢٦٢/٥) ملخصاً للخبر عن جده المقري الكبير ، عن أبي حيان الأندلسي ، عن ابن الخيمي ، ولكنه سمّاه ثمة (عمر بن الخيمي) . وانظر أيضاً النفح ٦١٩/٢ . وقال الصَّفدي في الغَيث الْمُسجم ١٧٨/١ : « أخبرني الشيخ الإمام الكامل القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود قال : قلت للشيخ نجم الدين بن إسرائيل : لأيِّ شيء قصّر قولك :

لكدتَ تُشبه بَرْقاً من ثُغورِهم   يا دُرَّ دَمعي لولا الظَّلْمُ والشَّنَبُ

عن قول ابن الخيمي :

يا بارِقاً بأعالي الرَّقْمَتَين بَدا   لقد حَكَيتَ ولكنْ فاتَكَ الشَّنَبُ ؟

فقال : لأنه شاعر جيّد تناول معنى بِكراً فأجاد فيه ولم يدع فَضلةً لغيره » .

ونجم الدين هذا هو : محمد بن سوار بن إسرائيل ، أبو المعالي ، الشاعر المشهور . ولد بدمشق وبها توفي سنة ٦٧٧ عن أربع وسبعين سنة . وله ترجمة في الفوات ٤٣١/٢ ، والشذرات ٣٥٩/٥

[٨]

جوّ النصّ :

في أصل المؤلف : وقال أيضاً يخمّس ، وفي الحاشية بخط المؤلّف عندها : يُسَمّط . والْمُسَمّط من الشعر : أشطارٌ من الشعر : لكل أربعة أو خمسة (أو أكثر) قافية مشتركة ثم تجيء الأخيرة بقافية أخرى . وهذه القافية الأخيرة تستمر مع المسمط إلى آخرها (فكأنها قافية القصيدة) وأكثر التَّسميط مُخَمّس (أربعة أشطار بقافية وخامس بقافية مخالفة) . ويكون

التسميط من شعر الشاعر ، وقد يسمط قصيدة غيره ، فيجيء بثلاثة أشطار (في التسميط المخمّس) من نظمه ثم يعقّب ببيت من أبيات القصيدة . وتكون أشطاره الثلاثة كل مرّة موافقة لقافية صدر البيت . كالذي نراه في تخميس ابن خاتمة لقصيدة ابن الخيمي .

وقصيدة ابن الخيمي في ٣٢ بيتاً في الوفيات والوافي ، وهي في تخميس ابن خاتمة في ٣٣ بيتاً ؛ والزيادة بيت بين ١٨ و ١٩ .

وقصيدة ابن الخيمي من الشعر الوجداني الصوفي الرّقيق ، البعيد عن غلوّ الصوفية المعهود وعن إشاراتهم الشاقّة . والشاعر يستلهم نفحات نجدية وحجازيّة بألفاظ عذبة وعباراتٍ مُشرقة ، منسابة ؛ وكأنّها بسط لمشاعر المحبة عند شعراء الغزل العُذري .

وقد جارى ابن خاتمة الأندلسي صاحبه ابن الخيمي المشرقي في سلوكه ونسج على منواله ، فخرج النصُّ منسجماً بعضه إلى بعض ؛ في غاية الخفّة والرقة والعذوبة .

[٨]

الشروح :

(٢) لم يرد بيت ابن الخيمي في فوات الوفيات . وفي الوافي : وما طمحت لمرأى ...

(٦) في ط : من منصفي من ردي .

ـ وفي فوات الوفيات : كلما كفكفت صيّبه .

وفي ط : صوناً لحكمك . وفوقها إحالة على الحاشية بخط مرسوم ، ولم يظهر في الصورة كلام على حاشية الكتاب . وفي الوافي والفوات : صوناً لذكرك .

(٧) في الوافي : فيجري وهو مختضب .

(٨) يقال : نَجَله بالرُّمح : طعنه فأوسع شقّه ؛ والطعنة نجلاء .

(٩) في ط : مالي ولفؤادي ... وخاطري .

ـ وراض الْمُهْرَ رياضاً ورياضة : ذلّله . وعَسا الشيء عُسُوّاً وعساءً : يبس واشتدّ وصَلُب . والوَصَبُ : الْمَرض .

(١٠) في الفوات والوافي : إن جزت .

(١١) في ط ، والفوات والوافي : أجراعها . وفي الأصل المخطوط : أجرعها .

وفي كتب اللغة : الأجرع : المكان الواسع فيه خُشونة وحزونة . والأجارع جمع الأجراع : وهي الرَّملة الْمُنبتة لا وعوثة فيها ، والأرض ذات الحزونة تشاكل الرَّمل .

(١٢) في النصّ عدد من أسماء المواضع في الجزيرة العربية : البان : موضع ، وهو من عن يمين طريق المُصْعِد من الكوفة على ميل من أفيعيه وأفاعية ؛ وكاظمة على سِيْف البحر (ساحله) من طريق البحرين من البصرة ؛ بينها وبين البصرة مرحلتان وهي اليوم في الكويت . ونَجْد : معروف . وسمة ؟

(١٣) في ط : زكت في اللطف .

(١٤) في الفوات والوافي : وخذ يميناً .

ـ والنُّجُبُ جمع النّجيب وهو الحسيب الكريم (والجمع أنجاب ونجباء ونُجب) . وناقة نجيب والجمع نجائب . وفي الأساس : له نجيبة ونجائب ونُجب .

(١٥) في ط : قطعت .

ـ وفي الفوات والوافي : عاينتُ قِدماً .

(١٦) في الفوات : حيث الرُّضاب . وفي الوافي : الأنواء والسُّحب .

(٢٠) في الفوات والوافي : « من حُبّه إنّما » . وهو معنى قول الشاعر :

تعجبينَ من سَقَمي صِحّتي هِيَ العَجَبُ !

(٢١) في الفوات والوافي : لو أجْدى .

ـ وفي الأساس : « وقد حُرِب مالُه أي سُلِبَهُ (بالبناء للمجهول) ومنه : واويلاه وواحَرَباه » .

(٢٢) الرَّقمتان تثنية الرَّقمة . وهما موضعان . وقد ذكرهما الشعراء .

ـ الشَّنَبُ : ماء ورقّةٌ وعذوبة في الأسنان .

(٢٤) الذَّماءُ (وسهّلها الشاعر فحذف الهمزة) بقيّة النَّفَس أو قوّة القلب . وفي الصحاح : الذماء : بقية الروح في المذبوح .

ـ والبان : شجر لحبّه دهنٌ طيب . والغَرَبُ : شجرٌ تُسَوّى منه الأقداح البيض .

وفي الفوات والوافي : البان والعَذَبُ .

(٢٨) هذا قريب من معنى قول أبي الطيب :

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكمُ ألَمُ !

(٢٩) في الفَوات والوافي : يحتجب .

(٣٠) المحجّة : جادّة الطريق .

(٣٢) الخِلال جمع الْخَلّة وهي الْخَصْلَة .
- وفي الفوات والوافي : منتسب .

[٩]

وقال أيضاً مُسَمّطاً : [من الطويل]

١ وعاذلةٍ في الْحُبِّ أزرى بها الْجَهلُ تُسفِّهُ تَجْري حينَ لم تَدْرِ ما الفَضْلُ
إليكِ فَما عَقلٌ تخادِعُنَهُ عقلُ شِرى وصلِهم بالرُّوحِ عِنْدي لا يَغْلُو
فلا لَوْمَ يُسلي عَنْهُمُ لا ولا عَذْلُ
٢ وكيفَ بأنْ أُصغي لِلَوْمٍ عَليهمُ وكلُّ نَعيمٍ أرتجي في يَدَيْهِمُ
ولما رأيتُ العَيْشَ غَضّاً لَديهمُ خَرجتُ عن الدُّنيا فقيراً إليهمُ
وفي حُبِّهم لا مالٌ يَبْقى ، ولا أهْلُ
٣ بِحَسْبيَ أن أُمسي رَهيناً بِضَيْرِهِمْ ولا أرتجي خَيْراً سِوى نيلِ خَيْرِهِمْ
يقولون : جارُوا ! قُلْتُ : أرضى بجَوْرِهِمْ فلا تَحْسبوا مِنِّي فَراغاً لِغَيْرِهِمْ
فَعَنْ كُلِّ شُغلٍ عندَ قلبي لَهُم شُغْلُ
٤ رَضِيْتُ بأن أقْضي هَواهُمْ تَعَلُّلا ولا يَهْتِفَ العُذَّالُ أنِّي مَنْ سَلا
أمثليَ يَرضى أنْ يُنَكِّبَ عَنِ عُلا دَعُوني على أبْوابهم مُتَذلِّلا
فَمِنْ بعدِ عِزِّي لَذَّ لي فيهمُ الذُّلُّ
٥ هُم الدينُ والدُّنيا وحَسْبُك خُلَّةً كُسيتُ بِهِمْ للرِّقِّ أشرفَ حُلَّةً
بها قامَتِ الأكوانُ نحوي تجلَّةً وأعجبُ منِّي كلما زِدْتُ ذِلَّةً
إليْهم أرَى في النَّاسِ قَدري بِهِمْ يَعْلُو !
٦ هُمُ سُؤْلُ قَلْبي لَسْتُ أبغي سِواهُمُ وإن طمَّ بالعُشّاقِ بَحْرُ جَواهُمُ
رضيتُ بحالَيْ قُربهِمْ ونَواهُمُ فما شاءَ فَلْيحكُمْ عَليَّ هَواهُمُ
ففيهِ تَساوى الْجَورُ عنديَ والعَدْلُ

٧ ألا ليت شِعري هـل سبيـلٌ لِقُربِهِمْ تهـافَتٌ؛ حَسْبي أن أمـوتَ جـوًى بِهِمْ
فـأعظِمْ قَـدري أنْ أُكَنَّى بِصَبِّهِمْ تحيَّرتُ لمـا اخْتَرتُ مَـذهبَ حُبِّهِمْ
تَحيُّرَ صَبٍّ هَجْرهُم عندهُ وَصلُ!

٨ حُرِمتُ وَفـاءً في الْهَـوى إنْ أخُنْهُمُ خَضَعْتُ لَهُمْ لَمّـا بَـدا العِـزُّ مِنهمُ
خُضـوعَ مُعَنًّى روحـهُ من لَـدُنْهُمُ وقُلْتُ لِقَلبي: أينَ تَـذْهَبُ عَنْهمُ؟
وما دُونَهمْ ماءٌ يَطيبُ ولا ظِلُّ

٩ أيا سـائقَ الوَجْنـاء يرمي (مِنًى) بهـا ثنَتْ عِطفَـهُ ذِكرى معـاطِفِ قُضْبِهـا
ألـوكـةَ صَبٍّ ضـاقَ ذَرْعـاً بِرَحْبِهـا بعَيْشِـكَ إن وافَيْت نَجـداً فقِفْ بهـا
فإنَّ بها مَن قد أحَلُّوا دَمي حَلُّوا

١٠ وسَلِّمْ على ضـالِ هنـاكَ أظَلَّهُمْ تَرِفُّ عليـهِ السُّحبُ تَكْرِمـةً لَهُمْ
وعَرِّضْ لهمْ بـاسْمِي عَسـاهُم وعَلَّهُمْ وحَـدِّثْهُمُ عَنّي حَـديثـاً وقـلْ لَهُمْ
بأنِّيَ عَنهُمْ ما سَلوتُ ولا أسْلو؟

١١ أأحبـابَ قَلبي هَـلْ يُفَـكُّ أسيرُكُمْ أضَرَّتْ بِيَ البلـوى فكَمْ أستجيرُكُمْ
لقـد عِيْـلَ صَبري واسْتَمرَّ مَريرُكُمْ مَتى يـا عُرَيْبَ الشِّعبِ يـأتي بَشيرُكُمْ
فتسكنَ أشواقي ويَنْتَظِمَ الشَّمْلُ؟

١٢ وعَيْشِكُم مـا هكَـذا حَـقُّ عَـدْلِكُمْ أهِيمُ ومَجْرى النِّيـلِ في فَيْءِ ظِلِّكُمْ
هَبُوا الحقَّ هَجْري أينَ سـابغُ فضلِكُمْ؟ صِلُوني ـ عَلى مـا بي ـ فـإنِّي لِـوَصْلِكُمْ
إذا لَمْ أكُنْ أهلاً، فأنتُمْ لَهُ أهْلُ!

[٩]

الشروح:

(١) التَّجْرُ والتِّجـارة بمعنًى؛ يقـال: تَجَر يتجر. ويقـال: شراه يشريـه شِرًى وشراءً؛ بـالقصر والْمَدّ.
ـ وفي ط: العيش عزّاً.

(٣) ضاره يضورُه ضوراً ، ويضيره ضَيْراً : ضَرّه .

(٦) السؤال والسؤلة : ماسألْتَهَ من شيء .

(٧) ماتَ جَوًى : ماتَ من الوجْد .

(٩) الوجناء : الناقة الشّديدة .

(١٠) الضّال : نوع من الشجر .

(١٢) هام على وجهه : يهيم هياً وهياناً : ذهب من العشق أو من غيره . والْهُيام ـ بضم الهاء ـ أشدُّ العطش . والهِيْمَ : الإبل العِطاش .

القسم الثاني

في النسيب والغزل

[١٠]

وقال أيضاً : **[من البسيط]**

١ إذا أتَيْتَ أُثَيْـــــلاتِ الحِمَى فَقِفِ   وعُـجْ يَمينــاً تُجــاهَ الرَّوضــةِ الأُنُفِ
٢ فَثَمَّ مَغْنى جمــــالٍ راقَ رَوْنَقُـــهُ   عَليـــهِ مَعنى جَـلالٍ واضِـحُ الشَّرَفِ
٣ قــامَتْ سَماءُ العُـلا منــهُ على عَمَـدٍ   واحتــلَّ طَيرُ الْمُنى مِنْـــهُ عَلى شَرَفِ
٤ رَوضٌ وَشَتْـهُ يـدُ الإبْـداعِ فــانْتظَمَتْ   فيــهِ المحــاسِنُ من بَــدْءٍ إلى طَرَفِ
٥ قَــدْ صَنَّفَ الْحُسْنُ مِنــه كلَّ مُتَّفـقٍ   وألَّفَ السَّعْــدُ منـــهُ كُـلَّ مُخْتَلِفِ
٦ مــا شِئْتَ منْ قَمرٍ سَعْــدٍ ومنْ كَرمٍ   رَغْــدٍ ومِنْ حسَبٍ عِــدٍّ، ومن تَرَفِ
٧ وفي القِبــابِ ظِبــاءٌ زانَهــا خَفَرٌ   تستـــوقفُ الطَّرْفَ بَينَ اللِّينِ والْهَيَفِ
٨ مــا إنْ يُرامُ بغيرِ الفِكْرِ مَكْنِسُهـــا   إذْ قد غَدَتْ مِن أُسُودِ الغابِ في كَنَفِ
٩ يَغْشــاكَ دُونَ سَنــا أقْمــارِ أوْجُهها   أشِعَّـــةٌ مِنْ شَبــا الْخَطِّيَّـــةِ النحُفِ
١٠ فَيــا لأَرْآمِ ذاكَ الخِـــدْرِ مِنْ دُرَرٍ   لو لَمْ تكُنْ منْ صِفَاحِ الهِنْدِ في صَدَفِ
١١ ورَوضَـةٍ قَـدْ وَطِئْنـا من رَيـاحِنِهـا   فُرشــاً وظَلْنــا من الإظْـلالِ في لُحُفِ
١٢ أرخَتْ عَلَينــا سُتــوراً من خَمائِلِهــا   قَــدْ طُرِّفت بــأفــانينٍ منَ الطُّرَفِ
١٣ وللغُصـونِ اعتِنــاقٌ تحتَ ذَيـلِ صَبـا   نَسيمهــا كاعتِنـــاقِ الـلاّمِ والألِفِ
١٤ قَـد ساجعَ الطَّيْرُ تَرجيعُ القيـان بها   وسـاجَلَ القُضبَ رقصُ الأعطُفِ اللطُفِ
١٥ ولِلْمَــذانِبِ في أفيـــائِها نُطَفٌ   كأنَّما سُبِكَتْ مِنْ ذائبِ النُّطَفِ
١٦ خَلعتُ فيهــا وَقــاري في رِضـا قَمَرٍ   قـد جَـلَّ في الْحُسْنِ عَنْ نقصٍ وعن كلفِ
١٧ أجُرُّ ذيــلَ التصــابي فيــهِ مُحتَسِبــاً   أجْري بِرَدِّ عَـــذولٍ فيـــهِ مُعتسِفِ
١٨ عُهـودَ أُنسٍ عَســاهــا أن تَعُـودَ فَما   أتمَّ حُسنـــاً وأحلى إن ذَكَرْتُ بفي
١٩ لَهْفِي على زمَنٍ في ظِلِّـــــهِ سَلَفتْ   لم يُبـقِ غيرَ عقـــابيـلِ من الأسَفِ
٢٠ مـــا أقْـــدرَ اللهَ أن تُثنى أعِنَّتُهـــا   فَيَشْتفي كَلِفٌ بـــالشَّــوقِ في كُلَفِ
٢١ لئنْ مَحَتْهــا أكفُّ الـــدَّهر عَنْ بَصَري   فــإنَّ مَشْهَـدَهــا في القَلْبِ غيرُ خفي

[١٠]

جوّ القصيدة :

موضوع القصيدة : الغزل ، ولكنّ الشاعر يدرج غرضه الأصلي على مهادٍ مُتقن الصُّنع من وَصف الطّبيعة .

يتنسّم الشاعر نفحات عطرة من خلال الرموز البدويّة ، فيقف عند أُثَيْلات الحِمى ، ويعرّج على الروضة الأُنُف وقد وشتها يد الإبداع ويسترسل في وصف ما يرى من منظر حسن (١ ـ ٦) حتى يصل إلى وصف حِسان مَصُونات زانهنّ الْجَمالُ والْخَفَر (٧ ـ ١٠) ـ ومن عادةُ الشعراء أن يذكروا جماعة الفتيات وغَرضهم واحدة ـ ويجاوزهنّ الشاعر إلى الرياض مرّة أُخرى يجول فيها ويتنسّم نسيمها ويستظل في أفيائها (١١ ـ ١٦) ويتذكّر منها أياماً طيّبة كانت في الزّمان الخالي (١٧ ـ ١٩) ، ويَرْجُو أن تعود حقيقةً مرّة أُخرى ، وإن قال إن ذكرياتها ماثلة في قلبه ووجدانه (٢٠ ـ ٢١) .

[١٠]

شروح :

(١) الأُثَيْلات : تصغير الأَثَلات ، وهذه جمع الأثلة ، واحدة الأَثْل ؛ وهو نوع من الشجر . والروضةُ الأُنُف : التي لم يَرْعَها أحد .

(٣) الشرف : المكان العالي .

(٧) الْهَيَف : ضُمور البطن ورقة الخاصرة .

(٩) الشَّبا جمع الشَّباة : حدّ كل شيء . والخطّية : الرماح (المنسوبة إلى الخطّ) . وقوله : النُّحُف ، يريد : النِّحاف ؛ وفي كتب اللغة : نَحِفَ يَنْحَفُ نَحافة ؛ وهو منحوف ونحيف والجمع نحاف ونُحَفاء ، ومعنى نحف : هُزِل ، أو : قلّ لحمُه خِلْقَةً أو هُزالاً .

(١٠) يجمع الرّئم على أرْآم ؛ وقلبوا فقالوا ـ أيضاً ـ آرام ؛ والرئم : ولد الظّبي .

(١١) في اللسان : الريحان كل بَقْل (نبت) طيب الريح واحدته رَيْحانة ، والجمع رياحين .

(١٢) الخميلة : الموضع الكثير الالتفاف حيث كان . والجمع : خمائل .

(١٤) رَجّع الصّوت : ردّده في حَلْقه .

(١٥) الْمَذانب جمع مذنب : وهو الجدول يسيلُ عن روضةٍ بمائها . والنُّطَفُ جمع النُّطفة : الماء الصافي . والنُّطَف في قافية البيت جمع نُطَفَة (بفتح الطاء) : اللؤلؤة الصافية .

(١٦) الكَلَف : نَمَشٌ يَعْلُو الوجه (كالسّمسم) ؛ نقله الشاعر إلى وجه البَدْر وكانوا لا يستحسنونه ؛ على أن ابن زيدون يقول :

كأنّما أُثبتت في صحن وجنته ... زُهرُ الكواكب تعويذاً وتَزْيينا

(انظر شرح ديوانه بتحقيقنا في دار الفكر) .

(١٨) بفي : أصْلُها بِفِيَّ (بفمي) وخَفّف الشدَّة (من الياء) ضرورةً .

(١٩) العقابيل (جمع العُقبول والعقبولة) : بقايا العلّة ، والعداوة ، والعشق .

(٢٠) الكَلِفُ : الرجل العاشق ؛ والكُلَفُ جمع الكُلفة : المشقة .

[١١]

وقال أيضاً : **[من الطويل]**

١ تَهُبُّ نُسَيماتُ الصَّبا من رُبا نَجدِ ... فَيَنْفَحن عن طيبٍ ويَعْبقنَ عَنْ نَدِّ
٢ وما ذاك إلاّ أنّهن يَجُلنَ في ... مَعاهِدنا بين الأُثَيْلاتِ والرَّنْدِ
٣ هُناكَ الثَّرى يُربي عَلى المسك طِيبُهُ ... ودَوحاتُه تُزْري عَلى العَنْبرِ الوَرْدِ
٤ معاهدُ نَهواها وتَهوى لِقاءَنا ... بها قَدْ مَضى حُكْمُ العَفافِ على الودِّ
٥ على حين لا واشٍ يَفوهُ بريبةٍ ... ولا عاذِلٌ يَعْدو ولا كاشِحٌ يُعْدي!
٦ أخَذْنا مع الأيّام فيها مَواثِقاً ... فحالَتْ وما زِلْنا كِراماً عَلى العَهْدِ
٧ كذاكَ سبيلُ الدَّهر نَقضٌ عُهودَه ... فَنُعماهُ للبَلوى ولُقياهُ لِلصَّدِّ
٨ ألا ليتَ شعري والْمُنى غايةُ الْهَوى ... أأُبصِرُ نَجْداً ، أم أَحُلُّ رُبا نَجْدِ ؟!
٩ وهَلْ أنْقَعَنْ من ماءٍ ظمْياءَ غُلَّةً ... على كَبدٍ لم يَبْقَ مِنْها سِوى الوَجدِ ؟!
١٠ وهل أنْزلَنْ من حَيِّها ـ جادَهُ الْحَيا ـ ... منازِلَ قد جَلَّتْ مَنازِلُها عِنْدي
١١ بحيثُ القِبابُ البِيضُ والسُّمْرُ والظُّبا ... سَماءٌ وأنوارٌ يُشَمْنَ على البُعْدِ
١٢ إذا ما شَياطينُ الْمُنى طُفْنَ حَولَها ... رمَتْها رُجومُ الْخَطِّ عن ضُمَّرٍ جُرْدِ

١٣ فإن خفَّ خطوُ الوَهْمِ عن حَدِّ طَوره ... فَثَمَّ سِهامُ اللَّحظِ من كَثَبٍ تُرْدي
١٤ وفي القُبَّةِ البَيْضاءِ بيضاءُ لو بَدَتْ ... لشَمْسِ الضُّحى يَوماً لحارَتْ عن القَصْدِ
١٥ تَطَّلعُ عن صُبحٍ من الوَجْهِ نَيِّرٍ ... وتَغْربُ عن لَيْلٍ من الشَّعْرِ مُسْوَدِّ
١٦ تقولُ لفتيانِ التَّصابي إلَيْكُمُ ... فإنَّا ـ ظِباءَ الخِدْرِ ـ نَبْطِشُ بالأُسْدِ
١٧ إذا ما الوَغَى جاشتْ شَهَرْنا عُيونَنا ... صَوارمَ، والقاماتُ كالأَسَلِ المُلْدِ
١٨ حُروبُ الهوى جدَّلْنَ كُلَّ مُجالِدٍ ... وأظفرنَ ريمَ القفْرِ بالأُسدِ الوَرْدِ
١٩ نَواهِدُها أمْضَى طِعاناً من القَنا ... وألْحاظُها أنْكى جِراحاً من الهِنْدِ
٢٠ وأين ضِرابُ السَّيفِ من لَحْظِ ناظِرٍ ... وأين طِعانُ الرُّمحِ مِنْ قائمِ النَّهدِ
٢١ طعِينُ القَنا يُوسَى فتَبرا كُلومُهُ ... وليسَ لِمَطْعونِ النُّهودِ سِوى اللَّحدِ !
٢٢ ومَخْضُوبةِ الكفَّينِ مَعشوقةِ الْحُلى ... بَدَتْ مثْلَ بَدْرِ التِّمِّ في ليلةِ السَّعْدِ
٢٣ نَهانيَ عَنها عُذَّلي فَعَصَيْتُهُمْ ... فيا غَيَّهم فيا أتَوْهُ، ويا رُشْدي !
٢٤ حرامٌ على قَلْبي غَرامٌ بغيرها ... وإن جلَّ ما ألْقاهُ فيها مِنَ الوَجْدِ
٢٥ نظرتُ إلى حُسنٍ على خدِّها، فما ... وجَدْتُ لِقَلْبي في الوَرَى عَنْهُ مِنْ بُدِّ

[١١]

جوّ القصيدة :

تبدأ هذه القصيدة الغزلية باستيحاء نفحات حجازيّة طيّبة (١ ـ ٣) والكلام على ديار الأحبّة التي يهفو إليها قلبُ الشّاعر ، وعلى ذكرياتها العذبة أيام كان الزمان هاجعاً والعذول غائباً (٤ ـ ٧) ويُظهر الحبيبة التي رمز لها باسم شعري قديم هو (ظَمْياء) من أسماء البدويّات الأعرابيّات (٩) ويتشوّق إلى أيامها الخالية ومواطنها العبقة بأريج الذكريات (٩ ـ ١٤) ويخرج إلى وصف جمال الفتاة وَصْفاً فيه تفصيل وتطويل (١٥ ـ ٢٢) ويذكر لوم اللائمين في هواها وإعراضه عنهم (٢٣) وإخلاصه نَفْسَهُ لحبّها مدى حياته (٢٤ ـ ٢٥) .

[١١]

الشروح :

(١) النّدّ : عود طيب الرائحة يُتَبَخَّرُ به .

(٢) الأثيلات وردت في القصيدة السابقة . والرَّند : نبات طيّب الرائحة .

(٥) الكاشح : المبغض ؛ والمضمر عداوة .

(٦) حالت : تغيّرت .

(٩) نقع فلان من الماء : روي ؛ ونقعه الماءُ : أرواه وأذهب غُلّته . وظمياء : اسم فتاة (ينظر جوّ القصيدة) . وفي (ط) : ظمية .

(١٠) جاده الْحَيا : دُعاءٌ بالخير ، وأصْلُه الدعاء بالمطر .

(١١) الأصل في معنى شام للسّيف ، يقال : شام سيفه أي سَلَّهُ (ويقال شام لمعنى أغمد ، فهي ضدّ) . واستعاره الشاعر للبرق الملتمع .

(١٢) رجوم جمع رجم : اسم ما يُرجَمُ به . والخطّ موضع تنسب إليه الرّماح . والضُّمَّرُ : المضمّرة . والتضمير : أن تعلفه حتى يَسْمَن ثم تردّه إلى القوت ، وذلك في أربعين يوماً . والفرس الأجرد : الذي رقت شَعْرَته وقَصُرت (وهو مدح) .

ـ استفاد الشاعر من معنى آية كريمة ومن بعض لفظها ٥/٦٧ ﴿ ولَقَد زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بِمَصابِيْحَ وجَعَلْناها رُجُوماً للشَّيَاطِيْنِ وأَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيْرِ ﴾ .

(١٤) حارت عن القصد : رجعت . وجدير أن تكون العبارة : لجارت عن القَصد .

(١٧) الأسل : الرماح ، والمُلْد جمع الأملد والأُملود : الليّن الناعم .

(١٩) أنكى من فعل نكى القَرْحَةَ : قشرها قبل أن تبرأ فندبت (لغة في نكأ القرح والجرح) .

(٢١) يوسى : يُداوى .

[١٢]

وقال أيضاً : **[من الكامل]**

١ مــا بَيْنَ فــاترِ طَرْفِهــا وجُفُــوني ... خَبَرٌ تَمازَجَ جِــدّهُ بِمُجُــونِ

٢ قُــل للتي خَضَبَتْ بيــاضَ بَنــانِهــا ... بــدمــاءِ دَمعي أو سَــوادِ عُيــوني

٣ وتَأنَّقت في نَقْشِها وكتابها ... من ذَوْبِ أكْبادي بنارِ شُجوني
٤ واسْتَخْلَصتْ من فحمةِ القلب الشَّجي ... صِبغاً لنُونِ الحاجب الْمَقْرُونِ
٥ من أيْنَ للغِزلانِ وهي عَواطِلٌ ... صَبغُ الحواجب أو خِضابُ يَمين !
٦ لا كانَ في حِلٍّ رُعاتُكِ مِنْ دَمي ... هُمْ عَلَّموكِ لِشَقْوَتي وفُتُوني
٧ قد كانَ في حُمْرِ الْمَقانعِ مَقْنَعٌ ... لِضَلال شَأْني وانْهِمالِ شُؤوني
٨ حتَّى دُهيتُ بِحُمْرَةٍ في سُمْرَةٍ ... كالْخَمرةِ الصَّهْباءِ في تَلْوينِ
٩ ماأنتِ لي يا ظبيُ إلا فِتْنَةٌ ... نَفْسي بذلكَ في الْهَوى تُفْتيني
١٠ تِيْهي وصُدّي واهجُري لا مَغضَبٌ ... كلُّ الَّذي ترضَيْنَهُ يُرْضِيني !
١١ إني أُعيذكِ خِيفةَ العَينِ الَّتي ... تَخْشَيْنَ بالْمَسْطُورِ في ياسِينِ
١٢ قَسَماً بِتَطْريبِ البَنانِ ولِيْنِهِ ... وفُتورِ طَرْفٍ مُؤْذِنٍ بِفُتُونِ
١٣ ومَعاطفٍ قد جُلْنَ بينَ مَطارفٍ ... لَولا العِناقُ تفطَّرت مِنْ لِينِ
١٤ لو أنَّها يَوماً تَضُمَّ لِصَدْرِها ... مَيْتاً لَثابَتْ نَفْسُهُ في الحِينِ !
١٥ أو لَوْ أشارتْ نَحوَهُ بِبَنانِها ... لأتى إلَيْها جَيْئَةَ الْمَفْتُونِ
١٦ يا أُختَ شَمسِ الأُفقِ إلا أنَّها ... فاقَتْ بِحُسنِ سَوالِفٍ وجُفونِ
١٧ وشقيقةَ البدرِ الْمُنيرِ ومَنْ له ... بِسَنا حُلاها في اللَّيالي الْجُونِ
١٨ مابالُ خَلخالَيْكِ قد صَمَتا وما ... لِوشاحِكِ الْجَوَّالِ في تَحْنِينِ
١٩ ماذاكَ إلاَّ أنَّ هذا في لَظَى ... قَلَقٍ، وذانِكَ في نَعيمِ سُكونِ
٢٠ شتَّان بينَ مُبعَّدٍ ومُقَرَّبٍ ... مِنْ أينَ تَخفَى نَفْثَةُ الْمَحْزونِ ؟
٢١ مَنْ لي بِهَيفاءِ الْمَعاطِفِ أُشْرِبَتْ ... تيهاً ولا تِيْهَ الظِّباءِ العِيْنِ
٢٢ أَدْماءَ عباسيَّةٍ مِنْ دونِها ... سَطْوُ الرَّشيد ونَخْوَةُ المأْمونِ
٢٣ مَهْما خَضَعْتُ لها تَعِزُّ، وإن ألِنْ ... تَغْلُظْ عَليَّ، وإن أصِلْ تُقْصِيني !
٢٤ لو كنتَ مُبْصِرَنا غَداةَ لَقيتُها ... لرأيتَ قَسْوَتها، وعِطفَةَ لِيْني
٢٥ اللهُ يُنْصِفُ مُهْجَتي مِنْ مُقْلَتي ... فهيَ الَّتي جلَبَتْ هَوايَ وهُوني !

[١٢]

جوّ القصيدة :

في جوّ القصيدة الغزلي يذكر الشاعر فتاته الحسنة الجميلة التي زاد من حُسنها أنها اتخذت من الزينة ، ومن الأناقة ما يلفت النظر ويستميل القلب (١ ـ ٤) وينسب الشاعر المخاطبةَ إلى الغزلان ، ويسترسل في هذه المقارنة مع تفضيل حسنها على حسن الظبي ، بما فيها من ملامح جمالية وسماتٍ إنسانيّة (٥ ـ ١١) ويبالغ في بيان درجة تأثيرها في المحب العاشق (١٢ ـ ١٥) ويُوغل فينقل التشبيه إلى الشمس والقمر (١٦ ـ ٢٠) ملاحظاً جوانب جمالية ذاكراً حبه وتولّهه من جهة ، وتيهها وتعزّزها من جهة ثانية (٢١ ـ ٢٤) ويقول إن جمالها الذي بهر عينيه أثّر فيهما فنقلا نظرة العشق إلى قلبه فاستسلم ، وكان صريع الهوى والهوان !

[١٢]

الشروح :

(٤) فحمة القلب : يريد سواد القلب (وسويداءه) وحبّة القلب . نون الحاجب : شبّه الحاجب بحرف النُّون (مقلوباً) ، وهو تشبيه شائع في أدب تلك المدّة في المشرق والأندلس .

(٥) عواطل جمع عاطِل : المستغنية بجمالها الطبيعي عن الزِّينة .

(٧) المقانع جمع المقنع والمقنعة : ماتقنّع به المرأة رأسها .

(١١) في ط : « ... تؤذيك بالمسطور » . وفي متن الأصل : « تؤذيك » . وفي الهامش بخطّ المؤلف : « تخشين » وفوقها عبارة « صح » .

ـ سورة ياسين . وسيجيء التعويذ بسورة ياسين أيضاً في الموشح [٤] وذلك قوله :

«أعيذُ يا ربة الوشاحِ ذلك القوامْ من لحاقِ ذامْ بسورة ياسينِ ! »

(١٧) الجُون : السود .

(١٨) صمت الخلخال كناية عن اكتناز السّاقين . وعدم استقرار الوشاح كناية عن ضمور الكشح وهيف القامة . ولم أجد كلمة (تحنين) .

(١٩) في ط : وذلك في نعيم سكون .

(٢١) هذه العبارة تشبه قول العرب في أمثالها : ماءٌ ولا كصدّا ومرعًى ولا كالسَّعدان . ولكنهم في المثل يريدون فضل الذي بعد عبارة (ولا) على ماسَبقه .

ـ والعين : بقر الوحش . أو جمع عيناء صفة للواسعة العينين مع حُسن .
(٢٥) هان يهون هُوْناً وهواناً ومهانةً : ذلّ .

[١٣]

وقال أيضاً : [من الطويل]

١ أشاقكَ سَلْعٌ أم هَفَتْ بك ذِكْراهُ … فساعاتُ هذا اللّيلِ عِنْدَكَ أشْباهُ
٢ وهل ذا البُرَيْقُ التاحَ من نَحْوِ رامَةٍ … وإلاّ فلِمْ باتَتْ جفونُكَ تَرْعاهُ ؟
٣ وهل ماسَرَتْ من نَسمَةٍ ريحُ أرْضِها … وإلاّ فهذا الْجَوُّ تَعْبَقُ رَيَّاهُ
٤ نَعمْ شاقَني سَلَعٌ وذكرى عُهودِهِ … فآهٌ لأيامٍ تَقضَّتْ بهِ آهُ
٥ وما القَصْدُ سَلْعٌ أنْ نظرتَ ورامَةٌ … ولكنْ لِجَرِّي من غَدا فيهِ مثواهُ
٦ أُحِبُّ وَميضَ البرقِ قصْدَ جِهاتِهِ … وأهْوى نَسِيْمَ الرِّيحِ مِن أجلِ مَسراهُ
٧ وما بيَ إلاّ نَظْرَةٌ حاجِريَّةٌ … رَمى سَهْمَها عَمداً فُؤادي فَأصْماهُ
٨ حَسِبتُ اغتِراراً أنَّ جُنَّةَ صَبْرِهِ … تَقيهِ فأغشاهُ الَّذي كنتُ أخْشاهُ
٩ أحِبَّةَ قَلْبي أهْلَ نَجْدٍ بِعَيْشِكُمْ … تُرى يَبْلُغُ الْمُشْتاقُ ما يَتمنَّاهُ ؟
١٠ نَشَدتُكُم العَهْدَ القَديمَ ترفَّقُوا … عَلى رَمَقٍ لم يَبْقَ مِنِّيَ إلاّهُ
١١ أعِندَكُم إن بِنْتُمُ أنَّ مُقْلَتي … تَنامُ وأن القَلْبَ تَسكُنُ بَلْواهُ
١٢ إذنْ قُرِّحَتْ عَيْني ولا قَرَّ خاطِري … وكانَ حَسيبي أو حَسِيبَكُمُ اللّهُ
١٣ قُضاةَ الهوى رِفْقاً بِشاكٍ بِكُمْ لَكُمْ … ولَولا انْبِتاتُ الصَّبرِ لم تَبْدُ شَكْواهُ
١٤ ألا فارْحَمُوا ذا عِزَّةٍ ذَلَّ لِلْهَوى … وما كانَ يرْضَى قَطُّ بالذلِّ لَوْلاهُ
١٥ وعاذِلَةٍ لم تَدْرِ قَدرَ بَلِيَّتي … ألا بِدَمِ الْمُشتاقِ مَنْ ظَلَّ يَلْحاهُ
١٦ أعاذِلَ لا عَيْنيكِ تَجرحُ أدْمُعي … ولا أنتِ تَلْقَيْنَ الَّذي أنا ألقاهُ
١٧ ذَريني لأَوْجالي فَرُوحي سَليمَةٌ … فربَّتما أعْدَى الطَّبيبَ مُعَنَّاهُ
١٨ خَليلَيَّ مِن نَجدٍ بِوُدِّكُما انْشَقا … نَسيمَ الصَّبا ، هَل عَطَّرَ البانُ ريَّاهُ
١٩ وهل جَرَّ أرْدانَاً على أجْرَعِ الحِمى … فأهْدَى تَحايا رَنْدِهِ وخُزاماهُ

٢٠ ألا هَلْ إلى نَجْدٍ سبيلٌ لِذي هَوًى سَقَى مَدْمعُ العُشَّاقِ نَجداً وحَيَّاهُ
٢١ ولا بَرحت أنْفاسُهُمْ تفضَحُ الصَّبا هُبوباً لَدى أسحارِهِ وعَشاياهُ

[١٣]

جَوّ القصيدة :

يبدأ الشاعر باستلهام الْمَواطِنِ الحجازية والنجدية ، والاستنجاد بالأنفاس البدويّة ، ويُظهر حنينه إلى تلك البقاع الموحية بأطيب الذكريات (١ ـ ٢) ويوضح أن ذلك كلّه مستثار بنفحة من أرض فتاته التي تشغل ـ منه ـ البال والخاطر (٣ ـ ٦) ولمحة من نظرة حاجريّة (٧ ـ ٨) . ويسترسل من ذلك في شكوى ، بعد ذلك ، في الشكوى من حُبّه وأرقه وبلاء قلبه وقرحة أجفانه ، ونفاد صبره وذُلّه في هواه (٩ ـ ١٢) . ويخاطب قضاة الهوى ليرحموا ذلّ هواه (١٣ ـ ١٤) ويخاطب العواذل ليرحموا دمع عينيه (١٥ ـ ١٧) ويلتفت إلى صاحبيه من نجد يسألهما أن ينشقا ـ معه ـ نسيم الصّبا المعطر الذي يهبّ من جهات نجد لعلهما يُفيدانه : إن كان ذلك النسيم قد مرّ على (أجرع الحِمى) حيث ديار الأحبّة النافحة بعطر الرند والْخُزامى . ويختم بتساؤل الْمَشُوق : هل من سبيل لذي هوًى (فيستريح نفساً أو يهدأ بالاً أو يَرْضى حُبّاً) ؟

[١٣]

الشروح :

(١) سلع : جبَل مُتّصل بالمدينة المنوّرة .
(٢) رامة : موضع بالعقيق (في طريق البصرة إلى مكّة) .
(٣) الرّيَّا من كل شيء : طِيبُ رائحته .
(٤) في الأصل : لجري وفي ط : لجري (غير واضحة) . وفي هامش ط : ذكرى .
(٧) حاجر : (موضع في ديار بني تميم) و : أصْمى الصيد : قتله في مكانه .
(١٢) قَرّت عينه : رأت ما كانت متشوّقة إليه .
(١٥) يلحاه : يلومُه .
(١٧) أوجال جمع وَجَل . والْمُعَنّى : الذي بلغ منه الجهد .

(١٨) البان : شجر لِحَبّ ثمره دهنٌ طيّب .
(١٩) الرَّند : شجر طيّب الرائحة من شجر البادية . والْخُزامى : نبت أو هو خيريّ البَرّ زهرُه أطيبُ الأزهار نفحةً .

[١٤]

وقال أيضاً : [من الطويل]

١ جَلَتْ عَنْ حِجابَيْ خَجلةٍ وتَنقبِ ... كما لاحَ بَدْرٌ عن سَحابٍ وغَيْهَبِ
٢ فتاةٌ غَدا دَهري يُماطِلُني بها ... فأُعْتِبُهُ حتَّى انْثَنى للتَّعَتُّبِ
٣ مَهدْتُ لها من فَضْلِ وُدِّيَ جانباً ... إلى أنْ دَنَتْ مِنْ بَعْدِ طُولِ تَجَنُّبِ
٤ نَضَتْ عن مُحَيَّا الصُّبحِ سِجْفَ غَمامَةٍ ... ولاحَت بمرأىً في الْمَلاحَةِ مُغْرِبِ
٥ فصدَّت لِحاظي عن سَناها مَهابةً ... بها حَجْبُها عَنِّي إذا لم تَحجَّبِ
٦ أتتْ تتَهادى بَيْنَ أتْرابها صِباً ... فقُلْ ظَبيةٌ قَدْ أقبلَتْ وسْطَ رَبْرَبِ
٧ مَهاةٌ جَرَى ماءُ الحياةِ بثَغرِها ... رُضاباً أعاذَتْهُ الْمَنونُ بعَقْرَبِ
٨ خَصِيبةُ طَيِّ الأزْرِ، جَدْبٌ وِشاحُها ... فرِدْفٌ لِبَغْداذٍ وعِطفٌ لِيَثْرِبِ
٩ تَزُرُّ على البَدْرِ الْمُنيرِ جُيوبَها ... فلا حُسْنَ إلاّ ضِمنَ ذاكَ الْمُنَقَّبِ
١٠ مُنَعَّمَةُ الأطرافِ تَعبثُ بالنُّهى ... كما عَبثتْ أيامُ هَجري بمأْرَبي
١١ إذا ما اعْتَزت في الْحُسنِ بانَ اعتزازُها ... بِشَمْسِ الضُّحى أُمٍّ وبَدْرِ الدُّجى أبِ
١٢ منَ الواضِحاتِ الغُرِّ لو أنَّها سَرَتْ ... بأكْمَةَ لَيْلاً مازَها عَنْ تَنَقُّبِ
١٣ فَما الشَّمسُ قد لاحَتْ ضُحًى وسْطَ مَشرقٍ ... بأملحَ منها قَدْ تَجلَّتْ بمغْرِبِ
١٤ جُويريةٌ تَجري دَماً في مَفاصِلي ... فَقد ذَهَبَتْ بي في الْهَوى كُلَّ مَذْهَبِ
١٥ تُريكَ انْعِطافَ القُضْبِ والطَّيرُ ساجعٌ ... إذا ما انْثَنَتْ رَقْصاً بصَوْتٍ مُطَرِّبِ
١٦ أيا جَنَّةً مِن رِيقها كَوْثرٌ لَها ... تُرى مَشْرِقي في الْحُبِّ مِنْكَ مُقَرِّبي
١٧ نَهضْتُ بفَرضِ الحبِّ أبغي تَنعُّماً ... لَديكِ، فَمَنْ نَعَّمْتِهِ لم يُعَذَّبِ !
١٨ ثِقي بوِدادي حالَيِ السُّخطِ والرِّضَى ... فَليسَ لِقَلْبي في الهَوى منْ تَقلُّبِ

١٩ أأجنحُ من بَعْدِ الْهُدى لِضَلالةٍ — وأطلبُ بعدَ الحقِّ أكْذبَ مَطْلَبِ
٢٠ وَهَبْتُ دَمي عن طِيْبِ نَفسِيَ للهوى — وأهْدَيْتُ أجري للبَنانِ الْمُخضَّبِ
٢١ ذُنوبُ العُيونِ النُّجلِ مَغْفورةٌ لها — فما الذَّنْبُ إلاّ للفُؤادِ المعَذَّبِ
٢٢ أيا رَحْمَةً إلاَّ لِمَشْغوفِ حُبِّها — حَنانَيْكِ في صَبٍّ أُهَيلِ مغربِ
٢٣ صَدوقٌ كأفَّاكٍ، وفيٌّ كناكِثٍ — كَتُومٌ كَبوَّاحٍ، بَريءٌ كَمُذْنِبِ
٢٤ هَبيني ولَوْ إغفاءةً من كرًى عَسى — أرَى طَيْفَكِ السَّاري فَذلِكَ مُحْسِبي!
٢٥ خُذي بِيَدي تُنجي غَريقاً من الرَّدى — ولا تَكِليني للرَّجاءِ الْمُخَيَّبِ

[١٤]

جوّ القصيدة :

يبدأ الشاعر قصيدته الغزلية فيرسم صورة للمحبوبة ، وقد كشفت عن وجهها واستأنست بعد حياء وخجل ، ويذكر تعلّقه بها واستغراقه في محبّتها (١ ـ ٣) ويدخل في حديث طويل عن مَفاتِنها : من مَهاةٍ مصونة الجانب ، محميّة النفس والبدن والحال ، ويذكر محاسنها في تفصيل وتدقيق مسجّلاً صوراً جمالية واضحة لها ، ويُقارنها بما يكفل لديه إقناع القارئ بأنها في الذروة من الحسن والجمال وأنها تتفوّق على ما شبّهها به من أجزاء الطّبيعة الصامتة والحيّة معاً (٤ ـ ١٣) وينقلب الشاعر إلى حاله ليذكر أثر المحبوبة فيه وعمق محبّتها عنده ومكانتها في نفسه (١٤ ـ ١٧) ويلتفت بالخطاب إليها ويسألها أن تثق به ، وتعلم أنّها منه بمكانة لا يصل إليها أحَدٌ ، ولم يعرفها حبيبٌ من حبيب (١٨ ـ ٢٠) ويخضع لها في إشفاق الْمُدنف ولهفة المحبّ (٢١ ـ ٢٣) ويتمنى لو التفتت إليه أو مرّت به ـ ولو في طيف الخيال ـ لعلّها تنقذه من عاقبة حال العاشق المحروم والأمل المضيّع ! (٢٤ ـ ٢٥) .

[١٤]

الشروح :

(١) الغيهب : الظلمة ، والليل الشديد السّواد .

(٢) أعْتَبه : أزال عَتْبَهُ وأرْضاه . والتعتب : العتاب .

(٤) السّجف : السّتر .

(٥) في ط : فسدّت .
(٦) الربرب : القطيع من بقر الوحش .
(٧) يعني ثني خصلة من الشعر على شكل عقرب ، كانوا يستحسنون ذلك من تصفيف لشعر . وفي العبارة تورية (ينظر كتاب : رائق التّحلية في فائق التّورية ؛ وهو من شعة ابن خاتمة جمعه تلميذه ابن زرقاله) من تحقيقي .
(٨) في الشطر الثاني إيضاح كنايات الشطر الأول .
(٩) في ط : وشاحها .
(١١) اعتزى : انتسب .
(١٢) الأكمه : الذي ولد أعمى . وقوله : مازها عن تنقّب ، أي عرفها وهي متنقّبة ؛ وهذا على سبيل المبالغة .
(١٦) في ط : ترى مشرقي في الحب مغربي . (بإسقاط منك ، وبغين بدل القاف) .
(٢٢) آخر كلمتين في عجز البيت مطموستان تقريباً في النسخة الأم ، وهكذا رسمها في ط .

[١٥]

وقال أيضاً : **[من الطويل]**

١ أحِنُّ إلى نَجْدٍ إذا ذُكِرَتْ نَجْدُ ... ويَعْتادُ قَلبي مِنْ تَذكُّرِها وَجْدُ
٢ ويَعْتَلُّ جِسْمي أن يَهُبَّ نَسيمُها ... عَليلاً لـه بالأثْلِ أثْلِ الحِمَى عَهْدُ
٣ وما مَقصدي نَجدٌ ولا ذِكْرُ عَهْدِها ... ولكن لِجَرّي مَنْ غَدتْ دارُهُ نَجْدُ
٤ رمَتْني النَّوى قَصْداً فأصْمَتْ مَقاتلي ... وللبَيْنِ سَهْمٌ لَيْسَ يُخطي لَهُ قَصْدُ
٥ ألا هَلْ لأيَّامٍ تَقَضَّيْنَ بالحِمَى ... سَبيلٌ لِذي وَجْدٍ تَناهَى بهِ الْجَهْدُ
٦ إذِ الدَّهرُ سَعدٌ والزَّمانُ مُساعِدٌ ... فلا الصَّبُّ مَصدودٌ ولا البابُ مُنسَدُّ
٧ سَقى اللهُ أكنافَ الحِمى كُلَّ واكِفٍ ... مِنَ الدَّمعِ يُرْوِيها إذا أخْلَفَ الرَّعدُ
٨ وحَيّى وُجوهَ الْحَيِّ من جانِبِ الغَضا ... بكلِّ حَياً يُعدي بخِصْبٍ ولا يَعْدُو
٩ أأحبابَ قَلْبي، والْهَوانُ أخُو الْهَوى ... وإنَّ الَّذي أُخْفي لفَوقَ الَّذي يَبْدو
١٠ خُذوا بِيَدي قد ضِقْتُ ذَرعاً بِصَدِّكُمْ ... وإلاَّ فإجْهازاً ومِنْ بعدِ ذا صُدُّوا !

١١ إذا أنتمُ لم تَرْحَمُــــوا ذلَّ مَـــوْقِفي فَقـولـوا : لِمَنْ آتي فـأرْجـوهُ مِنْ بَعْـدُ !
١٢ صِلـوا أو فَصُــدُّوا أنْتُم الأمْنُ والْمُنى عَلى كلِّ حـــالٍ ليسَ لي عَنْكُمُ بُـــدُّ
١٣ أقـــول وعَبْراتي غَـــوادٍ رَوائــــحٌ لِخِلَّيْن أقْصَـــاني وإيَّـــاهُما الصَّـــدُّ
١٤ بِعَيْشِكُما إنْ جِئتُما أجرَعَ الحِمى قِفا فابْكِيا مَنْ ليسَ يُرجى لـهُ رُشْدُ
١٥ فـإنْ تُسْألا مَن ذا الَّـذي تَنْـدُبـانِـه فَقُولا : مَشوقٌ خـانَـهُ في الْهَوى الْجَدُّ
١٦ خَليليَّ والعُشَّـــــاقُ في الْحُبِّ أضْرُبٌ ولكنَّني في لـــــــــــوْعَتي عَلَمٌ فَرْدُ
١٧ نَشَـدتُكُما اللهَ اصْــدُقَــانِيَ هَــلْ لِما بَـدا لَكُما مِن حــالَتي في الْهَـوى نِـدُّ
١٨ تَـــألَّى عليَّ الـــدَّهرُ نَقْضَ عَـزائِمي فــأصبحتُ لا حَـلٌّ لَـديَّ ولا عَقْـدُ
١٩ أعــاذِلَتي إن كان لَـومِيْ عَلى الْهَـوى فَليسَ لقلبي فيـــهِ أخــــذٌ ولا رَدُّ
٢٠ عَسى اللهُ أن يُحْيي سُروري بِقُربِهِمْ فَقَـدْ نـالَ مِنِّي فـوقَ مـا شـاءَهُ البُعْـدُ
٢١ فيصبـحَ قَلْبي وهـــو بَيْنَ جَــوانِحي وقدْ دانتِ الدُّنيـا وقَـدْ سـاعَـد السَّعْـدُ

[١٥]

جوّ القصيدة :

يبدأ الشاعر قصيدته الغزلية بـالحنين إلى نجـد وبيـان تعلّق قلبـه بـذكريـات منهـا ، وتـأثره بـالنسيم الـذي يهبّ من جهتهـا ، ويقول تصريحـاً لا تلويحـاً إن مقصـده هـو مَنْ سكن نجـداً (يعني المحبوبة) لا أرض نجد وحدها (١ ـ ٣) ويشكو من البين المشتّت للشمل . ويستعيد أطياف أيام الحمى وقت الإقبال ومساعدة الزمان ويدعو للديار بالسُّقيا (٤ ـ ٨) ويخـاطب المحبوبة بصيغة الجمع (أأحبـاب قلبي) ويستعطف استعطـاف المحبّ الْمُـذْنَف ويرجو الوصل (٩ ـ ١٢) ويلتفت إلى صاحبيه أن يبكيا عند ديار الأحبّة في نجد وأن يندباه ثَمّة فقد يئس وصار حيّاً كميّت ؛ لبعده عن الأحبّة (١٣ ـ ١٥) ويسألها هل عرَفـا عـاشقـاً في مثل تولّهـه وسوء حاله ونقضِ الدّهرِ عزائِمَهُ ؟ (١٦ ـ ١٨) ويعلن إصراره على تعلّقه وحبه وهواه ـ على رغم عذل العواذل ـ ويتعلّق بأمل بعيد عسى أن تتحقّق آمالُه في الْحُبّ فيهدأ بالاً وينعم حالاً (١٩ ـ ٢١) .

في التخريج :

في مسالك الأبصار ٥٠٢/١١ ـ ٥٠٣ روى ابن فضل الله العمري في ترجمة ابن خاتمة الأبيات ١ ، ٤ ، ٧ ، ١٦ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٩ ، على هذا الترتيب .

الشروح :

(١) الأثل : شجر عظيم لا ثمر له مستطيل الْحَبّ ليس له شوك تُصنع منه الآنية . الواحدة أثلة والجمع أثلات وأُثول . (وهو نوع من الطرفاء) . وسُمّيت مواضع بأسماء من مادة (الأثل) منها أثْلَة ، وذو الأثل ، وذات الأثل . (معجم البلدان ومعجم مااستعجم) .

(٤) أصْمى الصيد : رماه فقتله مكانه .

(٨) الغَضا من شجر البادية ، وهناك مواضع سمّيت باسمه منها وادٍ بنجد (معجم البلدان ومعجم مااستعجم) .

(١٦) أضرب : أنواع .

ـ وفي مسالك الأبصار : العَلَمُ الفرد .

(١٨) تألّى : أقسم .

[١٦]

وقال أيضاً : **[من الكامل]**

١ حيَّا الرَّبيعُ بنَرجِسٍ وَبَهارِ ... فارْدُدْ تَحيَّتَهُ بكأسِ عُقارِ

٢ لاتَجْنِ زَهْرَتَهُ لِغَيرِ سُلافَةٍ ... تصريفَكَ الدِّينارَ بالدِّينارِ

٣ وَأُنَفْ لأيَّامِ الرَّبيعِ وفَضْلِها ... فَضْلاً سِوى في الكاسِ والأوتارِ

٤ أَوَماتَرَى وَجْهَ الزَّمانِ قد اكْتَسى ... كعِذارِ آسٍ أو كَاسِ عِذارِ

٥ والأرضُ قد لَبِسَتْ مَطارِفَ نَبْتِها ... وتَوشَّحتْ بِصَوارِمِ الأنْهارِ

٦ والدَّوْحُ أمْثالُ الْمَنابرِ فوقَها ... خُطباءُ بالإسْحارِ في الأسْحارِ

٧ فاقْدَحْ زِنادَ الكأْسِ عن لَهَبِيَّةٍ ... تُغْشي ظَلامَ اللَّيلِ ضَوْءَ نَهارِ

٨ ولْتَجْلُها بَدراً عَلى بَدْرٍ، لَدى ... بَدْرٍ، تَفُزْ بِثَلاثةٍ أقْمارِ!

٩ مِنْ كَفٍّ بـارِعَـةِ الْجَمالِ بَـديعـةٍ ... تُربي عَلى الأوْطـارِ والأطْـوارِ
١٠ في لَيْلـةٍ كَسَتِ الشُّعـورَ سَـوادَهـا ... وجَلَتْ من الـوَجَنـاتِ ثَـوْبَ شِعـارِ
١١ مـا فـاحَ نَـدٌّ اللَّيـلِ عَن مِثْل الطِّـلا ... قُـدِحَتْ شَرارَتُهـا بصَـوب قِطـارِ
١٢ أفْـدِي الَّتي لَـوْلا سـوادُ خِضـابِهـا ... مَحَتِ الـدُّجـا بـأشِعَّـةِ الأنْـوارِ
١٣ هَيْفـاءُ تُحْمى عن تَخـالُسِ نـاظِرٍ ... بشفـارِ سُمْرٍ أو بسُمْرِ شِفـارِ
١٤ في ليـلِ طُرَّتِهـا ولَيْـلِ خِضـابِهـا ... بَـدْرانِ من وَجْـهٍ، وكأْسِ عُقـارِ
١٥ أعْيَتْ عَلى العُشَّـاقِ طُرْقُ وِصـالِهـا ... فَمَنـالُهـا بـالـوَهْمِ والتَّـذكار
١٦ عـاطَيْتُهـا راحـاً كأنَّ حَبـابَهـا ... تَحْتَ الـدُّجا في الكأْسِ عِقْـدُ دَراري
١٧ صَفْراءُ عَتَّقهـا الـزَّمـانُ وراضَهـا ... طُـوْلُ الثِّقـافِ بِـدَنِّهـا والغـارِ
١٨ فـأتَتْ كَما الأُلْهـوبُ تَلْفَـحُ نـارُهـا ... حَرَّى ولا عَهْـدٌ لَهـا بـالنّـارِ
١٩ مـا زِلْتُ أسْقيهـا وأشْرَبُ رِيْقَهـا ... والسُّكْرُ يَعطِفُنـا عَلى مِقـدارِ
٢٠ حَتَّى ثَنَتْهـا الرَّاحُ طـوعَ سَـواعِـدي ... والرَّاحُ تَعْلَمُ كَيفَ أخْـذُ الثَّـارِ
٢١ فـاسـألْ بِطيْبِ حَـديثِ لَيْلَتِنـا وَلا ... تُغْفِـلْ عَفـافي عِنْـدَهـا ووَقـاري

[١٦]

جوّ القصيدة :

ينحو الشاعر في هذه القصيدة الغزلية منحى القصائد التي تجمع وصف الطبيعة إلى ذكر مجالس الأنس إلى الغزل . تبدأ القصيدة بوصف الطبيعة في إبان الربيع وقد ازّينت الأرض بأحلى حللها وأجمل ألوانها . وظهرت معالم الجمال في كل شيء من شجر ونبات ، ومن أنواع الطيور المؤتلفة مع ماحولها حسناً وطرباً وحيويّة (١ ـ ٦) ويدعو إلى مجلس أُنس (٧ ـ ١١) ويخرج إلى الغزل مازجاً معاني الغَزل بالمعاني المألوفة في وصف الشراب ، ويصف مغامرةً وهميّة (١٢ ـ ٢٠) تنتهي في البيت (٢١) بإظهار عفافه ووقاره . وجعل الشاعر القصيدة كلها قصة قصيرة خيالية .

الشروح :

(١) العُقار : الشَّراب .

(٢) السُّلافة : الخمر أوّل ماتُعصر ، أو ما سال من غير عصر ، أو أخلفها وأفضلُها .
- في الأصل (كتصارف) وغيّرها في الأصل إلى (تصريفك) وبقيت في ط (كتصارف) .

(٣) قوله : سوى في الكأس : كأن العبارة : في سوى الكاس والأوتار .

(٤) العِذار من الشعر عند الوجه هو خَطُّ اللّحية . ويشبّهون العذار بالآس .

(٦) الأسحار جمع السَّحَر (وقت) قبيل الصُّبح . ولم أقف على الإسحار ، وكأنه يريد معنى السِّحْر (يعني سحر البيان) .

(١١) القَطْرُ ماقطَرَ (يريد الْمَطَر) الواحدة قطرة والجمع قِطار .

(١٢) في ط : لولا نضار خضابها .

(١٣) الشِّفار (والشُّفر) جمع الشفرة : السكين العظيمة العريضة .

(١٥) في ط : فأنالُها .

(١٦) الْحَبابُ : ما يكون على الكأس وغيره من حُبابات تعلوه (فقاعات) .

(٢٠) يعني ظهور لون الْحُمرة (حمرتها غالباً) في الْخَدّين (وغيرهما) .

[١٧]

وقال أيضاً - وقد سُئل إجازةَ البيتِ الأوّل - : **[من الكامل]**

١ [مَنْ عاذِري ، مَنْ ناصِري ، مَنْ مُنْصفي ... هــذا دَمي سَفكَتْــهُ بِنْتُ الْمُنصِفِ]
٢ بِفِرَنْــدِ خَــدٌّ كالْحُســامِ مُــذَرَّبِ ... وقَــوامِ قَــدٌّ كالقَنــاةِ مُثَقَّفِ
٣ وسِهــامِ لَحــظٍ عَنْ قِسِيٍّ حَــواجِبٍ ... تَرْمي بِرِيْشِ الْهُدْبِ مِنْ طَرفٍ خَفي
٤ سَفكَتْ أنامِلُها الدِّماءَ فَقَدْ غَـدَتْ ... عَلَماً بِرَخْصِ بَنــانِهــا الْمُطَرَّفِ
٥ إيــهٍ غُــزَيِّلَــةَ الأراكِ مَنِ الَّــذي ... أغْراكِ بي ظُلمــاً ، ولَمّــا يُنْصِفِ
٦ أتُراكِ حِيْنَ سَبَرْتِ سُبْــلَ تَصَبُّري ... ألْفَيتِ خِلَّــكِ قــد أحَـلَّ ولم يَفِ
٧ كَـلاّ ، انْطِبـاعي في هَـواكِ طَبيعـةٌ ... أضْحى بهــا كَلَفي بِغَيرِ تَكلُّفِ
٨ أأُخَيَّـةَ البَـدْرِ الْمُنيرِ، وضَرَّةَ الغُصْنِ النَّضيرِ، وربَّـةَ القَلْبِ الـوَفي
٩ للهِ أنتِ مَهــاةَ خِــدْرٍ لــو بَـدتْ ... للشَّمسِ حَيَّتْهــا ، ولَم تَتَــوقَّفِ

١٠ هَيفاءُ يَثْنِيها الصِّبا طَوعَ الصَّبا تَلْتاحُ عن مِثلِ الصَّباحِ الْمُشْرِفِ
١١ دُرِيَّةِ الجِسمِ استُشِفَّ أديمُها فَيكادُ مُضْمَرُ سِرِّها لا يَختفي
١٢ لانَتْ أعاليها لِغِلْظَةِ سُفْلِها يا جَوْرَ رِدْفَيْها وحَمْلَ المعطفِ !
١٣ حَسناءُ قد جَلَّت بفَضلِ جَمالِها عَنْ زينةٍ بتَطَوُّقٍ وتَشَنُّفِ
١٤ غَنَّاءُ مُغنيةٌ بحُسنِ غِنائِها عَنْ لَذَّةِ الْمَغْنى وطيبِ الْمَأْلَفِ
١٥ إنْ تَشْدُ فَالأسماعُ رَهْنُ تَشَوُّفٍ أو تَبْدُ فَالأبصارُ رَهْنُ توقُّفِ
١٦ مِلءُ الْمَسامِعِ والنَّواظِرِ بَهْجَةً مامِثلُها، حدِّثْ بِذا ثُمَّ احْلِفِ
١٧ طُبِعَتْ على طَبْعِ النُّفوسِ فَشخصُها قَصْدُ الْمُحِبِّ، وطُرْفَةُ الْمُتَطرِّفِ
١٨ يا شمسَ حُسْنٍ قَد شَدَتْ شَمْسَ الضُّحى إن شئتِ فالْتاحِي وإنْ شئتِ اخْتَفي !
١٩ يا خُوطَةٌ مَهما انثنَتْ ثَنَتِ النُّهى هل عَطْفَةٌ تُشفي صَبابَةَ مُتْلَفِ
٢٠ أوَما تَرِقُّ عَلى مُحِبٍّ مالَهُ أملٌ سِواكِ أجَلْ وما في الْمُصْحَفِ
٢١ هَلاَّ اقْتَديتِ بمعطَفَيْكِ فَتَعطِفي هَلاَّ ارْتَدَيْتِ حُلَى أبيكِ فَتُنْصِفي
٢٢ ماأنتِ مُنصِفَةٌ ولا ابْنَةُ مُنْصِفِ كَذبَ الْهَوى إن كُنت بنْتَ الْمُنصِفِ !

[١٧]

(☆) في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمّد بن مُشتمل الأسلمي المعروف بالبلياني (الإحاطة ٣٦٤/٢) أنّه سُئل إجازة البيت : (من عاذري .. إلخ) فأنشد قصيدة من ستة عشر بيتاً . وهو من أهل (الْمَرِيّة) ؛ فهو مواطن لابن خاتمة ؛ وهو أيضاً معاصر له ، فقد توفّي سنة ٧٦٤ - ومن قصيدته :

كم ذا أبيتُ وليسَ لي من مُسْعِدِ في حالَتي غير الدُّموعِ الذُّرَّفِ
يا هل ترى هذا الزّمان وصرفَهُ هل يَسْمَحانِ بِعَوْدةٍ وتَألُّفِ؟!

جَوّ القصيدة :

في القصيدة استحضار لمعان غزلية ملائمة لإجازة البيت الأوّل المقترح إجازته . فهي تبدأ - بعد المطلع الْمُجاز - بحديث عن جمال الفتاة الصّارخ وعرضٍ لعدد من محاسنها (١ - ٥) ثمّ يلتفتُ الشاعر إلى الفتاة نفسها التي تشبه غزالة الأراك الفتيّة (٦ - ١١) ويتحدث عنها

بصيغة الغائب (هيفاء ..) ويعود إلى عدد من صفاتها : فهي ممشوقة القوام ، مشرقة الوجه ، درّية البشرة ... (١٢ ـ ١٤) ويتوقف عند صوتها الأغنّ المتميّز (١٥ ـ ١٧) ويخاطبها مباشرة (يا شمسَ حُسْنٍ ..) ويستطرد إلى نواحٍ جماليّة (١٨ ـ ٢١) ويختم بأن يرجع إلى مابدأ به في البيت الأول لينقض قضيّة الإنصاف ويؤكد أنها ظالمة له (في حبه) وليست منصفة ولا ابنة مُنصف ! (٢٢) .

الشروح :

(٢) الْمُذَرّب : المحدّد .

(٤) الرَّخْص : الناعم . وطَرّفت المرأة بنانَها : خضبت أطراف أصابعها .

ـ حق الطاء من كلمة المطرّف أن تكون مشدّدة ليصحّ وزن ضَرب البيت .

(٥) الأراك نوع من الشجر (له عناقيد مثل العنب تسمّى الكباث) يُسْتاكُ بِفُروعِه .

(١٣) تطوّقت : لبست الطّوق (العقد) . وتشنفت : لبست الشَّنْف ؛ وهو ماعُلّق في أعلى الأذن (أي القرط الأعلى) ؛ وقيل : هو ماعُلّق في سُفلها .

(١٥) في ط : توقف ... تشنّف . وتشوّف إلى الخبر (وإلى الشيء) : تطلع إليه .

(١٩) الخوطة : الغصن الناعم لسِنَةٍ .

[١٨]

وقال أيضاً : **[من البسيط]**

١ للهِ سِرُّ جَمالٍ أنْتِ مَعْنـــاهُ ... حَسبي بــهِ وكَفَى أنّي مُعَنّـــاهُ

٢ مَنْ لي بظبيٍ فُـوادي دونَ صَـوْنَتِـهِ ... عَنْ نـاظِري، والثُّريّـا دونَ مَثْـواهُ

٣ غُـزيِّـلٌ غَـزلَتْ ألحـاظُـهُ جَسَـدي ... أرقُّ من غَـزَلي في لُطفِ مَعْنـاهُ

٤ ساجي الْجُفونِ وَقـاحُ الوَجْـهِ مـاجِنُـهُ ... مفرَّغُ البـالِ عَمَّنْ بـاتَ يَهـواهُ

٥ يَفْتَرُّ عن مَبْسمٍ يـا مـا أُمَيْلِحَـهُ ... يَجُـولُ فيـهِ رُضـابٌ مـاأُحَيْـلاهُ

٦ كالـوَرْدِ وَجْنَتُـهُ، والشَّهْـدِ رِيقَتُـهُ ... والسِّلْـكِ مَبْسِمُـهُ، والمِسْـكِ ريّـاهُ

٧ بـدرٌ، ولكنْ سَـوادُ العَيْنِ مَطلَعُـهُ ... ظَبْيٌ ولكن سُـوَيْـدا القَلْبِ مَرْعـاهُ

٨ يَهتزُّ عن قـامَـةٍ سُبحـانَ مُبـدِعهـا ... قـد تُـوِّجَتْ وَجْنـةً : تبـارَكَ اللهُ !

٩ لولا تَجنّيهِ قُلْتُ: الْخُلدُ مَنْشؤُهُ — وأنَّ رِضْوانَ في الفِرْدَوْسِ رَبَّاهُ
١٠ شُوَيْدِنٌ صاغَهُ بارِيهِ مِنْ فِتَنٍ — أعْدَى الخطوبِ على الإنسانِ مَرآهُ
١١ أستَغفِرُ اللهَ بل أدْنى مَلامِحِهِ — ألَذُّ ما حَوَتِ الدُّنيا وأشْهاهُ
١٢ يا جنَّةً عَذَّبَتْ قَلْبي بِنعمَتِها — فما أمَرَّ جَناها لي، وأحْلاهُ
١٣ تَمَنَّتِ النَّفسُ لو تَحْظَى بمُنْيَتِها — أعَزُّ ما لِمُحِبٍّ ما تَمَنَّاهُ
١٤ مَنْ لي عَلَى غُلَّتي بِرَشْفِ ذي أُشُرٍ — كأنَّما أُشْرِبتْ شَهْداً ثَنايَاهُ
١٥ دبَّتْ عَلى خَدِّهِ للصُّدْغِ عقربُهُ — فَقَدْ حَسَتْ عن جَنَى وَهْمٍ حُمَيَّاهُ
١٦ يا بَدْرَ سَعْدٍ هَدى نَفْسي لِضِلَّتِها — وظَبْيَ بُعْدٍ لِقَلْبي ساقَ بَلْواهُ
١٧ رُحْماكَ في عاشِقٍ قد عادَ آمِرَهُ — بالْحُبِّ مَنْ كان جَهلاً عنهُ يَنهاهُ
١٨ خَلَعتُ فيكَ عِذاري إذْ بَدا عُذُري — في مَنظرٍ قَدْ وَشَى فيهِ عِذاراهُ
١٩ نَمْ مِلْءَ عَينيكَ يا مَنْ ظَلَّ يُسْهِرُني — إن رُمْتُ عَنْكَ سُلُوّاً زادَني اللهُ!

[١٨]

جَوُّ القصيدة :

يتوجّه الشاعر في هذه القصيدة الغزلية بالخطاب - في البيت الأوّل - إلى المحبوبة مباشرة (١) ثم يلتفت ويجري الحديث بضمير الغيبة فيصفها وصفاً عامّاً ويتوقّف عند تفصيلات مختلفة يحاول - من خلالها - أن يرسم صورة باهرة لها مستفيداً من معطيات الجمال المتعدّدة بوسائل التعبير المباشرة وغير المباشرة - وخصوصاً فن التّشبيه - (٢ - ١١) ويصفها بأنها جَنّته التي يتمَنّاها ويطمح إليها أو إلى شيء يقرّبه إليها ، ويشكو من الحرمان الذي وصفه بأنه عذاب (١٢ - ١٥) ؛ ويعود الشاعر ثانية إلى المخاطَبة يدعوها إلى الرّفق به وإسعافه بما يقنع به العاشق المدنف (وإن قَلّ) (١٦ - ١٨) ويختم بإظهار تولّهه حتى صار حُبُّه شهرةً بين النّاس ، وتوكيد موالاة حُبّه على رغم عذابه وحِرْمانِه ، وعدم السلوّ عنه .

الشروح :

(١٤) أُشر الأسنان : التّحزيز الّذي يكون فيها خِلْقَةً ، ومُستعملاً .

(١٦) في ط : شاق بلواه !

(١٩) أي زاده الله عناءً من الحبّ وسهراً من العشق .

[١٩]

وقال أيضاً :

١ يـا لَيْلـةً قَدْ كَساها النُّورُ سِربـالا ... جَرَرْتُ فِيهـا لِبُرْدِ الأُنْسِ أذْيـالا

٢ إذ مَعْطفي للصِّبا لَـدْنُ الْمَهـزَّةِ إنْ ... هَبَّت صَباً هبَّ ، أو مالَ الصِّبا مَالا

٣ وإذْ رياضُ الْمُنَى تُجْلَى زَواهِرُها ... قد أُلْبِسَتْ مِن حُلى أزهارِها خَالا

٤ بحيثُ أجْرِي مَعَ اللَّذاتِ في طَلَقٍ ... وأَنْثني في بُرُودِ اللَّهْوِ مُخْتالا

٥ يـا لَيلـةً ما رأتْها عَيْنُ شائِبةٍ ... قد أشْكَلَتْ لِصُروفِ الدَّهرِ إشْكالا

٦ تَخَلَّصَتْ عن قَذى شَوْبٍ خُلاصَتُها ... تَخالُها في مُحيَّا دَهرِها خَالا

٧ راقَتْ محاسِنُ إذْ رقَّت شمائِلُنا ... والحالُ تَحْسُنُ إمَّا ناسَبَتْ حَالا

٨ لَيْلٌ أعارَ شُعورَ الغِيْدِ حُلْكَتَهُ ... وزَرَّ من وَضَحِ الوَجناتِ سِربالا

٩ باتَتْ لِحاظُ الأماني فيه تَلْحَظُنا ... أمْناً ، وأغْفى رقيبُ الدَّهرِ إغْفالا

١٠ بِتْنا مِنَ الأُنسِ في نَعْماءَ تَشْمَلُنا ... في صُحْبَةٍ سَحَبَتْ لِلْحُسنِ أذْيالا

١١ في فِتْيَةٍ حُلْوةِ الأَخْلاقِ حالِيَةٍ ... ذَوي حَواشٍ رِقاقٍ رُقْنَ أحْوالا

١٢ نُديرُ للوُدِّ كاساتٍ مُمَحَّضَةً ... بحَيثُ نَجْني جَنى الأَسْمارِ أنْقالا

١٣ وباتَ ساقِي الْحُمَيَّا طَوْعَ سَلْوَتِنا ... يُديرُ بالرَّاحِ راحاً دَرُّها سَالا

١٤ قد سَلَّ صارِمَ رُمْحٍ مِنْ سُلافَتِهِ ... بِهِ على حَبَشيِّ اللَّيلِ قَدْ صالا

١٥ صَفْراءُ رَقَّتْ وراقَتْ جَوْهراً وَسناً ... قَدْ راضَ أحْوالَها التَّثْقيفُ أحْوالا

١٦ إمَّا هَتَكْنا بِكَفِّ الْمَزجِ سُتْرَتَها ... أرْخَتْ لَنا دُونَ صَرْفِ الهَمِّ أحْجالا

١٧ بِتْنا بِها من رِياضِ الأُنسِ في دَعَةٍ ... نَجْني قُطوفَ الأماني مِنهُ آمَالا

١٨ إلى أن ٱسْتَدبرَ الشَّرْقَ الهِلالُ سُرًى ... عنهُ ، ولبَّى دُعاءُ الغَربِ إهْلالا

١٩ وأقْبلَ الصُّبحُ في جَيْشِ الصِّبا مَلِكاً ... عَنَتْ لَهُ سُرْبَةُ الظَّلماءِ إجْلالا

٢٠ كأنَّما اللَّيلُ زِنجيٌّ غَدا نَهِلاً ... في حُمْرَةٍ مِنْ سَنا الإصْباحِ فاخْتالا

٢١ كأنَّما الأُفْقُ كأسٌ لِلدُّجا جَمَدتْ ... بحَيْثُ ضِياءُ الصُّبحِ جِريالا

٢٢ يا حُسْنَها لَيْلَةً لِلأُنْسِ قَدْ ثَمِلَتْ ... مِنْ عِشْقِها اصْفَرَّتِ الأيَّامُ آصالا !

[١٩]

جَوُّ القَصِيدة :

يعود الشاعر بذاكرته إلى أطياف ليلة أُنس ملأت عليه نفسه وقلبه : ليلة منيرة ذات أُنس ؛ جرت فيها آماله بلا حدود ؛ ليلة مرّت لدن كان الشاعر يرفل في أثواب الصّبا السّابغة (١ ـ ٤) . ثم يفصّل في مزايا تلك الليلة وخصالها ! لقد كانت ساعات أُنس خالصة رائقة ، وكأنها قُدّت من زمان أُسطوري ، انطلقت فيها الأماني وغاب الرُّقباء ، وانفسح مجال الأنس (٥ ـ ١٠) ، لقد كانت تلك اللّيلة ظرفاً التقى فيه أصحاب خُلَّص ذوو خصال متميّزة في سَمَرٍ عذب ، رقيق الحواشي ؛ امتدّ من أوّل الليل إلى مطلع الفجر (١١ ـ ١٢) . واستعار الشاعر للسّمر وأحاديث الوُدّ عبارات مجالس الأُنس ومفردات الخمرة وما يتعلّق بها ، مستفيداً من تراث شعراء وصف الخمرة ، ومن الشعراء الصُّوفيّة الذين اتخذوا من ألفاظها أحياناً رموزاً لمعانيهم (١٣ ـ ١٧) وتنتهي الليلة بظهور بشائر الصباح (١٨ ـ ١٩) . ويرسم الشاعر مشهد الوداع بين الليل وإطلالة الصباح (٢٠ ـ ٢١) ، ويختم بالتعجّب من حسن تلك الليلة الغريبة .

الشروح :

(٣) في ط : تُجلى أزاهرها . والخال : نوع من الثياب .

(٥) هي ليلة حُسنها صِرف لا تشوبه شائبة ، ومنعت صروف الدّهر من الاقتراب .

(٦) يقال : شابه شَوْباً أي خلطه ومزجه .

(١٢) النُّقل : ما يُتَنَقَّلُ به على الشراب ، وردت الكلمة عند بعض اللغويّين بفتح النون كما عند الأزهري وابن دريد ، وبالضم كما في الصّحاح . ولم أجد في جمعها صيغة أنقال .

(١٦) في ط : لمّا هتكنا .

ـ وفي اللسان : الْحَجَلَةُ بيت يُستر بالثياب ويكون له أزرار كبار . وفي الحديث : (ليس لبيوتهم ستور ولا حجال) . والجمع حجل وحجال . ولم أجد (الأحجال) جمعاً لحجلة بهذا المعنى .

(١٨) أهلّ (الهلال) : ظهَر .

(١٩) السُّربة : الجماعة ، وعنت الوجوه : خضعت .

(٢١) الجِريال : صبغ أحمر . وجريال الذهب : حُمرته .
(٢٢) في ط : قد شملت .

[٢٠]

وقال أيضاً : **[من الكامل]**

١ هـذي الْحُـدوجُ فـأيْنَ عُفْرُ ظِبـائِهـا ... هـذي البُروجُ فـأيْنَ زُهْرُ سَمائِهـا
٢ غَرَبَتْ أُولى وتَغرَّبتْ هـاتي فـلا ... أَثَرٌ لِمَرْآهـا وَلا لِرُوائِهـا
٣ ولَقَـدْ وَقَفْتُ على الـدِّيـارِ مُسـائِـلاً ... أطْـلالَهـا بـالعَهْـدِ عَنْ أطـلائِهـا
٤ مُتردِّداً في مِثْـلِ جِسْمي في البِلى ... لَـوْلا تبـايُنُ وَجْـدِهِ وشِفـائِهـا
٥ دِمَنٌ مَحَتْ أيْـدي الـدُّروسِ طُروسَهـا ... لم يَبْـقَ مِنْهـا غَيْرُ وَهْمِ بَقـائِهـا
٦ نـؤيٌ تَراءى مِثْـلَ عَطْفَـةِ نُـونِـهِ ... وأثـافٍ ٱلتـاحَتْ كعُجمَـةِ ثـائِهـا
٧ يـا هَـلْ تُبلِّغُني الجِيـادُ مَنـازِلاً ... قَلْبي نَـزيـلٌ في حِمَى نُـزَلائِهـا
٨ مِنْ كلِّ أشْـوَسَ للعـواصِفِ يَنْتَمي ... في مَرِّهـا وكرورِهـا وعِـدائِهـا
٩ مِنْ أشْقَرٍ كالبَرْقِ في وَمَضـاتِـهِ ... أو أشْهَبٍ كالشُّهبِ في أضْـوائِهـا
١٠ ولَرُبَّ لَيْلَـةٍ انْطَـوتْ مِنِّي عَلى ... مِثْـلِ الصَّبـاحِ أجُـولُ في أرجـائِهـا
١١ مُتَبَطِّنـاً نَهـداً أحَمَّ رَفَعْتُ مِنْ ... داجِيْـهِ مـا مَـزَّقتُ من ظَلْمائِهـا
١٢ مُتَنكِّبـاً زَوراءَ مِثْـلَ هِـلالِهـا ... مُتـأبِّطـاً زُرْقـاً كَشُهبِ سَمائِهـا
١٣ مُتَقَلِّـداً عَضْبـاً كَـوِتْرِ صَبـاحِهـا ... ضـاهَتْ حَمائِلَـهُ ثُنى جَـوْزائِهـا
١٤ أغْـدُوا وأخْترقُ المفـاوِزَ مُـدْلِجـاً ... أرْمِي بـأنْجُـدِها إلى (أحْسائِهـا ؟)
١٥ فِيحٌ تَعـاوَرُهـا الْجَنـائِبُ والصَّبـا ... فَنُجُـومُهـا لا يُهْتَـدى بِضِيـائِهـا
١٦ قَـد ظَـلَّ فيهـا النَّجمُ رَهْنَ مَضِلَّـةٍ ... وغَـدا يَتِيْـهُ الـذِّيبُ في تَيْهـائِهـا
١٧ هَيْهَـاتَ مـا في الأرْضِ مَـوْضِعُ راحَـةٍ ... ذو راحَـةٍ للنَّفْسِ مِنْ أعبـائِهـا
١٨ أنّى لأيَّـامي قَضـاءُ مـآربي ... شَتَّـانَ مـا بَيْني وبَيْنَ قَضـائِهـا !
١٩ عَجَبـاً لأزْمـانٍ تَسُرُّ عَبيـدَهـا ... وتُسِيءُ لـلأحرارِ مِن أبْنـائِهـا !

[٢٠]

جَوُّ القصيدة :

يبدأ الشاعر القصيدة بمطلع طلليّ فيه وقوف على آثار الحبيبة وتردادٌ للنظر في ذلك الباقي في ديار قومها بعد رحيلهم مثل الدّمنة والنُّؤي (١ ـ ٦) ، ويتمنّى لو تنقله الخيل إلى ديار المحبوبة الجديدة ، ويذكر بعض الجياد التي يطمح أن تكون وسيلته في الانتقال السّريع (٧ ـ ٩) ، ويخرج إلى ملمح حماسيّ يذكر فيه بعض مغامراته في ركوب الخيل واقتحام الآفاق بلباس الحرب غير هَيَّاب المفاوز والقفار ، ولا اللّيل والظُّلمات (١٠ ـ ١٦) ، ويقول إن همّته عالية لا تفي أيّامه ـ وإن طالت ـ بالوفاء بها لتشعب مطالبها وأهميّتها (١٧ ـ ١٨) ؛ ويختم ببيت أخير (١٩) فيه شكوى ـ من باب شكوى الشعراء ـ من حقه المهضوم ومكانته المضيّعة !

الشُّروح :

(١) الحدوج جمع الحِدْج : مركب للنساء كالمحفّة ؛ والأعفر من الظّباء ما يَعْلُو بياضه حُمرة .

(٢) (أُولى) من أسماء الإشارة للجمع . و (هاتي) للإشارة إلى المؤنثة . والرُّواء : ماء الوجه وحُسن النظر .

(٣) الأطلاء جمع طَلا وطَلْو : ولد الظّبي ساعة يولد ؛ والصَّغير من كُلّ شيء .

(٥) دِمَن جمع دِمْنة : آثار الدار ، والناس ؛ وما سُوّد من آثار الناس والدواب وتلبّد .

(٦) النؤي : الحفير حول الخيمة يمنع عنها ماءَ المطر ويُبعده ؛ شبه النؤي بحرف النون لتجويفه واستدارته . ثم شبّه الأثافي (وهي ثلاثة أحجار يوقد عندها أو حجران مع ثالث من الصَّخر وغيره من أصل الأرض والجبل) فقال إنها تشبه ثلاث نقط حرف الثاء (من الأثافي) !

(٨) الأشوس الذي فيه صفة الشَّوَس : إذا عُرِف في نظره الغضب والحقد ، (ويكون ذلك من الكِبر) ، والشوس : النظر بمؤخر العين تكبّراً أو تغيّظاً . جعل الصفة للفرس .

(٩) الأشقر من ألوان الفرس ، وهو أن يحمّر لونه كلّه . والأشهب : الأبيض .

(١١) الفرس النَّهد : الحسن ، الجميل ، الجسيم ، اللَّحِيم ، المُشرف . والأحَمّ : الأسود من كل شيء ، والأبيض (ضدّ) .

(١٢) الزّوراء : القوس . الزُّرق جمع أزرق : وهو النَّصل . وفي الصِّحاح قال ابنُ السِّكّيت : نصلٌ أزرق بيّن الزَّرَق ، إذا كان شديد الصَّفاء .

(١٣) العضب : السَّيف ، والوتِر : الفَرْد .

(١٤) أدلج : سار (مسافراً) من أول الليل .

وقوله (أحسائها) رسمت في ط : أجنائها . والكلمة مطموسة في الأصل تقريباً . وهي مقدّرة مني تقديراً .

(١٥) الفَيَحُ : السّعة . والأفْيَحُ : ذو الفَيَح . والمؤنّثة : فيحاء . والجمعُ : فيح . والْجَنُوب : ريح تخالف الشمال والجمع جنائب .

(١٦) المضلّة : ضد الهدى . وأرضٌ مضلّة : يضل فيها الطريق . والتَّيهاء من الأرض : المضلّة .

[٢١]

وقال أيضاً : **[من الكامل]**

١ اللهُ يَكْفِي عـــاذِلي وَرَقيبَهـــا ... حَتَّى تُثيبَ عَلى الهَـوى وأُثِيْبَهـــا
٢ مـا كانَ ضرَّ وقَـدْ عَصيْتُ عَـواذِلي ... أنْ لَمْ تَكُنْ تَعْصِي كَـذاكَ رَقِيْبَهـا
٣ وأنـا الفَقِيْرُ إلى اختِـلاسَـةِ لَحْظَـةٍ ... منْهـا ، وتَقْتُـلُ بـالصُّـدودِ كَئِيبَهـا
٤ أمِنَ الْمُبـــاح تَرَوْنَ في حُكمِ الهَـوى ... أنْ لا تَرَى عَيْنُ الْمُحِبِّ حَبِيْبَهـــا
٥ قَسَماً بِمَنْ تُحْـدَى الرِّكابُ لِبَيْتِـه ... فَتُبِينُ من ألَمِ البعـادِ نَحِيْبَهـا
٦ مـا لِلنُّفـوسِ سِـوى الأحبَّـةِ راحـةٌ ... دانُـوا بِنُعْمَى أم رَضُـوا تَعـذِيبَهـا
٧ مَنْ لِي عَلى عَطَلِي بِبـاهِرَةِ الْحُلى ... تُنْسي النجـومَ الطَّـالعـاتِ غُروبَهـا
٨ صَمَتَتْ خَـلاخِلُهـا وأنَّ وِشـاحُهـا ... وَكِـلاهُما مِثْلي غَـدا مَـوْصُـوبَهـا
٩ تَلْـوي عَلى لَـدْنِ الغصـونِ بُرودَهـا ... وَتَشُـقُّ عن بَـدْرِ الـدُّجـون جُيوبَهـا
١٠ لَمْيــاءُ تَبْسِمُ عن عُقـودِ لآلئٍ ... يـا بَرْدَ كبِـدي لـو رَشَفْتُ شَنِيبَهـا
١١ مـا خِلْتُ أنَّ الرِّيـقَ منْهـا خَمرَةٌ ... حتَّى رَأيتُ بِخَـدِّهـا أُلْهُـوبَهـا
١٢ أو أنَّ عَرفَ الرَّوْضِ مِنْ أنفـاسِهـا ... حتَّى شَمَمْتُ عَلى الأزاهِرِ طِيْبَهـا

١٣ أو أنَّ مُقلتَهـا تُغيرُ عَلى الـوَرى حتَّى غَـدوتُ طَعِينَهـا وسَليبَهـا
١٤ ثُعَليَّـةُ الألحـاظِ أصْمَتْ مُهْجَتي بظُبـا سِهـامٍ لا عَـدِمْتُ نُـدوبَهـا
١٥ خَضَبَتْ أنـامِلَهـا النَّـواعِمَ من دَمي عَمْـداً ، وقَلَّـدتِ الفـؤادَ ذُنـوبَهـا
١٦ يـا ربِّ إنْ حـالَتْ عَليَّ ولَمْ أحُـل عَنهـا فكُنْ يَـوْمَ الحِسـابِ حَسِيبَهـا

[٢١]

جَوُّ القصيدة :

يشكو الشاعر من عاذله ، ومن رقيب المحبوبة المذكورة في هذه القصيدة الغزليـة (١ ـ ٤) ، ويقسم أنّ راحته لا تكون بغيرها ـ لا يحب غَيْرهـا ـ (٥ ـ ٦) ، ويخرج إلى وصف محـاسنهـا في استطراد وإطالة بالقياس إلى عـدد أبيـات القصيـدة (٧ ـ ١٥) ، ويرجو ـ وهو يـدعو ـ ألاّ تحول عن عهده ولا تتحوّل عن محبّته (١٦) .

الشروح :

(٦) يقال : رضي الشيء وارتضاه ، ورضي به ، وعنه ، وعليه .
(٨) الوصب : المَرَض .
(٩) جيب القميص : طوقُه ، وما ينفتح منهُ على النّحر والجمع جُيوب وأجياب .
(١١) في ط : بخدّها أُسلوبها .
ـ يريـد بـالأُلهـوب : التَّلَهُّب والتَّـوهّـج ، وقـد استعملهـا مرّة أُخرى (تُنظر القصيـدة ١٦ البيت ١٨) .
(١٤) الظُّبا جمع الظُّبَة : حدّ سيف أو سنان أو نحوه .
وقوله ثعليّة الألحاظ إشارة إلى قول الشاعر (وهو امرؤ القيس / ديوانه : ١٢٣)
رُبّ رامٍ من بني ثُعَـــلٍ مُخرج كفّيـــه من سُتُرِهْ
الأبيات . وبنو ثعل قبيلـة من طيّئ يُنسَبُ الرَّمي إليهم ، منهم عمرو صـاحب القُتَر (وهي بيوت الصّائد التي يكمن فيها لئلا يفطن له الصّيد فينفر منه) .
(١٦) حال الشيء يحول : تحوّل أو تغيّر . وحال عن العهد : انقلب .

[٢٢]

وقال أيضاً : **[من السريع]**

١ صَدَعَتْ أكْبادِي صَدْعَ الزُّجاجْ ... وشُبْتَ لِي العَذْبَ بِمِلْحٍ أُجاجْ
٢ وسُمْتَ قَلْبي بُرَحاءَ النَّوى ... فَما لِما خامَرَهُ مِنْ عِلاجْ
٣ يا أيُّها الرَّاحِلُ يَطْوي الفَلا ... تَرْمِيْ بِهِ الفَيْحُ شُعوبَ الفِجاجْ
٤ قَدْ لاحَ كالبَدْرِ يَشُقُّ الدُّجا ... بِأَشْهَبٍ كالبَرْقِ يَجْلو العَجاجْ
٥ ونَظَّمَ الأنجُمَ عن شَكَّةٍ ... فَلِلدَّياجي عَنْ سَناهُ انْفِراجْ
٦ مُشَمِّراً عن ساعِدِ الجِدِّ لا ... يَلْوي عَلى ذِي لَوْعَةٍ واهْتِياجْ
٧ لَيْسَ لَهُ قَصْدٌ سِوى غارَةٍ ... يَشُنُّها أو خَوْضَةٍ في هِراجْ
٨ تاللهِ ما الأبْطالُ مَظْلُومَةً ... تُكافِحُ الأبطالَ يومَ الهِياجْ
٩ فِي مأْزِقٍ ضَنْكٍ ، لِقَرعِ القَنا ... بالبِيْضِ فيهِ ضَجَّةٌ وارتِجاجْ
١٠ قَدْ صافَحتْ فيهِ الصِّفاحُ الطُّلا ... واسْتَتْبَعتْ سُمْرُ الرِّماحِ الزِّجاجْ
١١ أسوأُ حالاً مِنْ مُحبٍّ لَهُ ... في الصَّدرِ مِنْ حُبِّكَ أدْنى اخْتِلاجْ
١٢ يا رَشَأً مُفترِساً لِلنُّهى ... مِثْلَ افْتِراسِ الأُسْدِ سِرْبَ النِّعاجْ
١٣ أصْبَحْتَ كالبَدْرِ فَلا غروَ أن ... تُمسِيَ ما بينَ سُرًى وادِّلاجْ
١٤ أسْتَودِعُ الله حَبيباً نَأى ... عَنِّي فدَهريْ بَعْدَهُ في لَجاجْ
١٥ إنْ تَجْمَعِ الأيّامُ شَمْلي بِهِ ... لم تَبْقَ للنفسِ عَلى اللهِ حاجْ

[٢٢]

جوّ القصيدة :

القصيدةُ غَزَلٌ ملفوفٌ بالحماسة : يبدأ الشاعر ببيتين يتوجه الخطاب مباشرة إلى المحبوبة (بصيغة الحبيب) يذكر فيهما حبّه ولوعته ، ثم يتوجه بالخطاب إلى رجل موصوف بصفات الفروسية والبطولة والشجاعة والجدّ والإقدام (٣ ـ ٧) وحديثه هنا عن نفسه ؛ ثمّ يتابع في استدارة تشبيهيّة ليقول إن حال المحارب في أقسى أوقات القتال واللقاء أخف وطأة من حال

المحبّ وقد خالجه حبّ المحبوبة (يعني المخاطبة بالمَطلع ١ ، ٢) ، ثم يخاطب المحبوبة مباشرة بصفة الرّشأ (يا رشأ) (١٢) مستغلاً بعض الصُّور (١٣) ، ويختم ببيتين أخيرين يذكر فيهما الحبيبة البعيدة ، ويدعو الله أن يحميها ، ويتمنّى لو أُتيح له اجتماع الشمل ، فإن كان له ما تمنّى ، فقد استنفد آماله وأمانيه !

الشروح :

(١) الصَّدْع : الشَّقّ (في شيء صلب) . وشَابَ : خَلَط . والأُجاج : المِلْحُ المرُّ من الماء كماء البحر . وهذا البيت هو صياغةٌ لبيتٍ لابن عبد ربّه على وزن مختلف ، وهو قول ابن عبد ربّه (ديوانه : ٤٣) :

صَدَعْتَ قَلْبِيَ صَدْعَ الزُّجاجْ مَالَهُ مِن حِيلَةٍ أَوْ عِلاجْ

(٢) سَامَهُ الأمرَ : كلّفهُ إيّاه وألزمه به . والبُرَحاء : شدّة الأذى . والنّوى : البُعْد . وخَامَرَهُ الدّاءُ : خالَطَهُ .

(٣) الفِيح : جمع الأفيح والفيحاء ، بمعنى الواسع . والفِجَاج : جمع الفَجّ ، وهو الطريق الواسع بين جبلين .

(٤) الأشهب : الأبيض المختلط بالسّواد ؛ يريد فَرَساً . والعَجَاج : الغبار .

(٥) شَكَّ الشّيءَ بالرّمح : انتظمه . والسَّنا : الضّوء السّاطع .

(٦) لا يَلْوِي عليه : لا ينتظره .

(٧) هَرِجَ النّاسُ هَرْجاً : وَقَعُوا في فتنة واختلاط .

(٩) الضَّنْك : الضّيّق . القنا : الرّماح ، جمع قناة . والبِيض : السّيوف .

(١٠) الصِّفاح : السيوف ، جمع الصَّفيحة . والطُّلا : جمع الطُّلاة ، وهي العُنُق . والزِّجاج : جمع الزُّجّ ، وهو الحديدة التي في أسفل الرّمح .

(١٢) الرَّشَأ : ولد الظّبية إذا قوي وتحرّك ومشى مع أمّه . والنُّهَى : العَقل .

(١٣) أدْلج القوم إدلاجاً : ساروا من آخر اللّيل . وسَرَى : سارَ عامّة اللّيل .

(١٤) لجَّ لَجاجاً : تمادى في العناد إلى الفعل المزجور عنه .

(١٥) الحاج : جمع الحاجة .

[٢٣]

وقال أيضاً : **[من الخفيف]**

١ أيُّ حُسنٍ عَلى ظُهــورِ الْمَهـــارى ... قـــد تَـولَّى وأيُّ نُـورٍ تَـوارى

٢ أقْمَرٌ مـــا انْجَلت لِعَيْني دُجـــاً ... إلاَّ وغَـارَ الصَّبـاحُ منهـا فَغَـارا

٣ قَطَـعَ القَلْبُ في هـواهـا زَمـانـاً ... وقَضى للصِّبـا بهـا أوْطـارا

٤ أزْمُنٌ قـــد مَضَتْ بِبَرْدِ نَعيمٍ ... غـادَرتْ بَعْـدَهـا الضُّلـوعَ حِرارا

٥ لَمْ تَكُنْ غيرَ لَمْـــحِ بَرْقٍ تَراءى ... أو خَيـالٍ قُربِ الصَّبيحــةِ زارا

٦ بَـارِقـاتٌ أعَرْنَ قَلْبي خُفـوقـاً ... وبُـــدورٌ أورثْنَ جسمي سِرارا

٧ قَـدَحَ النَّـارَ نُـورُهـا في فـؤادي ... وامْتَرَتْ مُقْلَتي حَيّـاً مِـدْرارا

٨ آهِ مِنْ ذا البعـاد قَـدْ ضَـاقَ ذَرْعِي ... أسْـألُ الله حِسْبَـةً واصْطِبـارا

٩ يــا نَسيمـاً سَرَى لأقربِ عَهْــدٍ ... بِحِماهُمْ حَـــدِّثْني الأخْبــارا

١٠ كَيْفَ غَرْنـاطَـةٌ ومَنْ حَـلَّ فيْهـا ... حَبَّـذا السَّـاكنونَ تِلْـكَ الـدِّيـارا

١١ كَيْفَ أحبــابُ مُهْجَتي رُوحُ رُوحي ... نُـــورُ عَيْني ؛ الجـــآذِرَ الأقْمارا

١٢ هَــلْ لَهُمْ مِنْ تَشَـوُّفٍ لإيـــاب ... أمْ أنــاخُـوا بهـــا وقرُّوا قَرارا

١٣ وَعليمِ الغُيــوبِ لا حُلْتُ عَهْــداً ... عَنْ هَــواهُمْ ولا خَفَرْتُ ذِمــارا

١٤ مَنْ رَسُــــولي إلى حُبَيِّبِ قَلْبي ... بُغْيَتي حَيْثُ مــا ثَـوَى واسْتَطـارا

١٥ لِيـــؤدِّي تَحيَّـــةً مِنْ مُحِبٍّ ... يَفْضَحُ الرَّنْـدَ نَشْرُهـا والعَرارا

١٦ ويُعيـــدَ السَّـلامَ مِنْــهُ أريجـاً ... طَيِّبَ العَرْفِ نـافِحـاً مِعْطـارا

[٢٣]

جَوّ القصيدة :

تبدأ القصيدة بالإشادة بحسن الفتاة (المقصودة) التي رحلت يوم أنْ رحل قومُها ، فغاب برحيلهم الأقمار (١ ـ ٢)ل ويتذكر من المحبوبة أياماً مضت سريعاً ولم تكن غير لمح برق ... أو خيال (٣ ـ ٧) ، ويشكو البُعد والفراق (٨) ، ويلتفت إلى غرناطة التي

احتوت الأحبّة وضمّتهم إليها ، وقد مال قلبُه إليها ، ويسألها عن الأحبّة ما حالُهم ؟ وهل في نيّتهم العودة إلى حيث يقيم الشاعر (وبَلَدُه مدينة الْمَرِيَّة) (٩ ـ ١٣) ، ويتساءل هل يجد رسولاً ثقةً يحمل منه تحية طيّبة إلى حبيبة القلب ، ويُرجع منها تحية عاطرة تملأ الشمَّ والقلب عبقاً وشذى (١٤ ـ ١٦) .

الشروح :

(١) المهارى : جمع المهريّة وهي إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان .

(٢) دجاً : منصوب على الظرفيَّة الزمانيَّة . وغَار (الأولى) : أظهر الغَيْرة . وغارَ (الثّانية) : غابَ .

(٣) الأوطار : جمع الوَطَر ، وهو الحاجة .

(٦) السِّرار : آخر ليلة في الشَّهر يستسِرُّ فيها القَمَرُ .

(٧) امترى الشّيءَ : استخرجه . والْحَيَا : المطر .

(٨) ضاق ذرعاً بالأمرِ : شقَّ عليه ، وعجز عنه . والحِسبة : ادّخار الأجر عند الله .

(١٠) غرناطة : كانت عاصمة آخر مملكة إسلامية في الأندلس تحت ظلّ أُمراء بني الأحمر وسلاطينهم ، وكانت في أوّل العهد الأندلسيّ تابعةً لمدينة إلبيرة ، ثمّ صارت هي الحاضرة : وهي مدينة عظيمة صارت إحدى مدن الأندلس المشهورة عمراناً وأهمِّيَّةً ، ولا يزال قصر الحمراء آيةً تدلّ على عظمة تلك المدينة وتقدّمها ؛ تقع المدينة في منطقة جميلة غنيّة بالمياه والمزروعات ، ويشقّها نهر (حَدَارُه) . وتطلّ على المدينة جبال (شلير) التي تكسوها الثلوج ؛ ونقل لسان الدين بن الخطيب في (الإحاطة) عن الرازي قوله في وصف غرناطة : إنّ فَحْصَهَا (السهل المحيط بها) لا يُشَبَّه بشيء من بقاع الأرض طيباً وشرفاً إلا بالغوطة ، غوطة دمشق .
وكانت هذه المدينة آخر قلاع المسلمين سقوطاً بيد الإسبان القشتاليّين وحلفائهم . وقد ألّف لسان الدين بن الخطيب كتابه (الإحاطة في أخبار غرناطة) للتعريف بها . وذكرها في كتابه (اللّمحة البدريّة في الدّولة البصريّة) وفي رسائله وكتبه الأُخرى ، وانظر أيضاً : (الرّوض المعطار في خبر الأقطار) للحميريّ : ٢٣ ـ ٢٤ ، و (المغرب في حلى المغرب) لابن سعيد ١٠٢/٢ ـ ١٠٤ ، و (معجم البلدان) لياقوت : ١٩٤/٤ ـ ١٩٥

(١١) الجآذر : جمع الجؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشيّة .

(١٢) التّشوُّف : التطلُّع ، والطّموح للأمر .
(١٣) حالَ عَهْداً : تَغَيَّر عَهْداً . وخفَرَ العَهْد : نقضه . والذّمار : ما ينبغي الذَّوْد عنه .
(١٥) الرَّنْـد : شجر طيّب الرَّائحـة ، والعُـود ، والنَّشْر : الرِّيـح الطَّيِّبـة . والعَرَار : بَهَـار طَيِّب الرَّائحة .
(١٦) العَرْف : الرَّائحة الطَّيِّبة ، وتسمَّى الرَّائحةُ أيّاً كانت عَرْفاً .

[٢٤]

وقال أيضاً : **[من الخفيف]**

١ لاحَ مَرْأى فَقُلتُ : بَـدْرُ الـدُّجـونِ ... وتثَنَّى فقُلتُ : بَعْضُ الغُصـونِ
٢ ورَنـا لِي فقُلتُ : ظَبْيُ كِنـاسٍ ... فَسَطـا بي فَقُلت : لَيْثُ عَرِينِ !
٣ أيْنَ ، لاأيْنَ مِثْـلُ ذاكَ الْمُحَيَّـا ... أيْنَ ، لاأيْنَ مِثْـلُ تِلْـكَ الْجُفـونِ
٤ مَنْ لِغُصنٍ بلِيْنِ ذاكَ التَّثَنِّي ... مَنْ لِبَـدْرٍ بنُـورِ ذَاكَ الْجَبينِ
٥ مَنْ لأُسْـدِ الشَّرى بـذاكَ التَّعـدِّي ... مَنْ لِظَبْيِ النَّقـا بتِلْـكَ العُيـون
٦ مـا أظُنُّ الإلـهَ أبْـدعَ شَخْصـاً ... مِنْـكَ أحلَى حـالَيْ جَفَـاءٍ ولِيْنِ
٧ يـا طـويـلَ المِطـالِ مِنْ غَيْرِ عُـذْرٍ ... مـعَ فَقْري ، خَفْ دَعْـوَةَ المِسْكِينِ !
٨ لِيْ عَلى مُقْلَتَيْـكَ قِـدْمـاً دُيـونٌ ... سَـوفَ أقْضِي ولا أُقَضَّى دُيُـوني
٩ بينَ عَيْنِيْ وَوَجْنَتَيـكَ حَـديثٌ ... مُقْتَضـاهُ شَرْحُ الهَـوى والفُتُـونِ
١٠ مَنْ نَصِيْرُ الفـؤادِ مِنْ صَـدِّ ظَبْيٍ ... دائِمِ التِّيـهِ مُستمِرِّ الْمُجـونِ
١١ لامَ فِيْـهِ اللُّحـاةُ حتَّى إذا مـا ... حَسِبُـوا أنَّهُمْ قَـدِ ٱسْتَخْلَصُـوني
١٢ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ أنْ لَمحْنـاهُ يَبْـدُو ... فَعَشِقنـاهُ كُلُّنـا في الحِيْنِ
١٣ فَتَنَـاسَـوا مَـلامَتِيْ بِشَجـاهُمْ ... وتَنـاسَيْتُ لَـومَهُمْ بشُجـوني

[٢٤]

جوّ القصيدة :

تبدأ أبيات القصيدة بـالحـديث عن محبوبـةٍ موصوفـةٍ بـأوصـافٍ هي الغـايـة فهي : بـدرٌ في

الظــلام ، وغصنٌ ليّن ، وظبيٌ من الإنس ، ولكنهـــا في السطــوة ليث عرين (١ ـ ٢) ، ويسترسل ـ وهو يجعلها فوق نظيراتها ـ ليتحـدث عن الجفون والْمُحَيّا والتثنّي (٣ ـ ٤) ، ويؤكد أنه لا يعرف أجملَ منها ـ على كثرة مارأى هو ورأى غيره ! ـ (٦) ، ويشكو النِّفار والمطال وكثرة دُيونه على الأحبّة ـ وهي ديون المحبّة ! ـ (٧ ـ ٩) ويقول إنّ اللائمين كانوا يلومونه على ما يعاني من المحبّة ، فلمّا رأوا المحبوبة وجَدُوا له العُذر لمّا عانوا من الوجد مثل ما يُعاني ! (١١ ـ ١٢) ، فنسي القوم لومه وتناسى لومه ـ لكثرة شجونه ! ـ (١٣) .

الشروح :

(١) في الصّحاح : الدَّجْن : إلباس الغيم السَّماء . ويقال : دجَن يومنا دجْناً ودُجوناً والدّجنّة : الظلمة والجمع دُجَن ودجنات . ولم أجد الدُّجون بمعنى الظُّلمة كما أراد الشاعر . ولكنْ وردت الدُّجُنّ ـ على وزن عُتُلّ ـ كما في القاموس واللسان .

(٢) كناس الظّبي : مستترة في الشجر . العرين : مأوى الأسد .

(٧) قوله (مع فقري) فيه تورية ، فالمعنى الظاهر فقر الحال والمال ، وهو يريد شوقَهُ إليها !
ـ في الأصل وفي ط : يا كثير المطال ، وفوقها في الأصل (ياطويل) مع كلمة صحّ ؛ فاعتمدناها .

(٨) أقضي : أموت . أُقَضّى : أُوَفّى .

(١٢) في ط : غير أن محيّاك .

[٢٥]

وقال أيضاً : **[من السَّريع]**

١ إذا بَــدا الأحْسَنُ فَــوْقَ الحِصــانْ ... إيّــاكَ إيّــاكَ ، الأمــانَ الأمــانْ !
٢ إنَّ لَــهُ مِنْ قَــدِّهِ صَعْــدَةً ... قَــد رُكِّبَ اللحــظُ عليهــا سِنــانْ
٣ يَرمي فَيُصْمي كُــلَّ قَلْبٍ بهــا ... فَما لِخَلْـقٍ بِظُبــاهــا يَــدانْ
٤ خُــذُوا لَــهُ أُهْبَتَكُمْ واحْــذَروا ... فَما عَلَيْــهِ في قَتِيْــلٍ ضَمانْ
٥ مــا أمْلَحَ الفُرســانَ لَـوْ لَمْ يَكُنْ ... خَصْلُهُم قَلْبي وفِيــهِ الرِّهــانْ
٦ يــا لامِــحَ الرَّبْرَبِ مُسْتَمْلِحــاً ... بُــدورَ تِمٍّ فَـوْقَ كُثبــانِ بــانْ

٧ حَـــذارِ مِنْ عُفْرِ الظِّبـــا إنَّهـــا ... تَبْطِشُ بـالأُسْـدِ عِيـانـاً بَيـانْ !
٨ يـــا بِـــأبي أسْمَرُ مِثْـــلُ اللَّمَى ... مِنْ دُونِـــهِ للسُّمْرِ حَرْبٌ عَـــوانْ
٩ شُـوَيْـدِنٌ طـاوي الحشـا مُفْعَمُ الـ ... أرْدافِ قـاسِيْ القَلْبِ رَخْصُ البَنـانْ
١٠ إذا بَـدا يَخْتـالُ في مَشْيِـهِ ... فـالشَّمْسُ والغُصْنُ لَـهُ يَسْجُـدانْ
١١ قَـدْ حـالَ مـا بينَ قُلـوبِ الـوَرى ... وبَينَهُمْ، فَهُمْ بِـهِ فِرقتـانْ !

[٢٥]

جو القصيدة :

في القصيدة غزل بمن اتخذ صفة الفروسيّة وهو غزلٌ يتوجّه إلى فتاة فارسة : وقد مزج الشاعر بين الكلام على الفروسيّة ومُعطياتها وبين الغزل وفنونه .

الشروح :

(٢) الصَّعْدَة : القناة تَنْبُتُ مستويةً فلا تحتاج إلى تثقيف ، يُتَّخَذُ منها الرُّمح . والسّنان : نصل الرّمح .

(٣) أصْماهُ : أنْفَذَ فيه السَّهْمَ ونَحْوَه . والظُّبـا : جمع الظُّبَـةِ ، وهي حـدّ السَّيف والسِّنان والخنجر ونحوها .

(٤) الأُهبة : العُدَّة ؛ وتأهَّبَ للأمر : استعدّ .

(٥) الْخَصْلُ : الرِّهـانُ الـذي يُراهَنُ عليـه ؛ وتخـاصَـلَ القـومُ : تسـابَقُـوا ، وتَراهَنُـوا على الرَّمْيِ والنِّضال .

(٦) الرَّبْرَب : القطيع مِن بقر الوحش . وبَدْرٌ تِمٌّ : البَدْرُ أتَمّ ما يكون فيبهر بنوره . والكثبان : جمع الكثيب ، وهـو الرَّمـل المستطيـل الْمُحْـدَوْدِب . والبـان : ضرب من الشجر ، سَبْـطُ القَوام ، ليّن ، ورَقُه كورَق الصّفصاف ؛ يُشَبَّهُ به الحِسانُ في الطُّول واللِّين .

(٧) الظّبْيُ الأعفر: الّذي يعلو بياضَهُ حُمْرَة . وعِياناً : مُواجَهَةً . وقول الشّاعر : « عياناً بَيان » يجري مَجْرَى الإتبـاع ؛ ولم تَرِد العبـارة في كتـاب (الإتبـاع) لأبي الطيّب اللّغويّ ، وانظر مقدّمة كتاب الإتباع ـ تحقيق المرحوم عزّ الدين التّنوخيّ ، دمشق ١٣٧٠ هـ / ١٩٦١ م .

(٨) اللّمى : سُمْرَةٌ في الشَّفَةِ تُسْتَحْسَنُ . والْحَرْبُ العَوان : التي قُوتِلَ فيها مرّةً بعد أُخرى .

(٩) شُوَيْدِن : تصغير شادِن ، وهو وَلَدُ الظَّبْيَةِ إذا استغنى عنها . وطاوي الْحَشا : مُضْمَرُ الْحَشا . ومُفْعَمُ الأرداف : مُمْتَلئ الأرداف ، مُكْتَنِزُها . والرَّخْص : اللَّيِّن النّاعِم .

(١٠) اخْتالَ : تمايَلَ وتكبَّر . بنى الشاعر البيتَ على اقتباس قرآنيّ من سورة الرّحمن ٦/٥٥ ، قال تعالى : ﴿ والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدان ﴾ والْمُراد بالنّجم في الآية الكريمة هو النّبات الّذي لا ساقَ له ، مِن قولهم : نَجَمَ أي ظَهَرَ وطلع .

(١١) حالَ بينهما : حجز .

[٢٦]

وقال أيضاً :

١ بَدَتْ فَشَدَتْ في مَساقٍ حَسَنْ ... فأحسَنْتِ أحْسَنْتِ أُمَّ الْحَسَنْ
٢ جُوَيْرِيةٌ قَدْ جَرَتْ في النُّفوسِ ... مَجْرَى ظُبا لَحْظِها في البَدَنْ
٣ تُغَنّي فَتُغنيكَ عَنْ بُلبلٍ ... وتَثْنيكَ إمَّا انْثَنتْ عَنْ فَنَنْ
٤ تُريكَ وتُسْمِعُ ما تَشْتَهي ... بِقَدٍّ رَطيبٍ وصَوْتٍ أغَنْ
٥ كأنَّ مَفاصِلَها الْخَيْزُرانُ ... فَتَبْدو مِنَ الرَّقْصِ في كُلِّ فَنْ
٦ فَتاةٌ يَفُوتُ النُّهى حُسْنُها ... بها فَتَنَ الْحُبُّ مَن قَدْ فَتَنْ
٧ تجلَّتْ فَجلَّتْ ضُحاً في دُجاً ... فَوَجْهٌ أنارَ وشَعْرٌ دَجَنْ
٨ لِخَلْخالِها ضَمَّةٌ ما رَآها ... سِواهُ من الْحَلْيِ إلاّ وأنْ
٩ أيا ظَبْيَةً في ظُبا لَحْظِها ... وفي وَجْنَتيها ضُروبُ المِحَنْ
١٠ تَلافَيْ مُحِبّاً قَضى نَحْبَهُ ... وإنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَضى فكأنْ
١١ إذا لَم تَجُودي لَهُ بالرِّضا ... ولَمْ تَرحَميْهِ بِوَصْلٍ فَمَنْ ؟!

[٢٦]

جوّ القصيدة :

في القصيدة غزل بِمَنْ تغنّي فتطرب الأسماع وتشنّف الآذان ويشبه الشاعر تلك الفتاة بالطائر المعروف بالْحَسُّون (أُمّ الحسن) ويقول إن حُسنها غير مقصور على شدوها وجمال

إيقاعها ، ولكنه حسن شامل ؛ فهي طيّبة الصوت ؛ بارعة الشدو ، حلوة القدّ مشرقة الوجه .

الشروح :

(١) شَدَت : تَغَنَّتْ . وأُمّ الحسن : أنثى الطّائر المعروف في المشرق بـ « الْحَسُّون » ، والّذي يسمّيه الأندلسيّون : « أبا الحسن » ؛ وفي الحيوان للدّميريّ : « الْحَسُّون : عصفور ذو ألوان بحمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة » ، قال : وهو يَقْبَل التّعليم (حياة الحيوان الكبرى ٢٨٥/١) ؛ وانظر كتاب التّشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتّاني الطبيب ، تحقيق : د . إحسان عباس : ٨٨

(٢) الظُّبا : جمع الظُّبَةِ ، وهي حدّ السيف والسّنان والخنجر وما أشبهها .

(٣) البيت ساقط من (ط) .

(٧) جَلَّتْ : كَشَفَتْ . ودَجَنَ : أظْلَمَ .

(١٠) أي : فكأنّه قضى .

[٢٧]

وقال أيضاً ، وقد سُئل التوطئة للبيت الأخير منها : [من البسيط]

١ أوْدَى بِقَلْبِكَ صَدْعٌ لَيْسَ يَلْتَئِمُ ... وخَانَ صَبْرَكَ دَمْعٌ ليسَ ينكَتِمُ
٢ فصَارَمُوكَ حِذاراً أنْ تَنِمَّ بِهِمْ ... وما انْتِفاعُكَ بالدُّنيا إذا صَرَمُوا
٣ أحْبابَ قَلْبِيَ والأسْقامُ تُقْعِدُني ... ولَستُ مِمَّن مَداهُ في الْهَوى أَمَمُ
٤ هَل تُستعادُ لَيالينا الّتي سَلَفتْ ... أو تُستَجدُّ بِكُمْ أيّامُنا القُدمُ
٥ إذْ مَعْطفي للصِّبا لَدْنُ المهزَّةِ لا ... يَزالُ تجذِبُهُ الآدابُ والكَرَمُ
٦ عُهودُ أُنسٍ تَقضّاها الزَّمانُ رِضًى ... كأنَّها في حَواشي بُردِهِ عَلَمُ
٧ مرَّت كما السُّحْبُ لو لَمْ يَبْقَ في كَبِدي ... مِنْ بارقاتِ أماني عَوْدِها ضَرَمُ
٨ لَئِن نَسُوها عُهوداً كُرِّمَتْ لَهُمُ ... حَديثُ سِرِّي وجَهْري في الأنامِ هُمُ
٩ ما ضَرَّهمْ وبِصَدْري للأسَى حُرَقٌ ... لَوْ أنّهمْ بِسُرورٍ مِنْهُمُ رَحِمُوا
١٠ [هُمْ عَلّموني البُكا ما كُنْتُ أعرِفُهُ ... يا لَيْتَهُمْ عَلَّموني كَيْفَ أبْتَسِمُ] !

[٢٧]

جَوُّ القصيدة :

تجري الأبيات مجرى غزلياً رقيقاً ؛ فالشاعر يتحدّث عن صدعٍ في القلب ، وصبر نافد ترك الدّمع يبوح بالمكتوم ؛ ويتذكر أياماً ماضية وليالي سارّة ويتساءل هل تعود تلك الأيّام وتتجدّد الآمال فيها ؟ ويقول ـ بشيء من أسى المحبّ الذي انقضت أيام حبّه بالبُعد أو الهجر أو الفراق ـ : ماضرّ الأحبة لو رحموا بأن جدّدوا شيئاً من دواعي السُّرور ؟..

ويختم بالبيت المطلوب التوطئة له : هم علّموني البكا ..

الشروح :

(٢) صارَموك : قاطَعوك .

(٣) الأَمَمُ : اليسير ، والقُرْب .

(٤) هذا البيت يذكر بالموشحة المشهورة التي فيها :

هل تستعادْ أيامنا بالخليجْ ولياليْنا

أو يُستفادْ من النَّسيم الأريجْ مسكُ دارينا ؟

(٥) اللَّدْن : اللَّيّن .

(٧) الضَّرَم : لَهَبُ النَّار .

[٢٨]

وقال أيضاً : **[من البسيط]**

١ في راحَتَيْك حَياةُ الرُّوحِ والبَدَنِ وفي رضاكِ مجالُ السِّرِّ والعَلَنِ

٢ وفي ضَميري لَكُمْ مكنونُ سِرِّ هَوَى لو رامَ ذِهْنِيَ عنهُ الكَشْفَ لم يبنِ

٣ هَوًى تَردَّد في مِثْلِ الْهَواءِ ضَناً مازلتُ أكْتُمُهُ صَوْناً فَيَكْتَمِنُ

٤ خَفيتُ عن كُلِّ شيءٍ غَيْرَ عِشْقِكُمُ من السَّقامِ، ولولا الطَّبْعُ لم يَرَني

٥ بَيْني وبَيْنَ الْهَوَى أجْلَى مُناسَبَةٍ فَذاكَ أعْرِفُهُ حَقّاً ويَعْرِفُني

٦ يا حافِظاً بَيْنَ قَلْبي والأسى ذِمَماً وناقِضَ العَهْدِ بينَ العيْنِ والوَسَنِ

٧ عَــذِّبْ بِتِيْهِــكَ نَفْسي يَكْتَمِـلْ وَلَهي ورُعْ بِهَجْرِكَ قلبي يتَّصـــــــلْ شَجَني
٨ فَما أمـــــــــــانيَّ إلا أنْ تُرَوِّعني ولا نَعِيمِيَ إلاّ أنْ تُعَــــــــــذِّبَني !!
٩ عَجِبْتُ لِلْحُبِّ يـا لَلنَّـاسِ كَيْفَ غَـدا للنَّفْسِ مَغْنيطِسَ اللَّـــذاتِ والمِحَنِ !

[٢٨]

جوّ القصيدة :

في القطعة غزل عام ، وليس فيها إشارة مباشرة إلى اسم المخاطبة أو شخصها . وتـدورُ القطعـة حول استئثار المحبوبة بجانبي الروح والبـدن من الشّـاعر فقـد تملكـه حبّهـا ، ولزمـه هواهـا . ويعلن الشـاعر أنـه يحتمل من المحبوبـة كل مـا (تعـذّبـه) بـه من أنواع الصـدّ والبُعـد كاالتّيـه وما يعانيه من الوجد والسُّقم !..

ـ ويمكن تأويل القطعة تأويلاً رمزيّاً .

الشروح :

(٣) اكْتَمَنَ : اختفى .
(٤) يحكي بيت المتنبّي في معناه حيث يقول :

كفى بجسمي نُحـولاً أنّني رَجُـلٌ لَـوْلا مُخـاطَبَتِي إيّـاكَ لم تَرَني !

(الديوان ١٨٦/٤ بشرح العكبريّ) .

(٦) الوَسَن : النُّعاس .
(٧) الشَّجَنُ : الْحُزْن .

[٢٩]

وقال أيضاً : **[من المتقارب]**

١ إلى كَمْ يُنــــادِيـــكَ داعِي الــوَتَرْ فَلَبِّ النِّــــــداءَ ودِنْ بـــــــالسَّهَرْ
٢ ونَبِّـــهْ جُفــونَــــكَ من غمضِهـــا فَقَــــدْ نَبَّـــه الرَّوْضَ قَطْرُ الْمَطَرْ
٣ أمــــا تُبْصرُ الشُّهْبَ مِثْــلَ العُقــودِ قَـــدْ نَهَبَ الصُّبْــحُ مِنْهـــا دُرَرْ
٤ وضَمَّ الـــدُّجـــا ذَيْلَـــهُ خيفَـــةً عَلَيْـــهِ مِنَ الفَجْرِ لَمّـــا انفَجرْ
٥ ورَوضَتُنــــــــــا تُجْتَلى كالعرُوسِ كَســاهــا سَنـا الصُّبحِ مِثْـلَ الْخَفرْ

٦ وقَدْ نَظمتْ مائِلاتُ الغصون   لآلِئَ طَلٍّ عَلَيْها انْتَثَرْ
٧ وقامَتْ سَماءً لَنا دَوْحَةٌ   تطَلَّعَ كالزُّهرِ فِيها الزَّهَرْ
٨ فَحُثَّ الْمُدامَ، وسَقِّ النَّدامى   وسَلِّ الغرامَ، وحَلِّ الفِكَرْ
٩ وخالِسْ زَمانَكَ غَفَلاتِهِ   فَقَدْ فازَ بالعيشِ مَنْ قَدْ جَسَرْ

[٢٩]

جوّ القصيدة :

في القطعة غزلٌ في مهاد الطبيعة الأندلسيّة الجميلة : فالشاعر يتحدّث عن يوم مشرق حسن سبقه ليلة ممطرة أنعشت الرَّوض ولطفت الجوّ وهيّأت المناسبة للانطلاق مع أنواع الجمال في الطّبيعة والحياة .

والقطعة تُماثل الشعر الكثير الّذي استغل فيه الشاعر محاسن الطبيعة بعد يوم الدَّجْن ؛ وتجاري شعراء مجالس الأنس والطرب .

الشروح :

(٥) الْخفَر : الْخَجَل .
(٦) الطَّلّ : النّدى الذي تُرسِلُه عروقُ الشجر إلى غصونها .
(٧) الزُّهر : جمع الأزهر ، وهو النَّيِّر ، يريد بها النُّجوم .
(٩) في هذا البيت معنى قول بشّار وتلميذه سَلْم الخاسر ؛ قال بشّار :

مَنْ راقبَ النّاسَ لم يَظْفَرْ بحاجَتِهِ   وفازَ بالطَّيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

وقال سلم :

مَنْ راقَبَ النَّاسَ ماتَ غَمّاً   وفازَ باللَّذَّةِ الْجَسُورُ

[٣٠]

وقال أيضاً : **[من الرَّمَل]**

١ مَنْ عَذِيْري مِنْ تَجَنِّي شادِنٍ   رامِحِ القامَةِ شاكي الْحَدَقِ
٢ ماجِنِ البالِ وَقاحٍ لا يَرَى   في دَمِ الصَّبِّ عِقاباً يَتَّقي

٣	أَوْدَعتْ ألحـــاظُـــهُ في كَبِـــدي	مــا أطــاقَتْــه ومــا لَمْ تُطِـق
٤	سَلْسَـلُ الْحُسْنِ بِخـــدَّيْـــهِ جرَى	عَجَبــاً ! ســاغَ، ومِنْــهُ شَرِقي
٥	لِمُحيَّـــاهُ الْمُحيّــــا رَوْنَـــقٌ	يـــا لَقَلْبي ولِـــذاكَ الرَّوْنَـــقِ
٦	خَلَـعَ الرَّوضُ عَلَيْـــهِ مِطْرَفــاً	مِن بَـديـعِ النَّـور سَـاري العَبَـقِ
٧	فــارْتَـــدَتْ خـــدَّاه بُردَيْ وَرْدِهِ	واكْتَسى الشَّـــارِبُ صِبْـغَ الـوَرَقِ
٨	واسْتَبى الثَّغرُ مُنَـــــــدَّى زَهْرِهِ	واحتَــوتْ عَينـــاهُ سِرَّ الــزُّرَقِ
٩	فَهـــو رَيَّـــا ورُواءٌ ورُؤىً	لِصَـــــدٍ أوْ راءٍ اَوْ مُنْتَشِـــقِ

[٣٠]

جوّ القصيدة :

يكتفي الشاعر في هذه القطعة بذكر أوصاف جمالية متعدّدة في من وصفها بالشادن (!) ويسترسل في هذه الأوصاف حتى يستوفي عدداً منها تستنفد ما يخصّ الجسَد بتفاصيل كثيرة ، ونفهم من خلال البيت الثامن أن الفتاة ذات عينين زرقاوين ... ولا يتجاوز الشاعر إلى أوصاف معنوية أو نفسيّة .

الشروح :

(١) الشّادن : وَلَدُ الظّبية . ورَجُلٌ شاكي السّلاح : أي ذو شَوْكةٍ وحِدّةٍ في سلاحه .

(٤) السَّلْسَلُ : الماء العذب الصافي ، إذا شُربَ تَسَلْسَلَ في الحلق . واستفاد الشاعر من قول عديّ بن زيد (ديوانه : ٩٣) :

لــو بغير المـــاء حلقي شَرِقٌ ... كنتُ كالغَصّان بالماء اعتصاري

يعني : لو شرِقتُ بشيءٍ كنتُ أُسيغُه بالماء ، فإذا شرِقتُ بالماء فبِمَ أُسيغُه !

وقول يزيد بن الصّعِق (شرح ابن عقيل ٦٠/٢) :

فَســاغَ ليَ الشَّرابُ وكنتُ قَبْـلاً ... أكادُ أغَصُّ بــالمـــاء الحميمِ

(٦) الْمُطْرَف والمِطْرَف ، واحِدُ الْمَطارِف ، وهي أرديةٌ مِن خَزٍّ مُرَبَّعة لها أعلام .

(٩) الصَّدِي : شَدِيدُ العَطَش .

[٣١]

وقال أيضاً : **[من المنسرح]**

١ مـــا بيْنَ نَجْـــدٍ وتَلْعَـــةِ العَلَمِ ... غُــزَيْــلٌ سَيْفُ طرفِـــهِ بِـــدَمي
٢ كَليــلُ لَحْـــظِ الْجُفُــون فـــاتِكُـــهُ ... في القَلْب فَتْـــكَ الْمُهَنَّـــدِ الْخَـــذِمِ
٣ إنْ كُنْتَ لم تَـــدْرِ مـــا جَـــوايَ بـــهِ ... فسَـــلْ ظُبـــا نـــاظِرَيْـــهِ عَنْ أَلَمي
٤ بـــاللهِ خُـــذْ صِحَّتي فَـــداوِ بهـــا ... مـــادَبَّ في مُقْلَتَيْـــكَ مِنْ سَقَمِ
٥ وحَمِّـــلِ الرِّدْفَ ـ فَهُـــوَ مَتْعَبَـــةٌ ـ ... جِسْمي ، كَفى الْخَصْرَ مَحْمَـــلُ الْهَضَمِ
٦ يـــا رَشـــأً في الفُـــؤادِ مَكْنِسُـــهُ ... لم يَنْتَقِـــلْ عَنـــــهُ ، لا ، ولم يَرُمِ
٧ أفْـديـــكَ ! أنَّى أبَحْتَ مِنْ كَبِـــدي ... مـــالَمْ تَـــزلْ مِنْ حِماهُ في حَرَمِ ؟!
٨ مَلَكْتَ رِقِّي فرِقَّ يـــــــــا أَمَلي ... ولا تُحِـــلْ مُهْجَتي عَلى العَـــــدَمِ !

[٣١]

الشروح :

(١) التَّلْعة : ماارتفع من الأرض ، وما انخفض (ضِدّ) .
(٢) الْخَذِم : السَّيف القاطع .
(٣) الظُّبا : جمع الظُّبَةِ ، وهي حدّ السّيف والسّنان والخنجر ونحوها .
(٥) الْهَضَمُ : لُطْفُ الكَشْح وخَمص البطن وضُمورُه .
(٦) الْمَكْنِس : مَوْلِجٌ في الشّجر يأوي إليه الظّبيُ ليستتر .

[٣٢]

وقال أيضاً : **[من السّريع]**

١ بغُنْـــجِ تلـــــكَ الأعيُنِ النُّجْـــلِ ... ومـــــا حَـــوَتْ مِنْ فِتَنٍ قُـــلْ لِي
٢ أشَعْرُكَ الحَـــالِـــــكُ أمْ مُهجتي ؟ ... وقَـــدُّك المـــائـــلُ أمْ عَقْلِي ؟
٣ أذْهَلَني الحبُّ فَـــــــلا ذِهْنَ لي ... يَمتـــازُ شَكْـلٌ فيـــهِ عَلى شَكْـلِ

٤ يـــا رَشـــأ يَعْطِفُني عِطْفُـــهُ هَـلْ عَطفـةٌ لي منـهُ بـالـوَصْـلِ
٥ أسرفْتَ في الهِجْرانِ يــا مــاطِـلاً يَكْفيـــكَ بـــاللهِ مِنَ الْمَطْـــلِ
٦ إنْ كانَ يُرضيـــكَ هَـلاكي فَـــلا تصْنَـــعْ ســـواهُ ـ اللهَ ـ من شَغْـــلِ
٧ اسفِـــكْ دمـــائي وانتهبْ مُهْجَتي وأنتَ مِنْ أجْرِيَ في حِـــــــــلٍّ !
٨ تـــاللهِ مـــــاغَيْرُكُمْ بُغْيَتي ولا سِـــوى سُـــؤلِكُمْ سُـــؤلي !

[٣٢]

الشروح :

(١) (بغُنْج) أي : أستحلِفُكَ بغُنجِ أعيُنِك النُّجل . والأعيُن النُّجل : الواسعة .

(٤) العِطف : جانب الإنسان مِنْ لَدُن رأسِه إلى وَرِكِه .

(٧) في (ط) : وأنت مِن ذَنْبِيَ ...

ـ والروايتان متقاربتان ، فالمقصد فأنت من أجري في عذابك لي في حل .

[٣٣]

وقال أيضاً : [من مجزوء الكامل]

١ قَـــدْ أُرْخِيَتْ حُجُبُ الظَّـــلامْ فَلْتُفْتَرعْ بِكْرُ الْمُـــــــــــدامْ
٢ قُمْ يـــا غُلَيِّمُ هـــاتِهـــا رُوْحِي فـــداؤُكَ مِنْ غُـــلامْ !
٣ صَهْبــــاءَ سِرَّ شُــوَيْـــدِنٍ مُتَماجِنٍ خَنِثِ الكَـــــــــلامْ
٤ هـــذِي الرِّيـــاضُ تَضـــاحَكَتْ لِبُكاءِ أجفـــــــــانِ الغَمامْ
٥ والقُضْبُ قَـــدْ رَقَصتْ بِهـــا طَرَبـــاً عَلى شَـــدْوِ الحَمـــامْ
٦ فـــاقْطِفْ لُبـــابَ عَيْشِـــكَ واطَّرِحْ لـــومَ اللِّئـــامْ
٧ ولْتَخْتَلِسْ غَفَـــــــــلاتِ دَهْرٍ لا يَحِنُّ عَلى الكِرامْ !

[٣٣]

الشروح :

(١) افْتَرَعَ البِكْرَ : افتضَّها .

(٣) الصَّهباء : الْخَمْر .

[٣٤]

وقال أيضاً : **[من السريع]**

١ مـــازَهْرَةُ الـــدُّنيـــا سِـوى زَهرةٍ ... أطْلَعَهـــــــــا الْحُسْنُ على غُصْنِ
٢ زَهْرٌ لمن شَمَّ وغُصْنٌ لِمنْ ... ضَمَّ، وتُفَّـــــــــاحٌ لِمَنْ يَجْنِي
٣ عـــاطِلـــةٌ قَـــدْ غَنِيَتْ عَنْ حُليً ... بِما بِمَرْآهــــــــــا مِنَ الْحُسنِ
٤ لـــو نَعَتَ النَّــــاعِتُ شَمْسَ الضُّحى ... مـــا خِلْتَـــهُ عن غَيْرِهـــا يَكْنِي
٥ قـــد نَظَمَ الْحُسْنُ بهـــا شَمْلَـــهُ ... كأنَّهـــا حَـــوْراءُ مِنْ عَـــدْنِ
٦ جـــاذَبْتُهـــا ضَمّـــاً إلى أضْلُعي ... أُطفِئُ عَنْهـــا لَـوْعَـــةَ الْحُـــزْنِ
٧ فـــابْتَـــدَرَتْ وَجْنَتُهـــا خَجْلَـــةً ... غطَّتْ مُحَيَّـــا حُسنِهـــا عَنِّي
٨ يـــا عَجبـــاً تَخْجَـلُ مِن ضَمِّهـــا ... ولا تُبـــــــالي كيفَ أصْمَتْنِي !

[٣٤]

شرح :

(١) زهرة الدنيا : غضارتها وحُسنها ومتاعها وزينتها .

(٨) أصْمَى الصَّيْدَ : أصابَهُ فوقَعَ بين يديه .

[٣٥]

وقال أيضاً : **[من الخفيف]**

١ كَمْ قَتيـــلٍ مِنْ (عُـــــذْرَةٍ) وطَعِينِ ... بينَ بِيضِ الطُّـــلا وسُمْرِ العُيـــونِ
٢ في حُروبٍ بهـــا الكُماةُ ظِبـــاءُ الخِـــدْرِ والشُّهـــداءُ أُسْـــدُ العَرينِ
٣ ليسَ حَرْبٌ أمَرَّ مِنْ صَـــــدِّ حِبٍّ ... لا ولا أسْمَرٌ كسُمْرِ الْجُفـــــــــونِ
٤ أينَ عَطْفُ الجِيـادِ من عَطْفِ جِيْـدٍ ... وانْعِطـــافُ الرِّمـــاحِ من عِطْفِ لِيْنِ
٥ وسُيُـــوفٍ ضِرابُهـــــا بجُفـــونٍ ... مِنْ سُيـوفٍ إغْمـادُهـــا بـــالْجُفـونِ
٦ أينَ سهْمٌ من نَظْرةٍ عن فُتُـــــورٍ ... أينَ قَـــوْسٌ منْ حــــاجِبٍ مَقْرُونِ
٧ قـــاتَـــلَ اللهُ كُـــلَّ ظَبْيٍ خَلِيٍّ ... يَتَصـــدَّى لِقَتْـــلِ صَبٍّ حَـــزِينِ !

[٣٥]

الشروح :

(١) الطُّلا : جمع الطُّلاة ، وهي صفحة العُنُق .

(٢) الكُماة : جمع الكميّ ، الشّجاع الجرئِء . وظِباء الخِدْر : النِّساء .

(٣) الأَسْمَرُ : الرّمح .

(٤) العِطْف : جانب الإنسان مِن لَدُن رأسِه إلى وَرِكه .

[٣٦]

وقال أيضاً : [من الرّمل]

١ أَسَراةَ الْحَيِّ بي مِنْكُم رُشَيّ ... مُنْصَفُ الأَرْدافِ مَبْخُوسُ الْحُشَيّ
٢ لَيِّنُ الْمَعْطِفِ قاسٍ قَلْبُهُ ... فاتِكٌ بِاللَّحظِ آسٍ بِاللُّمَيْ
٣ حالَ رَغْماً بَيْنَ قَلبي والْحَشا ... يَوْمَ لاقتْ وَجْنَتاهُ مُقْلَتَيْ
٤ آه مِن عَينيَّ ماذا جنَتَا ... لَيْسَ شيءٌ مِنهما أعْدَى عَلَيْ
٥ أَسَراةَ الْحَيِّ كُفُّوا ظَبْيَكُمْ ... واتَّقُوا الرَّحْمنَ في قَتْلِ شُجَيْ
٦ يَجِدُ الذُّلَّ لَذيذاً فِيكُمُ ... ويَرَى تَعْذِيبَهُ أعْذبَ شَيْ
٧ قَدْ تَمَلَّكتُمْ فُؤادي فاسْمَحُوا ... واقْبَلُوني ، أوْ فردُّوه إلَيْ !

[٣٦]

الشروح :

(١) السَّراةُ : جمع السَّريّ ، وهو السيِّد الْمُخْتار . والرُّشَيّ : تصغير الرَّشَأ ، وهو ولد الظبية .

(٢) اللُّمَيّ : تصغير اللَّمى ، وهو سُمْرَةٌ محبَّبَةٌ في الشِّفاه ، والآسي : الْمُداوي .

[٣٧]

وقال أيضاً : [من الخفيف]

١ ليتَ شِعري مالي وما لِلَّيالي ؟! ... قَدْ حَمَتْني حَتَّى طُروقَ الْخَيالِ

٢ فَرَّق الْهَجْرُ بَيْنَ قَلبي وبَيْنِي مَنْ شَفِيعي إلى زَمـانِ الـوصـال ؟
٣ كُـلَّ يَـومٍ تَقـاطُـعٌ وتَنـاءٍ كُـلَّ يَـوْمٍ تَهـاجُرٌ وتَقـالِ !
٤ لاأذوقُ الْمَنـامَ إلاّ غِراراً لاأنـالُ الـوِصـالَ إلاّ أمـالي !
٥ أخَـذ اللهُ نـاظِريَّ بِقَلْبي وقَضَى للمكَرى عَلى أوْجـالي !

[٣٧]

الشروح :

(٣) قَلاهُ : هَجَرَهُ ، وأبْغَضَه .

(٤) الغِرار : القليل من النّوم .

(٥) الأوجال : جمع الوَجَل ، وهو الْخَوْف .

[٣٨]

وقال أيضاً : **[من الخفيف]**

١ أقبـلَ العِيـدُ فـابْتَـدَرْتُ مُهـلاً نَحْـوَ أُمَّ العَـزيـزِ أبغي احتِسـابـا
٢ أُخت ظَبيِ الفَـلاةِ لَمْ تَنْظُمِ الْحَلْـ ـيَ ولم تَرْقُمِ البَنـانَ خِضـابـا
٣ عـانَقَتْني وقَبَّلَتْني وَقـالتْ: قَـدَّسَ اللهُ مِنْ خُطـاكَ تُرابـا
٤ فـاعْتَنَقْتُ القَضيبَ مِنهـا قَـوامـاً وارتَشَفْتُ الرَّحيـقَ مِنْهـا رُضـابـا
٥ لَيْتَني لَمْ أمُـدَّ خَطـواً إلَيْهـا فَتَنْتَني فصـارَ أجْري عَـذابـا !

[٣٨]

الشروح :

(٢) رَقَمَ الشيءَ : نَقَشَهُ .

(٤) الرَّحيق : الخمر الخالص الصافي .

[٣٩]

وقال أيضاً : [من الرَّمَل]

١ جَـذَبَتْ حـاجِبَهـا حتّى انْـدَمَـجْ ورَمَتْني بِسِهـــامٍ مِن دَعَـــجْ
٢ غـــادَةٌ في وَجْهِهـــا لي جَنَّـــةٌ أجَّجتْ مـــا بينَ أضْـلاعي وَهَـــجْ
٣ أفْرِغَ الـــدُّرُّ عَليهـــا بَشراً غيرَ شَعْرٍ وَلِحـــاظٍ من سَبَـــجْ
٤ تُظهرُ التِّيـــهَ وتُخفي مِقَـــةً مَـزَجتْ حُسْنـــاً بِسُـوءٍ فـــامتزجْ
٥ مـــادَعـوهـــا (مُهْجَـــةً) إلاَّ لِما قَـــدْ أراقَتْ مُقلتـــاهـــا مِنْ مُهَـجْ !

[٣٩]

الشروح :

(١) الدَّعَجُ : شدّة سواد العين مع سعتها .

(٣) السَّبَجُ : الْخَرَزُ الأسوَد .

(٤) المِقَةُ : الْمَحَبّة .

(٥) الْمُهجة : الدَّم ، أو : دَمُ القلب ؛ جمعُه : مُهَج . و « مُهجَة » في أوّل البيت اسمُ امرأة .

[٤٠]

وقال أيضاً : [من السّريع]

١ يـــا قَمراً مَغرِبُـــهُ مُهْجَتي وأُفْقُـــهُ لَحْظي إذا يَنْجَلي
٢ قُـلْ لي بِحـقِّ الـوُدِّ يـــا بُغْيَتي مَنْ دَلَّ عَيْنَيْـــكَ عَلى مَقْتَلي
٣ مَلَكْتَ مِنْ رِقِّيَ فَلْتَعْـــدِ لي رِفْقـــاً ومِنْ أمْرِيَ فَلْتَعـــدِلِ
٤ تَفْـدِيْـكَ نَفسِي في الْهَوى مـاجِنـاً يُـــذيقُني تِيهـــاً جَنَى الْحَنْظَـلِ
٥ إنْ حُلْتُ عَنْ عَهْـــديْ لَكُمْ جَفـوةً لا حَلَّني اللهُ ولا حَنَّ لي

[٤٠]

شرح :

(٢) البُغْيَة : الحاجة .

[٤١]

وقال أيضاً : [من مجزوء الرّمل]

١ سَقِّنيهـــا بـــالكَبيرِ في هَـــوى رِيْمٍ صَغيرِ
٢ راحـــةً في الرَّاحِ يَحكي لـــونُهـــا خَـــدَّ الْمُـــديرِ
٣ لَطُفَتْ جِسْماً وكأْســاً لُطْفَ مَعْنًى في ضَميرِ
٤ وابْتَـــدِرْ صِرْفَ الْحُمَيّـــا سَـــابِقـــاً صَرْفَ الـــدُّهُـــورِ
٥ واغتنِمْ نَـــوْمَ زَمـــانٍ ظَـــلَّ نَهَّـــابَ السُّرورِ

[٤١]

شرح :

(٤) الْحُمَيّا : حدَّةُ الْخَمْرِ . والصِّرْف : الخالِص الذي لم يُشَبْ بغيره . وصَرْفُ الـدَّهر : حَـدثـانُـه ونَوائبُه .

[٤٢]

وقال أيضاً : [من البسيط]

١ خُـــذُوا بَقيَّـــةَ نَفْسي وامْحَقُـــوا الأثرا حَسْبي رِضـاكُم ودَعْ مَنْ لامَ أوْ عَـذَرا
٢ يـــا نـــازِحينَ وآمـــالِيْ تُقَرِّبُهُمْ فَما اخْتَفَى حُسْنُهم عَني ولا اسْتَترا
٣ مــالِيْ أراكُم تُـوالُـوني مُقـاطَعَــةً هَبْني أسأْتُ فَهـا قَـدْ جِئْتُ مُعْتَـذِرا
٤ أنــا الْمُحِبُّ الْمُعَنَّى فـارْحَمُوا وَلَهِي ورَدِّدوا في ضَنـــا جُثْماني النَّظَرا
٥ تَرَوا كَئيبـاً حُـلاهُ في الْهَـوى اشْتَهَرَتْ يـا وَيْـحَ مَنْ بِحُلاه في الْهَـوى اشْتَهَرا

[٤٣]

وقال أيضاً : [من البسيط]

١ يــا نــازِحِيْنَ وَهُمْ بـالقَلبِ سُكّـــانُ وراحِلينَ ومـــا ســـارُوا ولا بَـــانُـــوا

٢ ذَواتُكمْ بينَ أحْنــاءِ الضُّلُوعِ ثَـوَتْ فَكيفَ لِيْ مِنكُمُ صَـدٌّ وهِجرانُ
٣ عَجِبْتُ! تَشتـاقُكُمْ نَفْسٌ ونـاظِرُهـا وأنْتُمُ فِيها رُوْحٌ وإنْسـانُ
٤ أنْتُمْ أنـا، وأنـا أنْتُمْ مُطـابَقـةً لـو افْتَرَقْنـا لَغـالَ الْحُبّ نِسيـانُ
٥ لاتَطْلُبـوني على عِشْقِي بِبَيِّنَـةٍ فمـا يُقـامُ عَلى الْمَحْسوسِ بُرهـانُ!

[٤٣]

شرح :

(٥) قال المعرّيّ :

قـل للّـذي عُرِفَتْ حقيقتُـه بِـهِ إذ لا يُقـامُ على الـدّليـلِ دَليـلُ

وشرحه ابن السّيد البَطَلْيَوْسيّ في جملة شروحـه على سقـط الزّنـد فقـال : « وقول المعرّي : إذ لايُقام على الدّليل دليلُ ، يريـد أنّ البرهـان لايحتـاج في صحّتـه إلى برهـان ، ولو لزم أن يكون للبرهان برهان للَزِمَ أن يكون لبرهانه برهان ، ويستمرّ ذلك إلى مالانهاية لـه ، وهـذا يوجِبُ ألاّ يكـون شيء معلومـاً ؛ غير أنّ في هـذا المـوضع شيئـاً يجب أن يبيّن ، وذلـك أنّ المقدّمـات التي يُتَوَصَّل بها إلى معرفـة الأشيـاء المجهولـة أُوَلٌ وثَوانٍ ، فـالمقـدّمـات الأولى هي المعقولات والمحسوسات ... إلخ » ، شروح سقـط الزّنـد : ٨٧٤ ـ ٨٧٥ ، وانظر تـاريخ النقـد الأدبي في الأندلس : ٢٠٢

ـ وتتوجه القطعة على جهة الإشارة والرّمز .

[٤٤]

وقال أيضاً : **[من الطويل]**

١ ألا هَـلْ دَرى مَنْ بـاتَ غيرَ مُـؤَرقِ بـأنَّ جُفـوني مُـذْ نَـأى ليسَ تَلْتقي
٢ وأنَّ غَرامي مُنْـذُ سـارَ مُـلازِمي وأنَّ اصْطِبـاري منـذُ بـانَ مُطَلِّقي
٣ ومـا سـاقَ أشْـواقي وهـاجَ بَـلابِلي سِوى سائِقِ الأظْعـانِ يَـوْمَ التَّفَرُّقِ
٤ تَعَشَّقتُ في قَـومٍ غِرابٍ فَـودَّعـوا فيـا لَيْتَني مَيْتٌ ولَمْ أتعشَّـقِ
٥ ويـا ليتَ عَيْني إذْ رأتهمْ تَعلَّقَتْ سِواهُمْ ولَـوْ بـالبـارِقِ الْمُتـألِّـقِ!

[٤٥]

وقال أيضاً : [من الخفيف]

١ مـــا عَلى مَنْ بكَى لِبُعْـــدٍ مَـلامُ حَكَمَتْ لـوعـــةٌ بِـــذا وهُيـــامُ
٢ كَيْفَ يُلحَى عَلى البُكاءِ مُعَنّىً نَهـكَ الـوَجْـدُ جِسْمَـهُ والسَّقـامُ
٣ آهِ مِن فجْعـــةِ النَّـــوى لَيْتَني لَمْ أدْرِ مـا الْحُبُّ والهَـوى والـذِّمـامُ
٤ يــا عَـــذُولي عَلى الغَرام ومَنْ لي بفـــؤادٍ حتَّى يَكــونَ الغَرامُ
٥ ذَهبَ الـوَجْـدُ والفـؤادُ جَميعـــاً فَعَلى الـوَجْـــدِ والفـؤادِ السَّـلامُ !

الشرح :

(٢) لَحَا فلاناً : لامَهُ وعذله .

[٤٦]

وقال أيضاً : [من الخفيف]

١ كُـــلَّ شَيءٍ ولا قَطيْعَـــةَ بَيْنِ يــا شَقيـقَ النُّفُـوسِ من غَيرِ مَيْنِ
٢ ليسَ تَخْفَى إلا وستْرُكَ رُوحي أو تجلَّى إلاّ وأُفقُـــــكَ عَيني
٣ يـا ضيـاءَ القُلوبِ إنْ يَـدْجُ خَطْبٌ بينَ زرَّيْـــكَ مطلِـعُ القَمَرَيْنِ
٤ لا تُرَوِّعْ بِمحنَــــةِ الهَجْرِ قَلبي فهـوَ مِنْ مُقْلَتَيْـــكَ في مِحْنَتَيْنِ
٥ نــاظِري قـــادَ خـاطِري لِفُتُـوني سَيَطُـولُ العَــذابُ بَيْني وبَيْنِي !

الشروح :

(١) كلَّ شيءٍ : أي افْعَلْ كلّ شيءٍ . والْمَيْنُ : الكَذِب . وفي أقوال العرب : كلُّ شيءٍ ولا شتيمة حرّ .

(٣) دَجَا : أظْلَمَ . والْخَطْبُ : الأمرُ الشّديد .

[٤٧]

وقال أيضاً : [من المنسرح]

١ بـــاكِرْ إلى رَشْفِ الثَّغرِ والكاسِ واشْرَبْ عَلى رَوْضِ الـــزَّهرِ والآسِ

٢ ولتَسْقِنيهــا حَمْراءَ صــافِيَــةً جَلَّت صَفــاءً عَنْ دَرْكِ إحســاسِ
٣ بَيْنَــا تُرى في كَفِّ الْمُــديرِ لهــا إذْ تَتجَلَّى فِي وَجْنَــةِ الحــاسِي
٤ مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ كأنَّــــهُ قَمَرٌ يــدورُ مِنْ كأسِهــا بمِقْبــاسِ
٥ ولْتَجْلُهــا جُــذوةً عَلى عَلَمٍ لا خيرَ فيما اخْتَفى عنِ النّــاسِ

شرح :

(٤) المِقْباسُ : شعلة نار تقتبس مِن معظم النَّار ، كالقَبَس .

[٤٨]

وقال أيضاً : **[من الكامل]**

١ يــا عُرْبَ كاظِمَــةٍ أفيكُم أظْلَمُ ؟ والعَبــدُ عَبْــدُكُمُ ، وأنْتُمْ أنْتُمُ ؟
٢ مُشتــاقُكُمْ عَبَثَتْ بــهِ أيْــدِي الهَــوَى دَمْــعٌ يَصُــوبُ ولَــوعــةٌ تتضَرَّمُ
٣ كَمْ ذا الصُّــدُودُ ، اللهَ في صَبٍّ شَــجٍ شُفِيَ العُــداةُ بــهِ وخــابَ اللُّــوَّمُ
٤ أدُّوا زَكاةَ جَمالِكُمْ ، مِسْكِينَكُمْ مُلِّكتُمُ ، فَهَبُــوا ، رُحِمْتُمْ فــارْحَمــوا
٥ مــا كانَ قَــطُّ البُخْــلُ شِيَمــةَ مــاجِــدٍ حــاشــاكُمُ ، يــا ســادتي ، حــاشــاكُمُ !

الشروح :

(٢) صابَ المطر : انهمر ونزل .

(٣) الصَّبُّ : الْمُحِبُّ . والشَّجِيّ : المشغول الحزين . وفي (ط) : « وطَابَ اللُّوَّم » ؛ وطابَ نَفْساً : ارتاحَتْ نَفْسُه .

[٤٩]

وقال أيضاً : **[من الكامل]**

١ شَهِــدَتْ لِحُسْنِــكَ آيَــةٌ لا تُنْكَرُ خُطَّتْ بِهــا في صَفْــحِ خَــدِّكَ أسْطُرُ
٢ أسْرارُ حُسنٍ في صَحيفَــةِ وَجْنَــةٍ تُــوشَى بِــأقْــلامِ الصِّبــا وتُحَبَّرُ
٣ فَنَعِيمُ كُــلِّ مُتَيَّمٍ وشَقــاؤهُ حَسبُ الَّذي قَدْ خُــطَّ فِيهــا تُقْــدَرُ

٤ يـا مَنْ أغـارُ عَلَيْـهِ مِنْـهُ وإنَّني	مِنِّي عَلَيْـهِ ـعَلى نَـواهُ ـ لأَغْيَرُ
٥ لا تَصْدَعَنْ كَبِـدي بِجَبْرِ حَـواسِـدي	فَلَطـالَما بـاتَتْ عَلَيْـكَ تَفَطَّرُ!

شرح :

(٢) تُوشَى : تُزَيَّن .

[٥٠]

وقال أيضاً :	[من الخفيف]

١ ظَنَّ أني أفَقْتُ مِنْ أشْـواقي	إذْ رَآني لَمْ أشْكُـهُ مـا أُلاقِي
٢ فَتَصـدّى لِخُبْرِ مُضْمَرِ صَـدْري	فـإذا بي في زَفْرَةٍ وسِيـاقِ
٣ بِمَ يَشْكُـو أوْ كَيْفَ ـقُـلْ لِيَ ـ يَشْكُـو	تـالِفٌ؛ نَفْسُـهُ رَقَتْ لِلتَّراقي
٤ آهِ مِنْ ذا النَّـوى وذا الهَجْرِ آهـاً	جَبَرَ اللهُ صَـدْعَتي بـالتَّـلاقي
٥ كُنْ كما شِئْتَ يـا حُبَيِّبَ قَلْبي	إنَّني، والهَـوى، عَلى العَهْـدِ بـاقِ

شرح :

(٢) ساقَ المريض سياقاً : شَرَعَ في نزع الرّوح .

[٥١]

وقال أيضاً :	[من الخفيف]

١ سـائلي عَنْ تَـوَحُّشي وهـو أُنْسي	كيفَ حـالُ مُتَيَّمٍ بَعْـدَ خَمسِ؟
٢ مـا رَأتْ فيهـا عَيْنُـهُ لَمْحَ نُـورٍ	غَيْرَ ضَـوءِ مِصْبـاحٍ أوْ نُـورِ شَمْسِ
٣ يَسْهَرُ اللَّيـلَ مِنْ مَـداهُ بِـوَجْـدٍ	مُسْتَطيـلٍ، ومِنْ دُجـاهُ بِرَمْسِ
٤ واضِعـاً فَـوْقَ قَلْبِـهِ راحَتَيْـهِ	يَغْتَـدي في غَرامِـهِ كَيْفَ يُمسِي
٥ قَـدْ تَغَنَّى فيـهِ العَـواذِلُ حتَّى	مـا يُحَسُّ كَـلامُهُم غَيْرَ هَمْسِ

[٥٢]

وقال أيضاً : [من الكامل]

١ الـدَّهْرُ يَحْكُمُ بَيْنَنـا يـاظـالِمَـهْ ... هـا حَـالَتِيْ هَـاتِيْ وأَنْتِ العـالِمَـهْ
٢ أَلْحـاظُـكِ الـدُّعْجُ الـوَقـاحُ ظَلَمْنَنِيْ ... هَيْهات، لا ، لا بَلْ لِحـاظِي الظـالِمَـهْ
٣ طَرْفِي علىٰ قَلبِي جَنَى لَـوْ أَنَّني ... حـارَبْتُ عَيْنِيْ مـاغَـدَوْتُ مُسَـالِمَـهْ
٤ أَنْتِ الأميرُ وأَنْتِ خَصمي فـاحْكُمي ... لِي أو عَلَيَّ فَلَنْ أُسـائِـلَ : ذا لِمَـهْ ؟
٥ مـالِيْ لِمَنْ أَشكُـو سِـواكِ ظُـلامَتِي ... فَلْتَرْحَمي صَبّـاً شَكاكِ مَظـالِمَـهْ

الشروح :

(٢) الدُّعْج : جمع الدّعجاء ، وهي العين شديدةُ السَّواد مع اتّساعها .

(٣) تبـدّى لي في فهم البيت وَجهـان ، الأوّل : مـا يُسْتَفَـاد من الطبـاق بين (حـاربت) و (مسالمة) ، وأنّه استسلم للمحبة والمحبوب بعد أن خذلته عيونُه .
والثاني : مُسْتَفاد من كلمة (مسالمة) في المفهوم الأندلسيّ ، والمسالمة هم أهل البلاد الإسبـانيـة الذين دخلوا في الإسلام وتركوا ديـانتهم السـابقـة (راجع دوزي : سلم) ، ويكون في النصّ تورية .

(٤) معنى هذا البيت من قول المتنبّي :

يـا أعـدلَ النّـاسِ إلاّ في مُعَـاملتي ... فيكَ الخِصَامُ وأنتَ الْخَصْمُ والْحَكَمُ

[٥٣]

وقال أيضاً : [من الخفيف]

١ مـا تَضُمُّ الْجُيـوبُ والأَطْـواقُ ... لا الَّـذي قَـدْ سَمَتْ بـهِ آفـاقُ
٢ ذَاكَ يُغْشِي العُيـونَ مِنْـهُ وهـذا ... بِحنَـايـا الْحَشـا لَـهُ إشْراقُ
٣ لَيسَ شَيءٌ أبْهى وأَبْهَرَ مَرْأى ... مِنْ بُـدورٍ تُـديرهـا أعْنـاقُ

[٥٤]

وقال أيضاً : **[من الخفيف]**

١ مَنْ عَـذِيْري مِنْ هـازِيء بِيَ هـازِلْ ... قـاطِـعٍ لِي ، وللصُّـدودِ مُـواصِـلْ
٢ سـائِلٍ كَيْفَ حـالَتِي وهـو يَـدْري ... أنَّ دَمعِي مِن الصَّبـابـةِ سـائِـلْ
٣ ليسَ شيءٌ أنْكى لِفَرْحَـةِ قَلْبي ... مِنْـهُ ، يُصْمِي الفـؤادَ ثُمَّ يسـائِـلْ !

شرح :

(٣) أصمى الصَّيْدَ : أصابَهُ في مَقْتَلٍ أو أصاب مقتله في مكانه .

[٥٥]

وقال أيضاً : **[من المنسرح]**

١ أيـا مُشـارِكَ الرُّوحِ في جَسَـدي ... بـل يـا مُخَلِّصِيْ مِنْ يَـدَيْ جَلَـدِي
٢ مـا تَتَّقي اللهَ في ذَمـا دَنِفٍ ... لم يَبْـقَ منـهُ شيءٌ سـوى الكَمَـدِ
٣ مَهما يَرُمْ عَنْـكَ الصَّبرَ مـالَ بِـهِ ... ألحـاظُـكَ (النَّفّـاثـاتُ فِي العُقَـدِ)

شرح :

(٢) الذَّماء : بقيّة الرّوح في المذبوح وغيره . والدَّنِف : الْمُشْرِف على الموت .

[٥٦]

وقال أيضاً :

١ وغَـانِيـةٍ تُغَنِّينـا فَتُغْنِي ... بِمَنْطِقِهـا الأغَنِّ عَنِ الأغـانِي
٢ تَثَنَّتْ فـانثَنَتْ مَثْنى شُجـونٍ ... تُهيِّجُهـا الْمَثـالثُ والْمَثـاني
٣ وَشَى قَلَمُ الْجَمَـالِ بِـوَجْنَتَيْهـا ... «لقَـدْ ضَلَّتْ مَسـاعِي مَنْ يَراني !»

الشروح :

(٢) المثالث والمثاني : مِن أوتار العُود ؛ يريد : تهيّجها الألحان والموسيقى .

(٣) وَشَى : زَخْرَفَ وزيَّن .

[٥٧]

وقال أيضاً : **[من الكامل]**

١ أوْفى كَما زارَ الْخَيــــالُ الطَّــــارِقُ وبَـدا كَما الْتَـاحَ البَريـقُ الخَـافِـقُ
٢ مـــا كانَ بَيْنَ إيــابِــهِ وذَهــابِـــهِ إلاَّ كما رجَــعَ النَّـــواظِرَ رامِـــقُ
٣ مُتَرَدِّدٌ ظَفرَتْ بـــهِ أيْـــدي النَّـوى كالبَــدْرِ إمَّـــا غـــارِبٌ أو شـــارِقُ

الشروح :

(١) أوفى : أشرف . والْتَاحَ : يريدُ (ألاحَ) ، ظَهَرَ وبَدَا .

[٥٨]

وقال أيضاً مُسَمَّطاً قِطْعةً لأحدِ المشارقة ، وهي ممّا يُتغنّى به(*) :

[من البسيط]

١ أيّـامَنـا بـالحِمى مـا كانَ أحْـلاكِ كم بتُّ أرعـــاهُ إجْـلالاً وأرْعـــاكِ
لا تُنْكِري وَقْفَتِي ذُلاً بمَغْنـــــاكِ يـــا دارُ لـولا أحِبّـــائي ولـولاكِ
لَمَا وَقَفْتُ وُقوفَ الهائِمِ الباكِي
٢ أحبــابَ أنْفُسِنـــا كَمْ ذا النَّـوى وكَمِ ويــا مَعــاهِـدَ نَجْـوانـا بِـذِي سَلَمِ
تــاللهِ مــا شُبْتُ دَمْعي لــلأسى بِـدَمِ ولا لَثَمْتُ تُرابَ الأرْضِ مِنْ كَرَمِ
إلا مُراعاةَ خِلٍّ باتَ يَرْعاكِ
٣ هَـــلْ مِنْهُمُ لِيَ عَطْفٌ بَعْـــدَ دَلِّهِمُ آهـــاً لِقَلْبِي عَلى تَبْـــدِيْـــدِ شَمْلِهِمُ
تــاللهِ مــا تسمـحُ الــدُّنيـا بِمِثْلِهِمُ مــا كانَ أحْـلاكِ يـا أيّــامَ وَصْلِهِمُ
ويا لَيالي الرِّضا ما كانَ أضْواكِ !
٤ يــا بــدرَ تِمٍّ تَجــافَتْ عَنْــهُ أرْبُعُنــا وَلَمْ يَـزَلْ تَحْتَـوِيـهِ ـ الـدَّهْرَ ـ أضْلُعُنـا
مـا لِلنَّـوى بِضُروبِ الـوَجْـدِ تُـوجِعُنـا إذا ذَكَرْتُ زَمـانــاً كانَ يَجْمَعُنـــا
تَفَطَّرتْ كَبِدي شَوْقاً لِمَرآكِ

لعـلَّ رَوْحَ الرِّضـا يَـدْنُـو بِهِمْ وعَسى   فَيُثْبِتُ القُرْبُ مـا بـالبُعْـدِ قـدْ دَرَسـا
كَمْ ذا أُنـادِي وأشْـدُوا الأرْبُعَ الـدُّرُسـا   يـا قَلْبِيَ الصَّبَّ أيْنَ الصَّبْرُ؟ عـادَ أسى
ويا منازلَ سَلْمى أيْنَ سَلْماكِ؟

الشروح :

(☆) النصّ في نفح الطيب : ٢٤/١ ـ ٢٥ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) في النفح :

فهـل لهم عطفـةٌ من بعـد دَلِّهمِ   تـالله مـا تسمـح الـدنيـا بمثلهم
آهـاً لقلبي على تبـديـد شملهم   مـا كان أحـلاك ... إلـخ

(٥) في النفح :

عـلَّ التعلّـل يُـدني منهمُ وعسى   فيعمر القرب ما بـالبين قـد درسـا
كم ذا أنـادي بربعٍ بـالنّـوى طُمِسَا   يا قلب صبراً فـإنّ الصّبر عـاد أسى

القسم الثالث

في الملح والفكاهات

[٥٩]

قال في محاسن الشتاء ، وما له منَ الفضلِ على كلِّ فصل : **[من الكامل]**

١ جـاءَ الشِّتَـاءُ بِغَيْمِـهِ مُتَحَجِّبـاً ... أهـلاً بِسُلْطـانِ الفُصُـولِ ومَرْحَبـا
٢ أعْظِمْ بِـهِ مَلِكاً عَلَيْـهِ مَهـابَـةٌ ... عَمَّتْ كتـائِبُـهُ الأبـاطِـحَ والرُّبـا
٣ فَصْـلٌ تَـوزَّعَ كُـلُّ فَصْـلٍ فَضْلَـهُ ... فَنَما وآنَـقَ حُسْنُـهُ أو أخْصَبـا
٤ فـإذا الرَّبيـعُ تَبَرَّجتْ أنـوارُهُ ... وتـأرَّجَتْ أسحـارُهُ وتَطَيَّبـا
٥ وجَـلا حُلى الـزَّهرِ النَّضيرِ مُـدَبَّجـاً ... ومُـدَمْلَجـاً ومُفَضَّضـاً ومُـذَهَّبـا
٦ فَترى انفِتـاحَ الـوَرْدِ خَـدّاً أحمراً ... وتَرَى ابتِسـامَ الـزَّهرِ ثَغْراً أشْنَبـا
٧ وهَفَتْ قُـدودُ القُضْبِ هَفـوةَ مُنْتَشٍ ... لَمّـا سَقـاهـا الطَّـلُّ ريّـاً مُخْسِبـا
٨ وعَلَتْ عَلى شُمِّ الغُصـونِ طُيـورُهـا ... تَشـدوكَ سَجْعـاً مُشْجيـاً أو مُطْرِبـا
٩ وتَسَرْبَـلَ النَّهرُ المُطيفُ بِـدِرْعِـهِ ... لَمّـا انْبَرَتْ لِقراعِـهِ خَيْـلُ الصَّبـا
١٠ والـوُرْقُ تَشْـدو والغَـديرُ مُصَفِّـقٌ ... والقُضْبُ تَرْقُصُ والـزَّمـانُ استَعْتَبـا
١١ وأتى المَصيفُ بـإثْرِهِ مُتَقَيِّـلاً ... آثـارَهُ في الفَصْـلِ نَـدْبـاً مُخْصِبـا
١٢ فَكَسا الوجـودَ ثِيـابَ دِفءٍ واغْتَدى ... يُسْـدي الهِبـاتِ مُشَرِّقـاً ومُغَرِّبـا
١٣ يُهْـدي مِنَ الثَّمراتِ كُـلَّ طَريفَـةٍ ... ويُنيـلُ مِنهـا كُـلَّ شيءٍ يُجْتَبى
١٤ وأتى الْخَريفُ بـإثْرِ ذاكَ مُعـاوِداً ... حُسْنَ الرَّبيـعِ وطِيبَـهُ الْمُسْتعـذَبـا
١٥ فَـوَشى ثِيـابَ الرَّوضِ مِنْ أوراقِـهِ ... وَشْيـاً تَنـوَّعَ صِبْغُـهُ وتَنَسَّبـا
١٦ وسَرَى النَّسيمُ مَـعَ الصَّبـاحِ مُبَشِّراً ... بِـدُنـوِّ إقْبـالِ الشِّتـاءِ مُرَحِّبـا
١٧ وتَقَهْقَهَتْ وُطْفُ الغَمامِ بِرَعْـدِهـا ... لَمَّـا تَبَيَّنَتِ البُروقَ تَطَرُّبـا
١٨ وتَتـابَعَتْ كُـلُّ الفُصـولِ بِنِسْبَـةٍ ... حَتَّى تَكَمَّـلَ حُسْنُهـا وتَرتَّبـا
١٩ فَمِنَ الشِّتـاءِ قِـوامُ ذاكَ وحُسْنُـهُ ... وبِما أنـالَ مِنَ الْحَيـا وبِما حَبـا
٢٠ كُـلٌّ بِقَـدْرِ مِثـالِـهِ مِنْ وَبْلِـهِ ... أسْـدَى ، وأبْـدَى بَهْجَـةً وتَهَـذَّبـا
٢١ والحَـقُّ يَشهَـدُ أنَّ عَقْـدَ نِظـامِهـا ... ومِـلاكِهـا كانَ الغَمامَ الصَّيِّبـا

[٥٩]

جوّ القصيدة :

تتحدث القصيدة عن فضل فصل الشتاء على سائر الفَصول . تبدأ بأبيات تُخبر بمجيء فصل الشتاء بغيومه الكثيفة ، وبيان فضله المتوزّع على سائر الفصول (١ ـ ٣) وينتقل الشاعر إلى الحديث عن فصل الربيع (٤ ـ ١٠) بعنفوانه وخضرته ومحاسنه ومياهه المتدفقة وانبعاث الحياة بعد رقدة الشتاء ؛ وفصل الصّيف (١١ ـ ١٣) وما فيه من الشمس والحرّ والثمرات اليانعة ؛ وفصل الخريف (١٤ ـ ١٨) وعودة الاعتدال في الدُّنيا ، وبشائر الْمَطر فيه ؛ ويعود إلى الشتاء ثانية (١٩ ـ ٢١) .

الشروح :

(٧) أحسبه : أرضاه ، أو أعطاه ما يُرضيه حتى قال : حَسْبِي !

(١١) تقيّل فلانٌ أباهُ : أشبهه . والنّدب : الخفيفُ في الحاجة .

(١٧) وُطْف جمع وَطْفاء . والسحابة الوطفاء : المسترخية لكثرة مائها ؛ أو الدّائمة السحّ ، الحثيثة ؛ طالَ مَطَرُها أو قَصُر .

(٢١) الصيّب : السَّحابُ ذو الصَّوب . وصاب المطر صوباً : نزل وانصبّ .

[٦٠]

وقال في وصفِ شعبانيّة سَنيَّةٍ في رَوض مَريع ، أتى عليه عنفوان الربيع :

١ لله أَرْبَعَـــــةٌ مِنَ الــــدَّهرِ حَسْبِي بِهـــا مِنْ جُملـــةِ العُمْرِ
٢ سَمَحَ الــزَّمــانُ بهـا عَلى بَخَـلٍ فيـــهِ ووَفَّـــاهـــا عَلى غَـــدْرِ
٣ لم يَنْتَبِـــهْ طَرْفُ الْخَطـوب لَهـا حَتَّى انقَضَت فَــدَرَتْ ولَمْ تَــدْرِ
٤ أَعْجِبْ بِهـا أيَّــامَ مــالَقَــةٍ بَيْنَ الْمُنى وصَحـــابَـــةٍ غُرِّ
٥ مــاشِئْتَ من حُسْنٍ ومن حَسَنٍ مــاشِئْتَ مِنْ شَمسٍ ومِنْ بَــدْرِ
٦ مــارُمْتَ من أمْنٍ ومِن أمَــلٍ مـــارُمْتَ مِنْ بُشَرٍ ومِنْ بِشْرِ
٧ عَفَّتْ ضَمائِرُنــا فَظـاهِرُنــا مُتشــابِــهُ الإعْــلانِ والسِّرِّ

٨ وصَفتْ خَـواطِرُنـا فَبـاطِنُنـا ... مُتَمازِجٌ كالرَّاحِ والقَطْرِ
٩ يَسْعَى عَلَيْنـا مُسْمِـعٌ غَرِدٌ ... يُغْنِيـكَ عَنْ نُقْـلٍ وعَنْ خَمْرِ
١٠ يَثْني الْمَعـاطِفَ حُسْنُ نَغْمَتِـهِ ... فِعْـلَ النَّسيمِ بِغُصنِـهِ النَّضْرِ
١١ يَتَلقَّفُ النَّغماتِ عَنْـهُ رَشـاً ... أرْبَتْ مَحـاسِنُـهُ على الْحَصْرِ
١٢ فَيَصُـوغُهـا رَقْصـاً عَلى قَـدَمٍ ... كادَتْ تُبينُ مَعـانِيَ الشِّعْرِ
١٣ قُـلْ للقَضيبِ يُقيمُ مَعْطِفَـهُ ... إنْ كانَ لا يَـدْري كما يَـدْري
١٤ في رَوْضَـةٍ جَرَّ الربيـعُ بهـا ... ذَيْـلَ الْمَحـاسِنِ أيَّما جَرِّ
١٥ مَطْروزَةِ الأدْواحِ بـالـزَّهْرِ ... مَحْفُـوفَـةِ الأكنـافِ بـالـزُّهْرِ
١٦ تُهْـدِيهِمُ من نَـوْرِهـا قِطَعـاً ... مـا صِغْنَ من وَرِقٍ ولا تِبْرِ
١٧ لكِنَّـهُ حُسْنٌ تَلـوَّن لي ... والحسنُ ألـوانٌ فخُـذْ عُـذري
١٨ عَبثَ النَّسيمُ بقُضبِهـا ثَمِـلاً ... فَتَعـانَقَتْ خَصْراً إلى خَصْرِ
١٩ والضَّمُّ يُعْـدي اللَّثْمَ فـابتَـدَرَتْ ... أزهـارُهـا ثَغْراً عَلى ثَغْرِ
٢٠ ولَرُبَّ لَثْمٍ كانَ أوَّلَـهُ ... ضَمٌّ، وضَمٍّ جـاءَ عَنْ سُكْرِ
٢١ مـا احْـوَلَّ عَيْنُ البـاقِـلا عَبَثـاً ... لكِنْ لِما بَصُرَتْ مِنَ الأمْرِ!
٢٢ كـلاَّ ولا صـاحَتْ بَـلابِلُهـا ... قَبْـلَ الأوانِ سِـوى مِنَ القَهْرِ
٢٣ أفْـدي لَيـالِينـا الَّتي سلَبَتْ ... في ظِلِّهـا بِعَـوارفِ الـدَّهْرِ
٢٤ أعقـابَ شَعْبـانٍ عَجِبْتُ لَهـا ... بِيْضـاً نَصَلْنَ أواخِرَ الشَّهْرِ
٢٥ ولَرُبَّ مَحْمُـودٍ عَـواقِبُـهُ ... لَمْ يَجْرِ أوَّلُـهُ عَلى ذِكْرِ
٢٦ لَـوْلا التَّحَرُّجَ قُلْتُ: رُتْبَتُهـا ... في القَـدْرِ رُتْبَـةُ لَيْلَـةِ القَـدْرِ
٢٧ مـا إنْ ذَمَمْتُ لهـا سِوى عَجَـلٍ ... بـالفَجْرِ قَبْـلَ صَبيحـةِ الفَجْرِ

[٦٠]

جوّ القصيدة :

يعرض الشّاعر صورة حيّة لأيّام (ولَيالٍ) رائقة ؛ أُقيمَ الاحتفال اللّطيف فيه لتَوديع شَهر شعبان واستقبال شهر رمَضان ؛ قضاها الشاعر في مالقة في بُستان بها .

تبدأ القصيدة بافتتاح من ثلاثة أبيات (١ ـ ٣) وتعريج على طيب أيام مالقة (٣ ـ ٦) ووقوف عند يوم بريء الاحتفال في صُحبة من خيار الناس (٧ ـ ٨) في جوّ طبيعي رائع الحسن : يغرّد فيه بلبلٌ ـ في جُملة أطيار غرّيدة ـ تُحاكيه شادية حسنة الصّوت والإنشاد ، جيّدة الرّقص (٩ ـ ١٣) . ويصف الشاعر البيئة التي ركنوا إليها واحتفلوا فيها (١٤ ـ ٢١) ويذكر تلك الليالي والأيّام ويُعلي من شأنها (٢٢ ـ ٢٧) .

الشروح :

(٢) في (ط) : بخلٍ منهُ ؛ وهي كذلك في متن الأصل ، وغيّرها الشاعر بخطّه في هامش الكتاب .

(٤) مالَقَة : من مدن الأندلس ، كانت لها أهمية في عهد مملكة غرناطة (عصر المؤلف) واحتلّت المرتبة الثانية بعد غرناطة . وتقع على البحر المتوسط (جنوبي شرقي إسبانية) قال ابن سعيد فيما نقله من وصفه مالقة : « وللمالقة مما فضّلت به ما حفّها من شجر اللوز وشجر التين إذ هو طوفان تحمله الرّكابُ والسُّفين » .

ينظر الروض المعطار للحميري ٥١٧ ـ ٥١٨ والمغرب لابن سعيد ٤٢٣/١ ـ ٤٢٥ ومشاهدات لسان الدين بن الخطيب (الدكتور أحمد مختار عبادي ٥٧ وما بعدها) ومعجم البلدان ٤٣/٥

(١٤) هذا البيت يذكر بمطلع موشحة أبي بكر الصيرفي (جيش التوشيح ١٢٣) :

جرّ الذّيل أيّما جرّ   وصل السكر منك بالسكر

(١٥) الزُّهرة بالضم : البياض . ورجل أزهر : أبيض مشرق الوجه . والمرأة زهراء .

(٢١) نَوْرُ الباقلاء من الأنوار التي دَرَج معظم وصّافي الأندلس على ذِكرها (ينظر مثلاً البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري : ١٥٣ ـ ١٥٧) .

(٢٢) كذا أوردها الشاعر (بتقديم سوى) .

(٢٤) نصل الشعر نُصولاً : زال عنه الخِضاب .

[٦١]

وقال ارتجالاً في يَوم بديعٍ من أيام الربيع : **[من مخلّع البسيط]**

غَيْمُ سَما ، أمْ دُخانُ نَدٍّ   قَطْرُ هَمَى ، أمْ مِياهُ وَرْدِ

٢ وهـــــــذِهِ رَوْضَـــــــةٌ تَجلَّتْ لِنــــاظِري أم جنـــانُ خُلْــــدِ
٣ وقُضْبُهـــا الْمُلْـــدُ أمْ قُـــدُودٌ وَشَّحَهـــا زَهْرُهـــا بِعِقْـــدِ
٤ وبُلبـــلُ الرَّوضِ مـــاتَغنَّى أمْ غَـــادَةٌ رُوِّعَتْ بصَـــدٍّ
٥ هـاجَ عَلى النَّفسِ مـا شَجـاهـا ورُبَّ هَـــزْلٍ أتَى بجِـــدٍّ
٦ مـــابِـــدَمي غَيْرُ خَـــدٍّ وَرْدٍ وإنْ دَهى النَّـــاسَ وَرْدُ خَـــدٍّ
٧ أسْكَرَ هـــذا الـــوُجـــودُ عَقْلي فـــاخْتَلَفَ الأمْرُ فيـــهِ عِنـــدي !

[٦١]

الشروح :

(١) النَّدُّ : نوع من الطِّيْب يُتَبَخَّر به .

(٣) الْمُلد جمع الأُملود : اللين الناعم من الناس ومن الغُصون .

(٥) في ط ، ومتن الأصل : « أذكرت النفس ماشجاها » وغيّرها الشاعر في نسخته بخطه من الهامش .

(٦) في ط : « مامدامي » . ولم تتضح الكلمة في متن الأصل . والأقرب إلى قراءتها ماأثبتنا ولم تُعجم الباء في الكلمة .

[٦٢]

وقال في البُلبُل : **[من الطويل]**

١ ووَرْدِيَّــةِ الجِلْبـابِ أعْجَبَهـا الـوَرْدُ فغَنَّتْ ومـا بـالغـانِيـاتِ لَهـا عَهْـدُ
٢ تُرِيكَ اضْطِرابَ الرَّاقِصاتِ إذا انْثَنَت وتُسمِـعُ لَحْنَ الْمُسْمِعـاتِ إذا تَشْـدو
٣ أتَتْ وبِطـاحُ الأرضِ تُجْلى عَرائِســاً وفي كُـلِّ غُصْنٍ مِنْ أزاهِرِهِ عِقْـدُ
٤ وقَـد أبـدتِ الدُّنيـا مَحـاسِنَ وجْهِهـا فَمِنْ زَهْرَةٍ ثَغْرٌ ومن وَردَةٍ خَـدُّ
٥ وسـاعَـدَهـا طِيْبُ الْهَـواءِ وفَضْلُـهُ وفَصْلُ الرَّبيـعِ الغَضُّ والْمَنزِلُ السَّعْدُ
٦ فَغَنَّتْ غِنـــاءَ الشَّربِ أنْشَتْهُمُ الطِّـلا وَحَنَّتْ حَنِينَ الصَّبِّ باحَ بـهِ الـوَجْـدُ
٧ أكُـلاًّ يُثِيرُ الـوَجْـدُ كامِنَ حُـزنِـهِ لَقَـدْ جـازَ في حُكْمِ الغَرامِ بِنـا الْحَـدُّ

[٦٢]

شرح :

(٦) الطلاء : الخمر . وفي الصحاح : الطلاء ماطُبخ من عصير العنب حتى دهب ثلثاه . وبعض العرب يسمّي الخمر : الطلاء . والشُّرْب جمع شارب ، مثل صحب وصاحب .

[٦٣]

وقال في الْمَعْنى : **[من المتقارب]**

١ وخَرْسَاءَ إلاّ زَمانَ الرَّبيعِ — فَفِي سَجْعِها طَرَبٌ للْخَليعِ
٢ أَتَتْ تَمْدَحُ النَّوْرَ فَوْقَ الغُصونِ — كَما يَشْكُرُ الْحُرُّ حُسْنَ الصَّنيعِ
٣ تُقِيمُ لَهُ عُرُساً في الرِّياضِ — عِنْدَ الغُروبِ وعِنْدَ الطُّلوعِ
٤ تُغَنِّي مَديداً ومَهْما يُقَلْ — لَها بَدِّلي وقَّعتْ في السَّريعِ
٥ ومِنْ عَجَب أنَّ تَسْجيعَها — بَديعٌ ولم تَدْرِ «سَجْعَ البَديعِ»

[٦٣]

الشروح :

(٢) النَّور : الزّهر الأبيض ؛ وتقال في غيره .

(٥) التورية هنا بسجع بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات .

[٦٤]

وقال في المعنى : **[من المتقارب]**

١ أحْسَنْتِ أحسَنْتِ أُمَّ الْحَسَنْ — لَقَدْ جِئْتِ بالْحُسْنِ في كُلِّ فَنْ
٢ مُحَيّا عَجيبٌ وشَخْصٌ طَرُوبٌ — وسَجْعٌ أديبٌ وصَوْتٌ حَسَنْ
٣ ألا بَدِّلي يا ابْنَةَ الْحُسْنَيَيْنِ — فَصْلِ الرَّبيعِ وَوَجْهِ الزَّمَنْ
٤ وهَاكِ فُؤادِيَ خَلْعاً ومَا — أراهُ يُوَفِّي بِبَعْضِ الثَّمَنْ
٥ فَدَيْتُكِ من بُلْبُلِ هاجَ مِنْ — بَلابِلِ وَجْدِيَ ماقَدْ سَكَنْ

[٦٤]

الشروح :

(١) أمُّ الحسن : الْحَسُّون (الطائر المعروف) وقد سبقت الإشارة إليه .

(٥) البلبل : طائر معروف . والبلابل والبَلْبال والبلبلة جميعاً بمعنى شدّة الهمّ والوساوس . والشاعر يميلُ أحياناً إلى الجناس .

[٦٥]

وقال في الخيريّ : **[من الكامل]**

١ سَلْ نَفْحَةَ الخِيريِّ في غَسَقِ الدُّجى … ما بالُهُ لَبِسَ الظَّلامَ رداءَ

٢ حَقّاً لَعَمْرُكَ أَنَّهُ ذو رِيبَةٍ … أوْ لا ففيمَ يُحاذِرُ الرُّقَباءَ ؟

٣ كالصَّبِّ يُخفِي شَجْوَهُ حَتَّى إذا … جَنَّ الظَّلامُ تنفَّسَ الصُّعَداءَ

[٦٥]

شرح :

(١) الخِيْرِيّ : هو النبات المعروف في المشرق بالمنثور ؛ وله زهر مختلف كالأبيض والأصفر . وللأندلسيين ولع بوصفه . (ينظر مثلاً البديع في وصف الربيع ١٠٩ ـ ١١٥) ، ومنه قول عبادة بن ماء السماء :

وكأنّ الخيريّ في كتْمه الطِّيْـ … ـبَ فقيهٌ مُغْرًى بطول رياء

يُظهر الزُّهد بالنهار ويُمسي … فاتكاً ليله مع الظرفاء !

[٦٦]

وقال في المعنى : **[من مخلع البسيط]**

١ أَعْطِرْ بخيريِّنا نَسيماً … كأنَّهُ في الظَّلامِ نَدُّ

٢ لكنَّهُ يَخْتَفي نَهاراً … فهوَ لزَهْرِ الرِّياضِ ضِدُّ

٣ كأنَّهُ إذ يَضُوعُ لَيْلاً … مِنْ مِسْكَةِ الدَّجْنِ يُسْتَمَدُّ

[٦٧]

وقال ، وبَعث بها مع مُطيِّبِ خيريّ إلى سَيّدٍ سَرِيّ : **[من الطويل]**

١ ودُونَكَـــهُ أذْكى نَــدِيْمٍ مُســاعِــدٍ ‏ على الأُنْسِ في جَوْفِ الدُّجُـونِ وأكْتَما

٢ يُنـاجِيْـكَ مــا امْتَـدَّ الظـلامُ بِسِرّهِ ‏ فـإنْ لاحَ واشي الصُّبـحِ أبـدى تَكَتُّما

٣ قَـــدِ احْمَرَّ ثُمَّ لا عَنْ ضَغِينـــةٍ ‏ ولكنَّــهُ هــابَ العُـلا إذْ تَقــدَّمــا

٤ فَمَهِّـدْ لَـهُ جَنْبَ السُّرورِ تَفُـزْ بِــهِ ‏ على قِلَّــةِ النَّــدْمى نَــديــاً مُسَلِّما

[٦٧]

شرح :

(٤) النَّديم ، في أكثر استعمالها عندهم ، المنادم على الشراب والجمع نُدَماء ونِدام . ومثلها النَّدْمان وتجمع على نَدامى . وعمّت الكلمة فقيلت في كل مُلازمٍ صاحبٍ مُمتع .
ـ ولعلَّ (النّدمى) في البيت هي الندمان ، وحذف الشاعر النون تجوّزاً أو على سبيل الاكتفاء .

[٦٨]

وقال في مُطيَّب خيريٍّ أصفر وأحمر أتى به أسمر : **[من البسيط]**

١ يـا رُبَّ أسـودَ وافـانــا وفي يَـدِهِ ‏ مُطيَّبٌ راقَ من خِيرِيِّـــهِ نَسَـــقُ

٢ لا غروَ أهـدى لنـا ريّـاهُ عــاطِرةً ‏ فنفحـةُ النَّـورِ يُذكي طِيْبَهـا الغسَـقُ

[٦٩]

وقال ، وبَعث بها مع باكورةِ(*) وَرْدٍ إلى أخي صَداقة ووُدّ :

[من مجزوء الكامل]

١ حَيَّتْــــكَ بِكْرٌ من بَنـــاتِ الرَّ ‏ وْضِ أعْجَلَهــــــــــــا ابْتِكارُ

٢ طَلَعتْ لِغَيْرِ أوانِهــــــــــا ‏ فَلِــــذاكَ مـــا اصفرَّ البَهــــارُ

٣ جـــــاءَتْـــــكَ مُنْبِئَـــــةً بـــــإقْبـــــالِ الرَّبيـــعِ لَهـــــا ابْتِـــــدارُ
٤ مَحْفُـــوفَـــــةً بـــــالآسِ مِنْـــــهُ على مَحـــــاسِنِهـــــا خِمارُ
٥ فَكأنَّهـــــا مـــــا بَيْنَـــــهُ خَـــــدٌّ أحـــــاطَ بِـــــهِ عِـــــذارُ

[٦٩]

الشروح :

(☆) الباكورة : الْمُعَجَّلُ الإدراك من كل شيء .

(١) يقال : بكَر وبَكَّر (بالتشديد) وأبْكَر وباكر وابتكر : كل ذلك بمعنًى .

[٧٠]

وقال ؛ ووَجَّه بها مع تُحفةِ تُفاحٍ إلى صِنوِ مَجْدٍ(☆) وسَماح :

[من المتقارب]

١ ودُونَكَهـــــا مِثْـــلَ شَكْـــلِ النُّهـــودِ وقَـــدْ ضُمِّخَتْ بـــــاحْمِرارِ الْخُـــدودِ
٢ كَرَيَّـــــا الْحَبيبِ ومَرْأى الْمُريْبِ وطَعْمِ الرِّضى بَعـــد طُـــولِ الصُّـــدودِ
٣ أتَتْـــــكَ تُردِّدُ طِيبَ ثَنـــــائي وإنْ قَصَّرتْ عَن مَـــــداهُ البَعيـــــدِ
٤ وتَفْتَرُّ عن مثْـــــــلِ طَعْمِ ودادي لِتلْـــــكَ الْحُلى والْجَمالِ الفَريـــــدِ
٥ فـــإنْ خَجِلَتْ أوْ عَراهـــا حَيـــاءٌ فمِنْ أجْـلِ تَقصيرِهـــا عَنْ مَـزيـــدِ

الشروح

(☆) الصِّنو : المِثل .

(٤) افترّ : ضحك ضحكاً حسناً .

[٧١]

وقال ، وبَعث بِها مع بَواكيرِ زَهر : **[من الطويل]**

١ ودونكَهـا يـا رَوْضَـةَ الْجُـودِ والنَّـدى بـواكيرَ زهرٍ مِثْـلِ نَشْرِكَ مِعْطـــارِ
٢ بَعثْتَ بهـــا عَنْ خَجْلـــةٍ وتـوَقُّفٍ فَمِنْ سَفَـــهٍ إتحـــافُ رَوْضٍ بنُــوَّارِ!

[٧١]

شرح :

(٢) النُّوّار : النَّوْر : الزَّهر أو الأبيض منه . الواحدة نوّارة والجمع نواويرلى

[٧٢]

وقال ، وَقد أهدى إليه أحدُ خُلَصائِه بَهاراً : **[من الخفيف]**

١ يـا رِيـاضـاً أهْـدَى لأَنْفي بَهـارا وصَبـاحـاً أبْـدَى لِعَيْني نَهـارا
٢ وجَنـابـاً لِلْمَكْرُمـاتِ رَحيبـاً قَـدْ زَكا مَحْتِـداً وطـابَ نِجـارا
٣ وَصَلَتْني هَـدِيَّـةٌ مِنْـكَ أهْـدَتْ لِفُـؤادي مِنَ الْمُنى أوْطـارا
٤ نَفَحَتْني بِمِثْـلِ ذِكْرِكَ طِيبـاً رُبَّ طِيْبٍ يُعـدي النُّفـوسَ ادِّكارا
٥ أنْتَ رَوْضٌ مِنَ المحـاسِنِ غَضٌّ فَبِحـقٍّ تُهْـدِي لنـا الأنْـوارا

[٧٢]

الشروح :

(٢) النِّجار : الأصل .
(٥) الأنوار : ج النور وهو الزّهر الأبيض (وقد يُطلق مجازاً على كل زهر) .

[٧٣]

وقال ، وقد تاحَفَتْهُ به ذاتُ زِيٍّ بَهِيّ ! : **[من البسيط]**

١ أهـلاً بِنَـوْرِ بَهـارٍ قَـد حَبَتْـكَ بِـهِ شَقِيقَـةُ الرَّوضِ في حُسْنٍ وفي عَبَـقِ
٢ حكَى لَنـا طِيبَ رَيَّـاهـا ومَبْسِمِهـا فارْشُفْهُ إن شئْتَ أو إنْ شئتَ فانْتَشِقِ
٣ أوْفَى عَلى قُضُبٍ في لِيْنِ قـامَتِهـا لـو أنَّ في ضَمِّهـا رَوْحـاً لِمُعْتَنِـقِ
٤ رَيْحانَةٌ في كُساهـا الْخُضرِ قـد طَلَعَتْ كأَنَّهـا الغُصْنُ في خُضْرٍ مِنَ الـوَرَقِ
٥ تَكَلَّلت عِمَّـةً حَمْراءَ وانْتَقَبَتْ تحكِي الهِـلالَ كَسَتْـهُ حُمرَةُ الشَّفَـقِ

[٧٤]

وقالَ في إزراءِ وَرْدِ الخدِّ بخدِّ الوَرْدِ : **[من السريع]**

١ رَمَيْتُـهُ بِـوَردةٍ مُطْرِفـاً فَردَّهـا وتـاهَ بِـالخَـدِّ
٢ فَعـادَتِ الـوَردَةُ في خَجْلَـةٍ تَبْـدُو عَليهـا صُفرةُ الحِقْـدِ !

[٧٥]

وقال في حقلِ كتَّانٍ مُنوّر : [من السّريع]

١ انظُرْ إلى الكَتَّـــان طَـوْعَ الصَّبـــا يَخْتـــالُ في خُضْرِ بُرُودِ الشَّبـــابْ

٢ كأنَّـــهُ بَحْرٌ طَما مَـــوْجُـــــهُ نُـوّارُهُ مِنْ فَـوْقِـــهِ كالْحَبـــابْ !

[٧٦]

وقال في باقِلاّء(☆) تخللها شَقِر(☆☆) : [من السّريع]

١ شَقـــائِـــقُ النُّعْمان والبـــاقِـــلا وَجْـــهٌ بكَفٍّ الْحُسْن قـــد رُقِّشـــا

٢ كأنَّ هـــذِي وَجْنَـــةٌ خُمِّشَتْ وذا عِـــذارٌ فَـوْقَهـــا قَـــدْ وَشَى

٣ ونـــاظِرُ النَّـورِ بهـــا نـــاظِرٌ يَرومُ أنْ يُبصِرَ مـــا خُمِّشـــا

[٧٦]

الشروح :

(☆) الباقلّى : الباقلاء ، وهو نبات عشبيّ من فصيلة القَطانيات (وهو الفُول) .

(☆☆) الشَّقِر : شقائق النعمان .

[٧٧]

وقالَ في دَبّاءة(☆) : [من البسيط]

١ للهِ خَـزِّيَّـــةُ الجِلْبـــابِ صـوَّنَهـــا طُـولُ الحِجـابِ فَلَمْ يُمْـدَدْ لهـا ظُفُرُ

٢ حَيَّى بها الرَّوضُ يَنْـدَى جِسمُهـا تَرَفاً كأنَّهـا سـاقُ خَـوْدٍ غـالَهـا قَـدَرُ

[٧٧]

الشروح :

(☆) الدَّبّاء : القَرْع .

(٢) الْخَوْد : المرأة الحسنة الْخَلْق ، الشّابّة ، أو النّاعمة .

[٧٨]

وقال فيما يَعتري الأشجارَ في الخريف منَ الاصفرار : [من السريع]

١ أمــا تَرَى الأشْجـــارَ كَيْفَ اكتَسَتْ أوراقُهـــا رِقَّـــةَ ثَـوبِ الأصيـــلْ

٢ مــــــــا ذاكَ إلاّ أنَّهـــــا آذَنتْ عَنَّـا ـ ولا شـكَّ ـ بِـوَشْـكِ الرَّحيـلْ

[٧٩]

وقال مُستدعَياً إلى رَوْضٍ مَريع قد اخضرّت فيهِ بُنيّاتُ الرَّبيع :

[من الوافر]

١ هَلُمَّ إلى الرِّيـــاضِ فَقَـــدْ تَردَّتْ بـــأرديَــــةٍ مِنَ الأوراقِ خُضْرِ

٢ وبـــاتَ القَطرُ يَمْشُطُهـــا فَـوَشَّى بلبَّـــاتِ الغُصُـــونِ عُقـــودَ دُرِّ

٣ وغَنَّتْ فَـوْقَهـا الأطيـارُ سَجْعـاً فـأغْنَتْ إذْ شَـدَتْ عَنْ كُـلِّ زَمْرِ

٤ وقـــامَتْ كالعَروسِ تَرُومُ كُفـؤاً تَرُوقُ النَّفْسَ في مَرأىً وخُبْرِ

٥ ولا كُفءٌ كَحُسنِــكَ فلتُجبْهـــا وإنّي ضـــامِنٌ إحضـــارَ مَهْرِ!

[٨٠]

وقال في شمعة : [من المتقارب]

١ وصَفراءَ قـــد سُـوِّيَتْ صَعْـــدَةً ورُكِّبَ فيهـــا السَّنـــا كالسِّنـــانْ

٢ رَمَتْ عن شَبــاهــا الـدُّجى فـانْثَنى وقَـــدْ شمَّر الـــذَّيْـلَ يَبْغي الأمـــانْ

٣ كأنَّ الَّـــذي ســـالَ مِنْ رَأْسِهـــا عَلى جِسْمِهـــا مِنْ دِمـــاءِ الطِّعـــانْ!

الشروح :

(١) الصَّعْدَة : القناة المستوية تنبت كذلك ، ولا تحتاج إلى تثقيف .

(٢) الشَّبا : جمع الشباة ، وهي حدُّ طَرَفِ السَّيف والسِّنان ونحوهما .

[٨١]

وقال ؛ وفيهِ من اللفّ والنشر(☆) ما يندُرُ وقوعُ مِثلهِ في الشّعرْ :

[من الطويل]

١ وخـاطِرَةٍ كالظَّبيِ في خَطْـوهـا بُعْـدُ ... تَكادُ أعـاليهـا مِنَ اللِّين تَنْقَـدُّ

٢ تَمَنَّيْتُهـا في حَضْرَةٍ وَسْـطَ رَوْضَـةٍ ... يَنِمُّ عَلَينـا مِنْ خَمائِلهـا النَّـدُّ

٣ فَصدَّتْ وقالَتْ : مالِطَبعِكَ قـد جَفـا ... وأيَّ رِيـاضٍ تَبْتَغي بَعْـدَمـا أبْـدُو

٤ وفِرْدَوسُها والقُضْبُ والعَرفُ والنَّدى ... وأوْراقُهـا والـوُرْقُ والكُثْبُ والرَّنْـدُ

٥ وحضْرَتُهـا والرّاحُ والنُّقْـلُ والغِنـا ... ونَرْجِسُهـا والـزَّهرُ والآسُ والـوَرْدُ

٦ ثِيـابي وأعطـافي ونَشْري ونِعْمَتي ... وقُرْطي وحَلْيِي والرَّوادِفُ والقَـدُّ

٧ وَوَجْهي وَرِيقي والنُّهـودُ ومَنْطِقي ... ولَحْظي وثَغْري والغَـدائِرُ والْخَـدُّ

٨ إذا لُحْتُ لاحَ الْحُسْنُ طُرّاً وإنْ أغِبْ ... فـلا شَجَنٌ يَخْفى ولا حَسَنٌ يَبْـدُو

الشروح :

(☆) اللّفّ والنّشر : من ضروب البـديع ، وهو (ذِكْرُ متعـدّد على جهة التفصيـل أو الإجمـال ، ثمّ ذكر ما لكلّ واحدٍ من غير تعيين ، ثقةً بأنّ السامع يردُّه إليه) ، ومنه قوله تعـالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .

(١) تَنْقَدّ : تنقطع .

[٨٢]

وقال ، وَفيهِ منَ البديعِ تَجنيسُ التّصريع : **[من الخفيف]**

١ بَـدْرُ تِمٍّ بِـأُفْـقِ قَلْبي تَجَلَّى ... جَـلَّ في الْحُسْنِ أنْ يُنـاعَتَ جَـلاّ

٢ حَرَّمَ الـوَصْـلَ والصُّـدودَ أحَـلاّ ... وضُروبَ الأسى بِصَـدْري أحَـلاّ

٣ كيفَ قُـلْ لي : عَنِ الهَـوى يَتَسَلَّى ... مَنْ حَشـاهُ بِـوَجْـدِهِ يَتَصَلَّى ؟

٤ حُسْنُ خَلْـقٍ وحُسْنُ خُلْـقٍ فمَنَ لا ... يَصْطَفيـهِ وإنْ جَفـاهُ ومَـلاّ

٥ يـــا عَـــذُولي عَلى تَجَنِّيــــه مَهْـلا لا تَلُمْني فَقَـدْ بَـدا العُـذْرُ، مَـهْ! لا
٦ كلُّ عَـذْلٍ قَـدْ صُغْتَ فيـهِ ٱضْمَحَـلاّ عِنْـــــدَ قَلْبي، إذْ لا يُـــوافي مَحَـــلاّ

[٨٣]

وقال في ذلك المهْيَع(☆) : **[من مخلّع البسيط]**

١ يـــا مَنْ بِـــأوْصـــافِـــهِ الْحَـوالي رِقّيَ في الْحُبِّ قَـــــدْ حَـــوى لِي
٢ أنْـــوارُ وَجْنـــــاتِـــــكَ الْجَــوالي جَلَبْنَ ذا الــوَجْـــــدَ والْجَــوى لي
٣ وفي لَمَى ثغْرِكَ الـــــــــدَّوا لي لَـوْ عَلَّني بِــــآبْنَـــــةِ الــــدَّوالي
٤ هَـــــلاّ جَعَلْتَ الرِّضى نَــــوالي بَـــديْـلَ إيـلائِــكَ النَّـوى لي
٥ فَغـــــايَــــــةُ السـؤلِ والْمُنى لِي لَـوْ كانَ مِنْــكَ الرِّضى مَنـــالِي

الشروح :

(☆) الْمَهْيَع : الطريق الواسع البيّن . والمراد : تجنيس التصريع .
(١) حَلِيَتْ المرأةُ حَلْياً : ازَّيَنَتْ ، فهي حالية ، والجمع حوالٍ .
(٢) جَلا السيفَ والمرآةَ : صَقَلَها ، والوَجنةُ المجلوّة : الصَّقيلةُ النّاعمة ؛ والجوالي : جمع جالية ، استعمَلَها بمعنى مجلوَّة .
(٣) الدّوالي : جمع دالية ؛ والدوالي : أي الدَّواءُ لي .

[٨٤]

وقال ، والتزمَ في قوافيه نوعاً من التَّجنيس : **[من مخلّع البسيط]**

١ بِحَــقِّ فَضْــلِ الرَّســولِ سُــؤْلِي بَرِّدْ بِرُوحِ الــوِصـــالِ صَــــالي
٢ سَبَى سَنَـــــا حُسْنِكُمْ فُـــؤادي مـــالي ومـــا لِلْجَمالِ، مَـــالِي؟!
٣ يـــا ظَبْيُ هَبْ لي رِضـــاكَ عَلِّي أبرا بِــــهِ مِنْ خَبَـــالِ بـــالِي
٤ أيْـــأسْتُ فيــكَ العَــذُولَ مِنّي تَرَفُّعـــاً عَنْ مَقـــالِ قــــالي
٥ هَـــلْ أقْتَفي في المِــلاحِ لاحٍ وأهْيَفي في العَــــــوالِ والِي

الشروح :

(١) حقّها أن تكون (صالياً) لولا ضرورة الشّعر ؛ وصليَ النّارَ وبِهَا : قاسى حرَّها .

(٣) الْخَبَال : العناء ، والفساد .

(٤) قالٍ : أي مُبْغِض .

(٥) العَوَالي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو رأسها ، أو النّصف الَّذي يلي السّنان . واللاّحي : اللائم . ويريد بالأهيف الضّامِر : الرُّمحَ

[٨٥]

وقال ، وفيه نوعٌ من التجنيس ومَعنًى من التَّوريّة : [من البسيط]

١ وشـادنٍ بـاكَرَ الكُتّـابَ مُحتَضِنـاً ... لِلَـوْحِـهِ، خـاطِراً في صُـورَةِ القَمَرِ

٢ سَأَلْتُـهُ: يـا حَبيبي ! مـا بِلَوْحِـكَ قُـلْ ... فَقـالَ لي: إنَّني في (سُـورَةِ القَمَرِ) !

[٨٦]

وقال في ذلك المهْيَع : [من البسيط]

١ ومُجْـدِبِ الْخَصْرِ غَضِّ الرِّدْفِ نـاعِمِـهِ ... فَمِنْـهُ لِي ظَمَأٌ ومِنْـهُ لِي وِرْدُ

٢ قَـدْ ظَـلَّ يُطْرِقُ لَمَّـا شِمْتُـهُ غَضَبـاً ... تَعْنُـو لِعِـزَّتِـهِ الضَّراغِمُ الـوُرْدُ

٣ كَأَنَّ أُنْمُلَـهُ مِنْ فَـوْقِ وَجْنَتِـهِ ... سُوسـانَـةٌ قَـدْ بَـدا خِـلالَهـا وَرْدُ

الشروح :

(٢) الـوَرْد : الأسَـد ، وتُجْمَـع على (وُرْد) . والضِّرْغَم والضِّرغـام والضِّرغـامـةُ : الأسـد ، والجمع ضَرَاغِم .

[٨٧]

وقال ، وتُنشدُ بعشرِ قوافٍ(☆) : [من السريع]

١ سَبْـعٌ لِيَ اليَـوْمَ أيـا بُغْيَتي ... لَم يَبْـدُ لي مَنْظَرُكَ الأقْمَرُ

الأبْـدَعُ الأوْضَـحُ الأعْجَبُ الأظْرَفُ الأسْعَـدُ الْمُشْرِقُ الأوْسَمُ الأجْمَـلُ الأحْسَنُ

٢ مــــاذا الجفـــــاءُ اللهَ في مُغْرَمٍ أدْمُعُـــــهُ مِنْ لَـــوْعَــــةٍ تَقْطُرُ
تَهْمَــعُ تَسْفَــحُ تَسْكُبُ تَــــذْرِفُ تَنْفَـــدُ تَـــــدْفُــقُ تَسْجُمُ تَهْطِـــلُ تَهْتِنُ
٣ أيَظْهَرُ البَـــــدْرُ على بُعْـــــدِهِ وأنتَ بـــــــالقُرْبِ ولا تَظْهَرُ؟!
تَطْلُـــــعُ تَلْمَـــــحُ تَغْرُبُ تُسْعِفُ تَسْعِـــــدُ تُشْرِقُ تُنْعِمُ تُفْضِـــــلُ تُحْسِنُ

[٨٧]

الشروح :

(☆) تتألَّف هـذه المقطوعـة من ثلاثـة أبيـات ، وبعـد كلّ بيت تسع كلمـات مُتَشـابهـاتِ القـافيـة عموديّاً ، بحيث تصلح كلّها أن تكون قوافيَ للمقطوعة ؛ فـالقـافيـة مثلاً في النصّ الرّاء ، وقـد تكـون العينَ مـع (الأبـدع ، تهمـع ، تطلـع) ، أو الحـاءَ مـع (الأوضـح ، تسفـح ، تلمـح) وهكذا ؛ والشـاعر هنـا يُبـدي براعتـه في المقـدرة على تنويع القوافي ، والـدّلالـة على السّعـة اللّغويّة ، ويُجاري الدَّارِجَ مع ذوق عصره .

(١) وَجهٌ أَقْمَرُ : مُشَبَّه بالقَمَرِ ؛ يُجْمَع على : قُمر .

[٨٨]

وقال في خِلعةٍ مُونِقة على طلعة مُشرقة : **[من البسيط]**

١ مَرْآكَ مــا التــاحَ في حُــوِّ السَّفــاسِيْرِ أمْ بَــدْرُ تِمٍّ تَجَلّى في الــدَّيــاجيرِ
٢ وتِلْـكَ فُـوطَتُـكَ الـزَّرْقـاءُ تُحْـدِقُـهُ أمْ هــالَــةٌ حَــدَّثَتْ عَنْ ذلِـكَ النَّـورِ
٣ وسُمْرَةُ الخـــالِ ذي أمْ وَشْمُ غــالِيَــةٍ في صَفْحِ خَـدٍّ بِمَعْنى الْحُسْنِ مَسْطـورِ
٤ وسِمْــطُ ثَغْرٍ شَهِيٌّ الرِّيـقِ عــاطِرُهُ أمْ غُصْنُ زَهْرٍ بِمــاءِ الـوَرْدِ مَمْطُـورِ
٥ وقَـدُّكَ الأهْيَفُ الْمَمْشـوقُ غُصْنُ نَقــا يَهفُــو بكلِّ مَشـوقِ القلبِ مَهْجُـــورِ

[٨٨]

الشروح :

(١) السَّفـاسِير : جمع السِّفسير ، وهو الخـادم . والْحُوّ : جمع الأحوى ، وهـو الـذي فيـه حُمْرَة إلى سواد . والدَّياجير : جمع ديجور ، وهو الظّلام .

(٢) الفُوطَةُ : واحِدَةُ الفُوَطِ ، وهي مآزِرُ مُخَطَّطَة .
(٣) الغالية : ضَرْبٌ من الطِّيب .
(٥) الْهَيَفُ : ضمر البطن ورِقّة الخاصرة . وفي هامش الأصل ، على يمين السّطر ، بخطّ دقيق : « بَلَغَ السَّماع والقِراءَة » .

[٨٩]

وقال في نحو ذلك المعنى : **[من السريع]**

١ قَدُّكَ في مَلْبَسِكَ الوَرْدي ... أم آسَةٌ تَخْتالُ في وَرْدِ
٢ ووَجْهُكَ الأسْعَدُ من فَوْقِه ... أم قَمَرٌ قد لاحَ بالسَّعْدِ
٣ ظَبْيٌ وأيْنَ الظَّبْيُ من تِيْهِهِ ... وغُنْجِهِ والرِّدفِ والقَدِّ
٤ يَخْتالُ إذ يَلْتاحُ في مَلْبَسٍ ... كأنَّما حِيْكَ مِنَ الوَرْدِ
٥ وليسَ صِبْغاً فيهِ لكنَّهُ ... عَكْسُ شُعاعِ ذلكَ الْخَدِّ

[٩٠]

وقال في راكبٍ أشقرَ حسن المنظر : **[من البسيط]**

١ يا بَدْرَ تمٍّ تُسامي الطَّرفَ عَنْ أُفُقٍ ... أوْلى لَكَ القَلبُ أُفقاً واضِحَ الفَلَقِ
٢ بِمُهْجَتي عائِدٌ عادَ الزَّمانُ بهِ ... فعادَ عِيدُ الرِّضى والبِشْرِ في نَسَقِ
٣ جَرَى بهِ أشْقَرٌ للوعْدِ في طَلَقٍ ... فيَا لِجَرْيِ النُّهى في ذلِكَ الطَّلَقِ
٤ حتَّى إذا ما أتَى أهْوَى يُعانِقُني ... في الأرضِ كالشَّمْسِ إذ تُهوي عن الأُفُقِ
٥ كأنَّما الطِّرْفُ أُفقٌ شَمْسُهُ غَربتْ ... فذلكَ اللَّونُ فيهِ حُمْرَةُ الشَّفقِ

[٩٠]

ملاحظة :

في عدد من القطع التالية مُجاراة لبعض أشعار المشارقة وقد حاكاها الأندلسيون والمغاربة في عصر الموحّدين خاصة ، واستمر شيءٌ من هذه الأوصاف الغلمانية على سبيل المجاراة والإحماض في أشعارهم .

الشروح :

(١) التَّمّ (مثلّثة التّاء) : التّمام . والفَلَق : الصّبح .
(٣) جرى الفرَسُ طَلْقاً : أي شَوْطاً .
(٥) الطِّرْف : الكريم من الْخَيْل .

[٩١]

وقال في راكبِ دَهماء : **[من مجزوء الوافر]**

١ إذا الدَّهْماءُ أجْراها أبو زيّانَ في لَعِبِ
٢ عَلَيْها مِنْ أعِنَّتِها تَمائِمُ صِغْنَ مِنْ ذَهَبِ
٣ تَقُولُ: اللَّيْلُ قَدْ وافَى بِبَدْرِ التِّمِّ والشُّهُبِ

[٩١]

شرح :

(١) الدَّهماء : الفرَس السَّوداء .

[٩٢]

وقالَ في غلامٍ سابح : **[من المتقارب]**

١ وظَبْيٍ تجرَّدَ عن قُمْصِهِ وقد زَرَّ للْحُسْنِ أضْفَى قميصْ
٢ وأقْبَل يَسْبحُ في الماءِ تِيْهاً فَيَبْدُو ويَخْفَى كَمَعْنىً عَويصْ
٣ كأنَّ مُحَيَّاهُ بَدْرُ سَحابٍ فَطوراً يَلُوحُ وطَوراً يغوصْ

[٩٣]

وقال في المعنى : **[من مجزوء الكامل]**

١ بأبي غَزالٌ غازَلَتْهُ مُقْلَتي في الماءِ عائِمْ
٢ يَبْدُو ويَخْفى فيهِ كالشَّمْس انْجَلتْ بَيْنَ الغَمائِمْ

[٩٤]

وقال في أسمر وسيم : **[من الخفيف]**

١ كَيْفَ يَصْحُو من سُكرِهِ مُشْتاقٌ في هِلالٍ تَشتاقُهُ الآفاقُ

٢ كَلَّفَتْنِي لِحــاظُــهُ الصَّبْرَ حتَّى جَازَ عِنْـدي تَكْلِيفُ مـا لا يُطـاقُ !
٣ عــابَ مِنْـهُ اللُّحــاةُ لَمّـا رأَوْهُ سُمْرَةً لي في سِرِّهـــا أذواقُ
٤ وادَّعــوا أنَّهـــا ظَـــلامٌ بقلْبي حـــاشَ لله إنَّهـــا إشراقُ
٥ هُمْ أجـالُـوا لِحـاظَهُمْ فيـهِ حتَّى نَفَضتْ فيـهِ صِبْغَهـا الأحـداقُ

[٩٤]

شرح :

(٢) في القرآن الكريم : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها ﴾ من الآية الشريفة (٢٨٦) من سورة البقرة (٢) . والشاعر يستفيد من بعض المسائل الكلاميّة .

[٩٥]

وقال في المعنى : **[مجزوء الرمل]**

١ مَنْ عَـــذيري مِنْ عَـــذُول في رشـــأً أسْمَرَ شَيّـــا
٢ دُونَ صِبْـغِ المِسْـكِ لَـوْنـاً وهــوَ فَـوْقَ المِسْـكِ رَيّـا
٣ أوَلا يَـــدْري عَـــذُولي أنَّهـــا مِمَّـــا تَـزَيَّـا
٤ مِنْ سُـــوَيــداءِ فُـــؤادي وسَـــوادِ مُقْلَتَيّـــا
٥ إذْ نَشـــا بَيْنَ ضُلُـــوعي وثَــوى في نـــاظِرَيّـــا

[٩٥]

شرح :

(٢) المِسْك : ضَرْبٌ من الطِّيب ، لونهُ أسوَد .

[٩٦]

وقال في المعنى : **[من الكامل]**

١ عـــابَ العَـــواذِلُ من حَبِيبي سُمْرَةً كَـلاَّ ، فِرْنْـدُ السَّيفِ لَيْسَ بعـائِبِـهْ

٢ لَمّـا جَرَى مـاءُ النَّعيمِ بِـوَجْهِـهِ لاحَتْ بِصَفْحَتِـهِ ظِـلالُ ذَوائِبِـهْ

[٩٧]

وقال في الاعتذارِ عَنْ مَساوئ العذار : **[من البسيط]**

١ تَطْرِيـزُ خَـدَّيْكَ بـالرَّيْحـانِ والرَّاحِ لَمْ يُبْقِ عَقْلاً صَحِيحاً ، لا ولا صـاحي
٢ عِـذارُ آسٍ عَلى خَـدَّين قـدْ جَمَعـا لِرَوْنَـقِ الرَّاحِ تَرْويحـاً لأرواحِ
٣ تَبـارَكَ اللهُ بـارِيـهِ عَلى قَـدَرٍ رَيْحـانَتَيْنِ على كاسَيْنِ مِنْ راحِ
٤ أمَّـا العِـذارُ فَما أوْفى بِمَعـذِرَتي لـو كانَ يلحَظُـهُ عَنْ لَحْظيَ اللاَّحي
٥ سـأُلْزِمُ النَّفْسَ حُكْمَ الصَّبر مُحتَسِبـاً أجْرِي على اللهِ في تَفْنِيـدِ نُصّـاحي !

[٩٨]

وقال في المعنى : **[من السريع]**

١ مَنْ عـاذِرُ الْمُشْتـاقِ مِنْ عـاذِلٍ في حُبِّ ظَبْيٍ أشْنَبٍ ألْعَسِ
٢ قـالَ : بَـدا عـارِضُـهُ فـاسْلُـهُ كَيْفَ ورَوْضُ الْحُسْنِ مِنـهُ كُسِي ؟
٣ لَمّـا غَـدَتْ وجْنَتُـهُ جَنَّـةً مَحْفُـوفَـةً بـالـوَرْدِ والنَّرجِسِ
٤ وجـالَ فِيهـا رِيقُـهُ كَـوْثَراً أكْمَلَهـا الرَّحْمنُ بـالسُّنْـدُسِ
٥ فكيفَ لاأبْغِي خُلُـوداً بِهـا والْخُلْـدُ أقْصى مُبْتَغى الأنفُسِ ؟!

[٩٨]

شرح :

(١) اللَّعَسُ : سوادٌ مُسْتَحْسَنٌ في الشَّفَةِ .

[٩٩]

وقال في المعنى : **[من المنسرح]**

١ قـالُـوا مَحَتْ عـارِضـاهُ بَهْجَتَـهُ فَبَـدْرُ مَرآهُ لِلْغُروبِ جَنَـحْ

٢ هَيْهـــاتَ هَيْهـــاتَ ليسَ ذاكَ عَلى مَنْظرِهِ نـــاضِرُ العِـــذارِ وَضَـحْ
٣ وإنَّما شَمْسُ حُسْنِــــــــهِ سَطَعَتْ فـلاحَ في وَجْنَتَيــهِ قَــوْسُ قُــزَحْ

[١٠٠]

وقال في المعنى : [من الخفيف]

١ لا زَوَرْدُ العِـــذارِ فَـوْقَ نُضـــارِ الْخَـــدِّ يَحْكِي تـــاريـخَ عَهْـدِ الجمـــال
٢ قَـدْ وَشَتْــهُ أيْــدِي المحــاسِنِ سَطْراً مُحْكَمَ الشَّكل مُعْجَماً بـــالغَــوالي

[١٠١]

وقال في ذَمّ العذار(☆) : [من مجزوء الكامل]

١ يـــا مَنْ تعجَّب في اضْطِبـــارْ عُشَّـــاقِـــهِ عَنْـــهُ وحـــارْ
٢ مِنْ بَعْــــدِ مـــا كَسَفتْ ذُكا ءُ وأزْعَـــجَ اللَّيْـــلُ النَّهـــارْ
٣ لَمّـــا بَـــدا في رَوْض خَـــدَّيـــكَ النَّـــدِيْ صِـلُّ العِـــذارْ
٤ ارتـــاعَ طـــاوُوسُ الجمـــا ل فَمَـــدَّ أجْنِحـــةً وطـــارْ
٥ فَلِـــذا القُلـــوبُ الطَّـــائِرا تُ إليْـــهِ قَرَّ بِهـــا القَرارْ

[١٠١]

الشروح :

(☆) العِذار : جانِبُ اللّحية ، وعذّر الغلام : نبتَ شعر عِذاره .
(٢) ذُكاء ، غير مصروف : اسمٌ للشمس ، لاتدخله الألف واللاّم .
(٣) الصِّلّ : الحيّة التي لاتنفع منها الرُّقية .

[١٠٢]

وقال في الإنذار بسواد العِذار : [من المجتثّ]

١ يـــا لاهِيـــاً عَنْ غَرامي ومُعْرِضـــاً عَنْ سَقـــامِي

٢ وجـــــامِحـــــاً ليسَ يَثني وَجْهـــــاً لِرَدٍّ سَـــــلامِي
٣ إنِّي لأَصْبُرُ حَتَّى تَعُـــــودَ سَهْـــــلَ المرام
٤ لابُـــــدَّ للشَّعْر يُلقي عليـــــكَ أيَّ زمـــــام
٥ وكُـــــلُّ صَعْبٍ جَمُـــــوحٍ يَنْقـــــادُ طَـــوْعَ اللِّجـــــام

[١٠٢]

شرح :

(٥) في معنى هذا البيت ينظر إلى قول بشّار (ديوانه ٩٨/٢) :

لا يُـؤْيِسَنَّـــكَ مِن مُخَـــدَّرةٍ قـولٌ تُغَلِّظُـــه وإن جَرَحـــا
عُسْرُ النِّســـاء إلى مُيـــاسَرَةٍ والصَّعْبُ يُمْكِنُ بَعْـدَمـا جَمَحـا

[١٠٣]

وقال مُتَهِماً بكلام بَدأ نباتُ ذَقنه قبلَ عارِضه : [من السريع]

١ وشـــادنٍ ذي لِمَـــةٍ قـــد غَـــدتْ مِنْ وجهـــــهِ الأقْمَرِ في حَيِّـــزِ
٢ فَقُـــلْ لـــذي العَـــذْل الَّـــذي عـــابَـــهُ بِهـــا مَقـــالَ عـــاشِـــقٍ مُـوجِـزِ
٣ أضْحَى مِنَ الأفـلاك بَـــدْرِيَّهـــا لا بُـــدَّ لـــلأفـــلاك مِن مركـــزِ

[١٠٣]

شرح :

(٣) كلّ مستدير فَلَك ، والفَلَك : مَدارُ النّجوم الّذي يَضُمُّها

[١٠٤]

وقال : [من الكامل]

١ قـــالـــوا: عَلِقْتَ بـــهِ كبيراً سِنُّـــهُ بـــادي العِـــذارِ، وإنَّ ذا لنكيرُ
٢ فـــأَجَبْتُهمْ والقَلْبُ رَهْنُ بَـــلابـــلٍ وبطيٌّ صَـــدري لـــوْعَـــةٌ وزَفيرُ
٣ إنَّ القُلـــوبَ على المِـــلاحِ قـــوالِبٌ مـــالَمْ يَضِـقْ عنـــهُ الضّمير صغيرُ

[١٠٥]

وقال في أرمد : **[من الكامل]**

١ رَمِدَتْ لواحِظُهُ فقالَ طَبيبُه: أضْفُوا عليه غَلائِلاً زُرْقا
٢ ما إنْ تَكادُ تُبينُ وهوَ مُغلَّلٌ بَيْنَ الهِلال وبَيْنَهُ فَرْقا
٣ يا مَنْ رأى في الأرضِ بَدْراً ماشِياً أمَّا أنا فَرأيتُهُ حقّا !

[١٠٦]

وقال في المعنى : **[من الوافر]**

١ عَذيْري من سَقيمِ الْمُقْلَتَيْنِ فما بها لِخَلْقِ مِنْ يَدَيْنِ
٢ مريض اللَّحظِ من رَمَدٍ وغُنْجٍ بَلا قَلْبي الْمَشُوقَ بمَرضَتَيْنِ
٣ وما عَجبي لِصَوْلِها شَهيرَيْنِ لكِنْ كَيْفَ صَالا مُغْمَدَيْنِ !

[١٠٧]

وقال في المعنى : **[من الكامل]**

١ قَالُوا: بمُقلتِهِ احمرارٌ شانَها هَيْهاتَ! عِنْدي عِلْمُ مالَمْ تَعلموا
٢ لَمّا أغارَ عَلى القُلُوبِ بِلَحْظِهِ أصْدَا فِرَنْدَ حُسامِ مُقلَتِهِ الدَّمُ

[١٠٨]

وقال في غُلام يرتقب هِلالَ الفِطر : **[من البسيط]**

١ يا حُسْنَهُ لِهلالِ الفِطْرِ مُرْتَقِباً كالبَدْرِ أشرقَ في داجٍ مِنَ الغَسَقِ
٢ أوْمى إليهِ بعَيْنيهِ وغازَلَني فَقُلْتَ والصَّبُّ مَفْطورٌ عَلى القَلَقِ
٣ لُقْياكَ عِيديْ ومَرْآكَ الهلالُ وفي لَماكَ فِطْري فما أبغي لَدى الأُفُقِ ؟!

[١٠٩]

وقال في المعنى : **[من الخفيف]**

١ بِأبي شادِنٌ على البَدْرِ يُزْري ... قَدْ كَساهُ الصِّيامُ أثوابَ هَجْرِ
٢ ظَلْتُ أشْدُو تَعجُّباً مِنْهُ لَمّا ... قامَ مُسْتَوْضِحاً هِلالَ الفِطْرِ:
٣ أنتَ بَدْرٌ - وهَبْكَ لاحَ هِلالٌ - ... كيفَ يُبْغَى الهِلالُ من بَعْدِ بَدْرِ؟

[١١٠]

وقال في تلوُّن المحبِّ والحبيبِ عندَ اللقاء : **[من البسيط]**

١ تَحْمَرُّ وجْنَتَهُ مَهْما مَرَرْتُ بِهِ ... ويَسْتَحِيلُ دَمي أيضاً مِنَ النَّظرِ
٢ حَتّى كأنَّ الدَّمَ المفقودَ من جَسَدي ... هوَ الَّذي قد بَدا في خَدِّهِ النَّضِرِ!

[١١١]

وقال في الوِشاحِ والتمائمِ : **[من البسيط]**

١ وذي تَمائمَ تُبْري من وسَاوِسِهِ ... قَدْ نُضِّدتْ بوشاحٍ منهُ وَسواس
٢ كأنَّ حُلكَتَهُ في صُبْحِ لَبَّتِهِ ... سَطْرٌ مُوَشّىً بَدا في صَفْحِ قِرْطاسِ

[١١٢]

وقال في زيارة الطَّيفِ : **[من الكامل]**

١ يُبْدِي خَيالاً منكَ زارَ خيالَهُ ... صَبٌّ يَراكَ مِنَ الوُجودِ كَمالَهُ
٢ هَيْهاتَ بَلْ يَفْديكَ يا شَرَكَ النُّهى ... مِنْ كُلِّ ماتَخْشى النُّفوسُ مَنالَهُ
٣ لولا سماحُكَ بالمنامِ لَما سَرَى ... فَلَكَ التَّفَضُّلُ بالزِّيارةِ لا لَهُ!

[١١٣]

وقال في استعداء المحب على المحبوب : **[من مخلّع البسيط]**

١ أقْمتُ في الْحُبِّ شــــاهِـــدَيْنِ سَقـــامَ جِسْمِي ودَمْـــعَ عَيْنِي
٢ وهـــا أنـــا حـــالِفٌ يَمينـــاً بـــوَرْدَةٍ فَـــوقَ وَجْنَتَيْنِ
٣ قـــد حَفَّهـــا اليـــاسَمينُ تُحْمى مِنْ عِطْفِ صُـــدْغٍ بِعَقْرَبَيْنِ
٤ لَـــوُدُّكُم في صَميم قَلْبِي مـــاغَيَّرَتْـــهُ صُروفُ بَيْنِ
٥ فَهَـلْ لِقـــاضِي الْهَـــوى مَضـــاءٌ يحكُمُ مـــابينَكُمْ وبَيْني ؟

[١١٤]

وقال في الوداع : **[من السّريع]**

١ أسْتَـــوْدِعُ اللهَ حَبيبـــاً نـــأى عَنِّي وإن ظَـلَّ الْحَشـــا مربَعَـــهْ
٢ أوْدَعَ قَلْبِي يَـــوْمَ وَدَّعْتُـــهُ مِنْ بُرَحـــاءِ الـوَجْـدِ مـــاأوْدَعَـــهْ
٣ يـــا رَبِّ في حِفْظِـــكَ تَرْحـــالُـــه مـــاإنْ يُضَيِّـعُ اللهُ مُسْتَـوْدَعَـــهْ

[١١٥]

وقال في المعنى(☆) : **[من الخفيف]**

١ هَـلْ جُسـومٌ يـومَ النَّـوى ودَّعـوهـا بـــاقِيـــاتٌ لِسُـوءِ مـــاأوْدَعُـوهـــا
٢ يـا حُـداةَ القُلـوب مـاالعَـدْلُ هـذا أتْبِعُـوهـا أجْسـادَهـا أوْ دَعُـوهـا

[١٢٥]

الشروح :

(☆) البيتان في نفح الطيب ٤٤١/٣

(٢) في النفح :

يـا حُـداةَ القلوبِ مـاالعَـدْلُ هـذا أتْبِعُـوهـا أجسـامَهـا أو دَعُـوهـا

[١١٦]

وقال في وداع راكبِ بحرٍ : **[من البسيط]**

١ يــا راكبَ الفُلــكِ والأفـلاكُ تَهـواهُ ... ومــا هَــدا الْجَفْنُ والأجفــانُ مَثْــواهُ

٢ هـا مُهْجَتِي فَهيَ فُلْكٌ رِيْحُـهُ نَفَسِي ... وبَحْرُهُ فَيْضُ دَمْعِي فَلْتَمطَّــــــاهُ

٣ هَيْهاتَ سِرْ تحتَ لَحْظِ الحِفْظِ في دَعَـةٍ ... كان الأمينَ عليــكَ الحــافِــظَ اللهُ

٤ نشَــدْتُــكَ اللهَ إمَّــا رُدْتَ مُرْتَبَعــاً ... بِسَبْتَــــةٍ يَسْتَمِيــــلُ النَّفْسَ مَرْآهُ

٥ لاتَنْسَ عَهْــدَ مُحِبٍّ أنتَ راحَتُــــهُ ... ورُوحُــــهُ وأقــاصِي مــاتَمَنَّــاهُ

[١١٦]

الشروح :

(٢) تمطّى النّهار وغيرُه : امتدّ وطال . وامتطى الدّابةَ وأمطاها : جعلَها مطيّةً . وقول الشـاعر : « فَلْتَمَطَّاهُ » ، يريد : فَلْتَمْتَطِه ، وألجأه الشِّعْرُ إلى ذلك .

(٤) سَبْتَة : مدينة ساحليّة مِن مُدن المغرب على بَحْرِ الزُّقاق الفاصل بين المغرب والأنـدلس (على مضيق جبل طارق) ، يحيط بها البحر من جهاتها الثّلاث ، عَدا الغَرب ؛ وهي مدينة قديمة ذات أهمّيّة متعدّدة الجوانب في القديم والحديث ، وقـد تـأثّرت بمجريـات تـاريخ البلـدين ، وخصوصاً في التّاريخ الإسلاميّ (راجع ياقوت ١٨٢/٣ ، والاستبصار : ١٣٧) .

[١١٧]

وقال في هُجوم البعاد في زَمن الإسعاد : **[من مخلّع البسيط]**

١ كنتُ أظُنُّ البعـــــــادَ يُسْلِي ... والْحَـــقُّ أنَّ البعــــادَ يُصْلِي

٢ مــــاخَلَـــقَ اللهُ شَرَّ خَطْبٍ ... مِنْ فُرقَـــةٍ في زَمـــانِ وَصْــلِ

[١١٧]

شرح :

(١) صَلِيَ النّار ، وبالنّار ، صلياً : قاسى حَرَّها .

ـ وفي البيت جناس ناقص .

[١١٨]

وقال في قُربِ الدّارِ ونيلِ الأوطار : [من البسيط]

١ يــا قــادِمينَ ولــو أُعْطِيْ البَشيرَ بهمْ بَقِيَّـــةَ العُمرِ مـــا أنْصَفْتُ في الثَّمنِ
٢ قَـدْ كُنتُ أُعتِبُ دَهْري لَـو فَرغتُ لـهُ مِنْ شـاغِلِ البَيْنِ أو مِنْ لاعِـجِ الشَّجَنِ
٣ أمـــا وقَـــدْ قَرَّبَ الرَّحْمنُ دارَكُمُ كَما أُحِبُّ فـــلا عَتْبٌ على الـــزَّمنِ

[١١٩]

وقال مُراسِلاً وكتب بها مَقطوعة أحرفها في الكاغِدِ(☆) : [من المتقارب]

١ إليـــكَ صحيفـــةَ شكْـوَى مُحِبٍّ شَـجٍ في جَحيمِ الْهَـوى قَـــدْ هَـوى
٢ ومـــا عَبثـــاً خَطَّهـــا بـــالْهَـواءِ ولكِنْ لِيُنبي بِفَرْطِ الْهَـــــوى !

[١١٩]

الشروح :

(☆) الكاغد : القرطاس ، مُعَرَّب .

(١) الشَّجو : الْهَمّ والْحَزَن ؛ ورَجُلٌ شَجٍ : أي حزين .

[١٢٠]

وقال في المعنى : [من الوافر]

١ أجِـلْ عَيْنَيْـــكَ في وَشْيٍ تُعـــايِنْ كِتـــابـــاً والْهَـواءُ لَـــهُ مِـــدادُ
٢ حَكانيْ كاتِبي في حـــالَتَيْـــهِ لَنـــا جِسْمٌ وليسَ لنـــا فُـؤادُ !

[١٢١]

وقال في المعنى : [من المتقارب]

١ كَتَبْتُ وشَـــوْقِيَ يُملِي أسىً سَريرةَ حُبٍّ وَشـــاهـــا الْجَلَمْ
٢ ولـو رُمْتُ خَطّـــاً لَهـــا بِسِـواهُ تَلهَّبَ بينَ يَـــدَيَّ القَلَمْ !

[١٢١]

شرح :

(١) الْجَلَم : المقصّ .

[١٢٢]

وقال في المعنى : [من مخلّع البسيط]

١ يـــا مَنْ أغـــارُ عَلى هَـــواهُ مِنْـــهُ ومنّي ومِنْ سِـــوائي
٢ حَتّى إذا مـــــــاأردْتُ سِرّاً خَطَطْتُ في صَفْحَـــةِ الْهَـــواءِ !

[١٢٣]

وقال في المعنى : [من مخلّع البسيط]

١ أُهَيْـــلَ وُدِّي نِـــداءَ صَبٍّ أنْحَلَـــهُ الْحُبُّ بَـــلْ أذابَـــهْ
٢ أرادَ يَشْكُـــو لَكُمْ هَـــواهُ فـــالتَهبتْ أحرُفُ الكِتـــابَـــهْ !

[١٢٤]

وقال مجيباً عن بيتين(☆) لأحد المشارقة وهما(☆☆) : [من مخلّع البسيط]

١ يـــا سَـــاكِنـــاً قَلْبيَ الْمُعَنَّى ولَيْسَ فيـــهِ سِـــواكَ ثـــانِ
٢ لأيِّ شَيْءٍ كَسَرْتَ قَلْبي ومـــا التَقى فِيـــهِ ســـاكِنـــانِ ؟ !

[١٢٤]

الشروح :

(☆) في هامش الأصل ، الحاشية التالية ، بخطّ مغاير : « ورأيتُ بخطّ بعض شيوخ شيوخنا جواباً عن البيتين لبعضهم ، وهو :

نَحَلْتَنِي طـــائعـــاً هَـــواكا فَصـــارَ إذْ حُـــزْتَـــه مكاني
لا غَرْوَ إذ كانَ لي مُضـــافـــاً أنـــا على الكسر فيـــه جـــاني»

(☆☆) البيتان للشّابّ الظّريف في ديوانه : ٢٢٩ ، بتحقيق : شاكر هادي شكر .

والجوابُ عنهما :

١ يــا مَنْ عَرا قَلْبَــهُ انكِســارٌ ومــا سِــواهُ عَلَيْـــهِ جَــانِ
٢ لاتُنكِرَنْ كَسْرَةً فَفيـــــــهِ حُبّيْ وشَــوْقِيَ سَـــاكِنَـــانِ !

[١٢٥]

غيره ؛ أيضاً له : **[من مخلّع البسيط]**

١ أمــا تَرَى الصُّــدْغَ خَـــطَّ واواً في صَفْــحِ خَـــدَّيَّ للعَيَـــانِ
٢ فـــإِنْ يَنَــلْ قَلْبَـــكَ انْكِســارٌ فـــالــواوُ مِنْ أحْرُفِ المعـــاني !

[١٢٦]

وقال ، وقد أهداه أحدُ الإخوان طُروساً على ألوان : **[من البسيط]**

١ يا جاريـاً مِنْ سَبيلِ الْمَجْدِ في طَلَقٍ مُقيِّـــداً مِنْ عُــلاهُ كُــلَّ إطْــلاقِ
٢ أتَتْ هَــدايــاكَ في أَلــوانِهــا طُرَفــاً كالرَّوضِ في ثَــوْبِ أزهـــارٍ وأوراقِ
٣ هــذِي طُروسٌ أمِ الطّــاووسُ أمْ قُـزَحٌ أمِ الْحَـدائــقُ تُجْلَى نَصْبَ أحْــداقِ
٤ كأنَّ مـــا احْمَرَّ مِنْهـــا بَيْنَ أخْضَرِهِ خِـلالَ أصْفَرِهِ طــاقــاً عَلى طــاقِ
٥ مُعَــذِّراتُ خُــدُودٍ أُشْرِبَتْ خَجَـلاً لَمّــا أُضِيفَتْ إلى وَجنــاتِ عُشّــاقِ

[١٢٧]

وقال مُهنّئاً ببناء مَنْزل : **[من الخفيف]**

١ كُنْ لِـــدارٍ شَيَّــدْتَهــا خَيْرَ نــازِلْ في هَنــاءٍ وســامِيــاتِ مَنــازِلْ
٢ أنْتَ بَـــدْرٌ بَيْنَ الأنـــامِ مُنيرٌ وهيَ سَعْــدُ السُّعــودِ بَيْنَ الْمَنــازِلْ

[١٢٧]

شرح :

(٢) في الثالث من كانون الثاني تحلّ الشّمس بسعد السّعود ؛ والشّاعر يستفيد معنى (السّعادة ، والسعد) مِن مناسبة العبارة .

[١٢٨]

وقال في ثقيل : [من السريع]

١ لا عَيْشَ للنَّفس بمُسْتَثْقَلٍ ... مَهْما بَدا كَدَّرَ أفْراحَها

٢ كأنَّما أنْشأهُ اللهُ أن ... يَسْجُنَ في الأجْسادِ أرْواحَها

[١٢٨]

شرح :

(٢) في القاموس : « أنشأ يحكي : جعل ، وأنشأ داراً : بدأ بناءَها ، وأنشأ الله تعالى السّحابَ : رفَعه ، وأنشأ الحديث : وضعه » . واستعملها الشاعر بمعنى (وهبه) أو (قدَّر له) أو ما يُماثِل ذلك ، ممّا لم أقف عليه في المعاجم . ويصحّ التقدّير أن يكون : « أنشأهُ اللهُ لأنْ .. » .

[١٢٩]

وقال في حَمّام : [من الكامل]

١ للهِ حَمَّامٌ حَكَتْنِيْ حالُهُ ... ماءٌ يَصُوبُ وحَرُّ نارٍ تُضْرَمُ

٢ فكأنّما نيرانُهُ ومياهُهُ ... والجِسْمُ بينَهُما يَلَذُّ ويَنْعَمُ

٣ قَلْبٌ تَقَلَّبَ بَيْنَ لذّاتِ الْهَوى ... وحَشاهُ يَصْلى والْمَدامِعُ تَسْجُمُ

[١٣٠]

وقال مُلغِزاً : [من البسيط]

١ يـا فـائقـاً في عُلـومِ الكَمِّ أجْمَعِهـا مِنْ مُـوسِقَى وارْتَماطيقي وأشكالِ
٢ قـلْ أيُّ شيءٍ يُسـاوي النصفُ منْـهُ لِثُلْثِ العُشْرِ منْ ثُمْنِـهِ منْ غَيْرِ إشكالِ
٣ وهـو إذا زِيـدَ ثـانيـهِ وخـامِسُـهُ لِعَـدٍّ أوَّل شَطْرَيْـهِ بـإجمـالِ
٤ أضْحى دَليـلاً على شَكْـلٍ مَقـاطِعُـهُ ضَرْبٌ من الْمُوسِقى مُسْتَظْرَفُ الحالِ
٥ حَـدّاهُ من جِهَتَيْـهِ نِصْفُ دائِرةٍ وخَـطٌّ اكْتَنَفـاهُ دُونَ إهمـالِ ؟

[١٣١]

وقال أيضاً : [من المتقارب]

١ ومُستَـوجِبِ الرَّعْيِ عِنْـدَ الكِرامِ فَمَنْ غَضَّ مِنْـهُ بعليـاهُ غَضّ
٢ يَكـونُ عَنِ المـاءِ والتُّربِ أيْضـاً ولَيْسَ بِجِسْمٍ فَيَحْـوي عَرَضْ
٣ ومـا إنْ يُحيـكُ بـهِ صـارِمٌ وإن هَبَّ ريـحٌ عليـهِ انْتَفَضْ
٤ وكَيْفَ قَرأْتَ حُرُوفَ اسْمِـهِ من الجِهَتَيْنِ هَـدَتْـكَ الغَرَضْ

[١٣١]

شرح :

(٣) يُقال : ضَرَبته بالسيف فما أحاكَ ؛ أي : فما أثَّر به .

[١٣٢]

وقالَ أيضاً ، وتُنشدُ أيضاً بقافيتين : [من المتقارب]

١ وقـائمـةٍ في صُفـوفِ الرِّجـالِ تُـديرُ الكُؤوسَ ولا تَشربُ تَسْكَرُ
٢ لَهـا أرجُـلٌ قَـدْ رَسَتْ في الثَّرى وفَـوْقَ الثُّريّـا لَهـا مَرْقَبُ مَظْهَرُ
٣ وتُغْشَى عَلى أعيُنِ النَّـاسِ طُرّاً وتَحْمِلُ كَرْهاً ولا مَعْتَبُ ! مُنكِرُ

القسم الرابع

في الوصايا والحكم

[١٣٣]

قال في الحضّ على التّقوى والطّاعة(*) : [من الوافر]

١ مِـلاكُ الأمرِ تَقْـوَى اللهِ فـاجعَـلْ تُقـاهُ عُـدَّةً لِصَـلاحِ أمْرِكْ
٢ وبـادِرْ نَحْـوَ طـاعَتِـهِ بعَـزْمٍ فَما تَـدري مَتى يُمْضَى بعُمْرِكْ

الشروح :

(*) في هامش الأصل : « بلغت القراءة والسّماع » .

(٢) البيتـان في نفح الطيب : ٣٤٧/٤ و ٣٧/٦ ، ونيل الابتهاج بتطريز الدّيباج ، لأحمد بـابـا التنبكتي : ٧٢ ، وفي الإحاطة : ١٢٣/١

[١٣٤]

وقال في الزُّهد : [من السريع]

١ أعرِضْ عنِ العـالَمِ مُسْتَرضِيـاً مَنْ لَيْسَ تَخْفَى عنـهُ مِنْ خـافِيَـهْ
٢ مَنْ لم يكُنْ رِضى الـوَرى قَصْـدَهُ خَيَّم في بُحبـوحَـةِ العـافِيَـهْ

[١٣٥]

وقال في التسليم والرِّضى : [من المتقارب]

١ إذا كنْتَ تَعْلَمُ أنَّ الأُمـور بِحُكْمِ الإلـهِ كَما قَـدْ قَضى
٢ فَفِيمَ التفكُّرُ والْحُكْمُ مـاضٍ ولا رَدَّ لِلْحُكْمِ مَهْما مَضى
٣ فَخَـلِّ الـوَجـودَ كَما شـاءَهُ مُـدَبِّرهُ وابْـغِ منْـهُ الرِّضى

[١٣٦]

وقال في التفويض عند النوائب(*) : [من الوافر]

١ إذا مـا الـدَّهْرُ نـابَـكَ مِنْـهُ خَطْبٌ وشَـدَّ عَليـكَ من حنَـقٍ عِقـالَـهْ
٢ فَكِـلْ للهِ أمْرَكَ لا تُفكِّرْ فِفِكْرُكَ فيـهِ خَبْـطٌ في حِبـالَـهْ

الشروح :

(☆) البيتان في نفح الطّيب : ٣٤٦/٤

(٢) الحِبَالة : الّتي يُصَاد بها ؛ تقول : نَصَبَ حِبالَتَهُ وحَبَائِلَه .

[١٣٧]

وقال في ذمّ الحرص والحضّ على التفويض : [من السريع]

١ يـــا غـــادِيـــاً في حِرْصِـــهِ رائِحـــاً ... لِرَفْضِـــكَ الحِرْصَ هـــو الخيرُ لَـــكْ

٢ لم تَـــدْرِ أنَّ الله سُبحـــانَـــهُ ... هـــو الّـــذي بِفضلِـــهِ استَقْبَلـــكْ

٣ يَراكَ مُضطَرّاً بـــلا قُـــوَّةٍ ... فَمنَّ بـــالقُـــوَّةِ واختـــارَ لَـــكْ

٤ فَفـــوِّضِ الأمْرَ لِتَـــدْبيرِهِ ... مُرتَضِيـــاً مِنـــهُ بِمـــا حُـــقَّ لَـــكْ

٥ وكُنْ كما كُنْتَ لَـــهُ أوّلاً ... يَكُنْ لَـــكَ الآنَ كما كانَ لَـــكْ

[١٣٨]

وقال في التواضع : [من البسيط]

١ دِنْ بـالتَّـواضُعِ والإخبـاتِ مُحتَسِبـاً ... تَفُـقْ عـلاءً عَلى أهـلِ السِّيـاداتِ

٢ فـالتُّربُ لَمّـا غَـدا للرَّجلِ مُتَّطئـاً ... تَمسَّـحَ النَّـاسُ مِنـهُ في العِبـاداتِ

الشروح :

(١) أخْبَتَ : خَشَعَ وتواضعَ .

(٢) يُشير إلى التَّيَمُّم .

[١٣٩]

وقال في المداراة(☆) : [من الوافر]

١ عَـــدوّك دارِهِ مـــا اسطَعْتَ حَتّى ... يعـودَ لَـديـــكَ كالخِـلِّ الشَّفيـقِ

٢ فمـــا في الأرضِ أرْدى من عَـــدُوٍّ ... ولا في الأرضِ أجْـدى من صَـديـقِ

الشروح :

(☆) البيتان في نفح الطيب : ٣٤٧/٤

[١٤٠]

وقال في التحذير من عاقبة الهوى : **[من الطويل]**

١ إذا ما دَعَتْكَ النَّفْسُ يوماً لِريبَةٍ فحاذِرْ عِقابَ اللهِ فَهوَ شديدُهُ

٢ فصَبْرُ الفَتى عَمَّا يُريدُ أخَفُّ مِنْ تَصَبُّرِهِ كرهاً لِما لا يُريدُهُ

[١٤١]

وقال في المعنى : **[من المتقارب]**

١ إذا ما دَعَتْكَ دَواعي الهَوى لِما عَنْهُ سُبحانَهُ قَد نَهى

٢ فأيْقِنْ بأنَّ الرَّدى فاجِئٌ (وأنَّ إلى ربِّكَ الْمُنْتَهى)

الشروح :

(٢) في البيت اقتباس من الآية الكريمة ﴿ وأنَّ إلى رَبِّكَ المنتهى ﴾ الآية (٤٢) من سورة النجم (٥٣) .

[١٤٢]

وقال في الكشف عن أمر الهوى : **[من مجزوء الكامل]**

١ إنْ يَشْتَبِهْ رأْيانِ في شَيءٍ من الأشْيا عَلَيكْ

٢ وَضَلَلْتَ عن أوْلاهُما فاتْرُكْ أحبَّهما إليكْ !

[١٤٣]

قال في القناعة بالعقل عن الجدة(☆) : **[من البسيط]**

١ إذا حظيتَ بعقلٍ فاقْنَعَنَّ بِهِ فَذاكَ فَضْلٌ لَعَمري غَيْرُ مَقْدورِ

٢ شَيْئانِ قَدْ شَذَّ في الدُّنيا اجْتِماعُهما كمالُ عقْلٍ ورِزْقٌ غيرُ مَقْدورِ

الشروح :

(☆) وَجد المطلوبَ وَجداً وجِدَةً : أدركه ، ووَجد المالَ : استغنى .

(٢) قُدِرَ عليه رِزقُه : ضُيِّق عليه فيه .

[١٤٤]

وقال في ذمِّ الحرص : **[من البسيط]**

١ يـا مَنْ غَـدا يُنفـقُ العُمْرَ الثَّمِيْنَ بِـلا جَدْوَى سِوى جَمْعِ مـالٍ خِيفَـةَ العَـدَمِ

٢ اِرْجِـعْ لِنَفْسِـكَ وانظُرْ في تَخَلصِهـا فقَـدْ قَـذفتَ بهـا في لُجَّـةِ العَـدَمِ

الشروح :

(١) العُدم (بسكون الدّال وضمّها) : الفقدان والفقر ، ومثلها العَدَم .

(٢) هذان البيتان ينظران إلى معنى بيت أبي الطيب (ديوانه بشرح العكبري : ١٥/٢) :

ومَنْ يُنْفق السّاعات في جمع مـالِـهِ مَخَـافَـةَ فَقْرٍ فـالّـذي فَعَـلَ الفَقْرُ

[١٤٥]

وقال في عدم جدواه : **[من البسيط]**

١ عَـامِـلْ زمـانَـكَ إنَّ النَّقصَ شِيمَتُـهُ بِضِـدِّ مـا تَبْتَغِيـهِ منـهُ واقْتَنِـعِ

٢ أعْرِضْ عن الشَّيءِ إنْ تَهواهُ تَحْـظَ بـهِ واحْرِصْ عَليـهِ إذا تَـأْبـاهُ يمتَنِـعِ

٣ قَـد أقسم الـدَّهر أيْمانـاً مُغَلَّظَـةً أنْ لَيْسَ يُنجِحُ حِرْصاً فاسْعَ أو فَدَعِ !

الشروح :

(٢) معنى مقالة أبي بكر الصّدّيق : « احرِص على الموت تُوهَبْ لك الحياة » ، وراجع مجمع الأمثال للميداني : ٤٥٠/٢ ، وعيون الأخبار : ١٢٥/١ ، وإحكام صنعة الكلام : ٧٦

[١٤٦]

وقال في مدح البذل : **[من البسيط]**

١ إذا وَجَدْتَ فَجُـد للنَّـاسِ قـاطِبـةً فـالحـالُ تَفنى ويَبْقى الـذِّكْرُ أحـوالا

٢ لا سيَّما ورسُولُ اللهِ ضـــامِنُـــهُ أنْفِقْ ولا تَخْشَ من ذِي العَرْشِ إقْـلالا

الشروح :

(٢) احتجّ الجاحظ في (البخلاء : ١٦٣) بالحديث الشريف : « أنفِق يا بلال ولا تخشَ من ذي العَرْشِ إقلالا » .

[١٤٧]

وقال في المعنى : [من الخفيف]

١ أبْــذُلِ المــالَ لا تُبــالِ بِبَــذْلِــهْ قَبــلَ تَرحــالِــهِ ونــأْيِ مَحَلِّــهْ

٢ إنَّما المـــالُ عِنْـــدَكَ ابنُ سَبيـــلٍ وَقِرى ابنِ السَّبيــلِ تَجْهِيزُ رَحْلِـــهْ

[١٤٨]

وقال في الكشفِ عن حالِ الدُّنيا : [من السريع]

١ مــا أبقتِ الــدُّنيــا على نــاسِــكٍ كَـــــلاّ ولا تَمَّت لِمُسْتهتِرِ

٢ سُرورُهـــا يُشرِف عن حُــزْنِهـــا كأنَّهـــا ضِحكَـــةُ مُستَعْبِرِ !

الشروح :

(١) المستهتر بالشيء : المولَع به لا يبالي بما فعل فيه ، وشتم له ؛ والَّذي كَثُرَت أباطيلُه .

(٢) استعبر : جَرَتْ عَبْرَتُه ، وحَزِن .

[١٤٩]

وقال في المعنى(*) : [من الطويل]

١ هــو الــدَّهرُ لا يُبقِي عَلى لائــذٍ بــهِ فَمَنْ شــاءَ عَيْشــاً يَصطَبِرْ لِنَـوائِبِــهْ

٢ فَمَنْ لم يُصَب في نَفسِــهِ فَمُصــابُــهُ بِفَـوْتِ أمــانِيــهِ وفَقْـدِ حَبــائِبِــهْ

[١٤٩]

الشروح :

(☆) البيتان في نفح الطيب : ٣٧/٦ ، والإحاطة : ١٢٣ ، والكتيبة الكامنة : ٢٤٤

[١٥٠]

وقال في التحذير من أبناء الزمان عند اضطرابه(☆) : **[من الكامل]**

١ إنْ أعرَضَتْ دُنيـاكَ عنـكَ بِـوَجهها وغَـدَتْ ومِنْهـا في رِضـاكَ نِـزاعُ

٢ فَـاحـذَرْ بَنِيْهـا واحترِزْ من شَرِّهم إنَّ البَنِيْنَ لأُمِّهِمْ أتْبَـاعُ

[١٥٠]

الشروح :

(☆) البيتان في نفح الطيب : ٣٤٧/٤

[١٥١]

وقال محذِّراً من التبذُّل : **[من مجزوء الرّمل]**

١ كُنْ كَمِثْـلِ البـازِ حـالاً في انقِبـاضٍ وسُلـوكِ

٢ مُسْتَجِنّـاً فِي الفَـلاةِ أو عَلى أيْـدِي المُلـوكِ

[١٥١]

الشروح :

(١) الباز والبازي : ضرب من الصّقور .

(٢) استجنّ عنه استجناناً : استتر .

[١٥٢]

وقال محرِّضاً على خِدْمَةِ السلطان : **[من مجزوء الكامل]**

١ إن شِئْتَ عِـزّاً فـاغْشَ أبـوابَ المُلـوكِ ولا تَبَـلْ

٢ فـــالـــذّلُّ من قِبَــل الْمُلــو ك أجَـــلُّ من عِـــزِّ الْخَـــوَلْ

[١٥٢]

الشروح :

(٢) الْخَوَلُ : مثل الْخَدَم والْحَشَم وَزْناً ومعنى .

[١٥٣]

وقال في التحذير منها حالَ الاضطراب : **[من البسيط]**

١ خف السَّلاطينَ واحــذَرْ أن تُـلابِسَهُم مـا دامَ أمْرُهُم فِي الْمُلْـكِ مُضْطَرِبـا
٢ إنَّ الْمُلـوكَ بِحـــارٌ في خَــلائِقِهِم ومَنْ سَما البحرَ، في أهـوالِـهِ، عَطِبـا

[١٥٤]

وقال مُغرِياً بالصّمت(☆) : **[من السريع]**

١ لِســانَــك اسْجُنْ ولْتُطِـلْ حَبْسَــهُ إن شِئْتَ إكرامــاً وتَصْـوِينـــا
٢ لَـــوْ لم يَكُنْ لِلسِّجنِ أهْـــلاً لَمَا غَـــدا بِقَعْرِ الفَمِ مَسْجُـونـــا

[١٥٤]

الشروح :

(☆) في كتاب أبي عبيد البكريّ (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال) : ١٨ : « قال أبو عبيد ـ القاسم بن سلاّم ـ: وجـدْنا من الأمثال في حفظ اللّسان والحضّ عليه قول عبد الله بن مسعود : والّذي لاإله غَيْرُه ! ماعلى الأرض شيء أحقّ بطول سجن مِنْ لسان » .

[١٥٥]

وقال في المعنى(☆) : **[من المتقارب]**

١ لِســانُــك كالسَّيفِ في شَكْلِــهِ وأعْـدى مِنَ السَّيفِ في سَطْـوتِــهْ
٢ فـأغمِـدْ ظُبــاهُ فَقَــد يُتَّقى عَلى حـامِـلِ السَّيفِ من شفرَتِــهْ

[١٥٥]

الشروح :

(☆) في الأمثال العربية : « مَقْتَلُ الرَّجُل بين فَكَّيْه » مجمع الأمثال : ٦٥/٢ ، وفصل المقال : ٢٠ . ومن قول بعض العرب لرجل يعظه : « إيّاكَ أن يضربَ لسانُك عنقَك ! » ، وقال ابن المعتزّ في معنى المثل :

يا ربّ ألسنة كالسيوفِ تَقْطَعُ أعناقَ أصحابِها
وكَمْ دُهِيَ المرءُ مِن نفسِه فلا تُوكَلَنَّ بأنيابِهَا

وقال الآخر :

جراحات السّنان لها التئامٌ ولا يلتامُ ما جرح اللّسانُ !

(٢) وقوله : فقد يتّقى : أي يُخشى عليه .

[١٥٦]

وقال مُحرّضاً على كتمان السرّ : **[من الوافر]**

عَليكَ الكَتْمَ واحذَرْ قَوْلَ سِرٍّ لِمَنْ قَدْ ظَلَّ سِرًّ(☆) سِواكَ يَحْكي
فَمَنْ أهداكَ سِرَّ الغَيْرِ يَوماً أفادَ الغَيْرَ سِرَّكَ دونَ شَكِّ

[١٥٧]

وقالَ في تَعذُّرِ الأصدقاء : **[من البسيط]**

إن تُعْتِبَ الخِلَّ في ذَنبٍ جَزاكَ قِلًى أو تُعْفِهِ يَبْقَ طُوْلَ الدهرِ يؤذِيكا
فإنْ تُطِقْ تَجمع الضِّدَّيْنِ في نَسَقٍ فَرُبَّما قَد تَرى خِلاً يُواتِيكا

[١٥٨]

وقال في نِكايةِ الحاسِد بالمحامد : **[من البسيط]**

١ قاتِلْ عِداكَ وضارِبْهُمْ بِمَكْرُمَةٍ (تَسمُو) لَها لا بِبِيْضِ الهِنْدِ والأَسَلِ[١]
٢ فَلِلفَضائِلِ طَعْنٌ في صُدورِهِمُ مِن دُونِ مَوْقِعِهِ طعنُ القَنا الذُّبُلِ[٢]

[١٥٨]

الشروح :

(١) بيض الهند : السيوف المصقولة (نسبة إلى الهند) ؛ والأسَلُ : الرّماح .

(٢) القَنا الذُّبل جمع ذابل : ممّا توصف به ، أي دقيق لاصِقُ الليط (القشر) .

[١٥٩]

وقال في المعنى : [من الخفيف]

١ إنْ تَـذُمَّ الْحَسُودَ ذَمَّـكَ جَهْراً … أو تَنَـلْ منـهُ نـالَ مِنْـكَ وَغيّـا

٢ فـإذا مـا سَمَـوْتَـهُ بِكَمالٍ … نِلْتَ منـهُ ولَمْ ينَـلْ مِنـكَ شَيّـا

[١٥٩]

الشروح :

(١) كلمة (غيّا) غير واضحة في الأصلين . ولم تتوجه على نحو فصيح .

(٢) كذا عدى فعل (سَما) بالباء (كأنه ضمن فعل سما معنى : عَلا) .

[١٦٠]

وقالَ في حالاتِ الإنسان مع الإحسان(☆) : [من المجتث]

١ أنْعِمْ عَلى مَنْ تَشـاءُ … فـأنْتَ حَتْماً أميرُهْ

٢ واحْتَـجْ لِمَنْ شِئْتَ يَـومـاً … فـمـا سِـواكَ أسيرُهْ

٣ واسْتَغْنِ بـاللهِ عَمَّنْ … تَشـاءُ أنتَ نَظيرُهْ

٤ فـالمرءُ عَبْـدُ هَـواهُ … يَضيرُهُ أو يُجيرُهْ

[١٦٠]

الشروح :

(☆) مقصد القطعة وفحواها من كلمة للإمام علي رضي الله عنه ، وهي :

« تفضَّلْ على مَنْ شئت فأنت أميرُه ؛ واستغن عمّن شئت فأنت نظيره ؛ واحتج إلى من شئت

فأنت أسيره » ينظر كتاب إحكام صنعة الكلام لمحمد بن عبد الغفور الكلاعي : ١٨٣ ؛ وإحالاته .

[١٦١]

وقال في أسنى أحواله وأدناها : **[من الطويل]**

١ ألا خَيْرُ ما لِلْمَرءِ عَقْلٌ يَزِيْنُهُ فإنْ لم يَكُنْ عَقْلٌ فَجاهٌ ينفقُهُ
٢ وإلاَّ فمالٌ ساتِرٌ مِنْ عُوارِهِ وما خيرُ سِتْرٍ قَدْ يُخافُ تَمَزُّقُهْ
٣ فإنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذي الثَّلاثَةِ واحِدٌ فأَوْلى لَهُ نارٌ مِنَ اللهِ تُحرِقُهْ !!

[١٦٢]

وقال في الإغضاء عن السُّفهاء : **[من الكامل]**

١ غَمِّضْ عن العَوراءِ تَأْمَنْ عارَها وٱجْزِ اللَّئِيمَ جَزاءَ ذي كَرَمِ
٢ وَاحذَرْ لِقاحَ قَبيحةٍ بِمِثالِها إنَّ الكُلُومَ نَتائِجُ الكَلِمِ

[١٦٢]

الشروح :

(١) العوراء ، الكلمة أو الفعلة القبيحة .

(٢) الكلوم جمع الكَلْم : الجرح . وأما الكَلِم بكسر اللام فجمع الكلمة .

[١٦٣]

وقال مُحرِّضاً على استجادة الملبس : **[من الطويل]**

١ تَحَرَّ مِنَ الأثوابِ أرْفَعِها تَنَلْ أعزَّ مَحلٍّ ترتقي لالتماسِهِ
٢ ولا تَبْغِ في أمرِ اللِّباسِ تَواضُعاً فَعُنوانُ نُبْلِ الْمَرءِ حُسْنُ لِباسِهِ !

[١٦٤]

وقال في ضِدّ ذلك المعنى : [من الكامل]

١ أحْرَى ثيــــابِــــكَ أنْ تُجَمِّلَـــــهُ ثَـــوْبُ التُّقى فَلبـــــاسُـــــهُ شَرَفُ

٢ ثُمَّ اكْسُ جِسْمَــــكَ ثَـوْبَ مُقْتَصِـــدٍ فـــالـــدُّرُّ لَيْسَ يُشِيْنُــهُ الصَّــــدَفُ

[١٦٥]

وقال أيضاً : [من البسيط]

١ دَعِ التَّـأنُّـقَ في لُبْسِ الثِّيـــابِ وكُنْ للهِ لابسَ ثَـوْبِ الْخَـوْفِ والنَّـــــدَمِ

٢ لَـو كانَ لِلْمَرءِ في أثْـــوابِــــهِ شَرَفٌ مـــا كانَ يَخْلَـعُ أسْنــاهُنَّ فِي الْحَرَمِ

[١٦٦]

وقال يُغري بالسفر : [من السريع]

١ جُـــلْ في بِـلادِ اللهِ تَحْـــوِ العُـــلا ولْتَجْتَنِبْ أهـــلاً وأوْطـــــانـــــا

٢ فَبَيْـــــدَقُ الشّطْرَنْـــجِ مِنْ فَـــوْرِهِ يَعُـــودُ بِـــــالتَّجـوالِ فِرْزانـــــا

[١٦٦]

الشروح :

(٢) الفِرزان في لعبة الشطرنج : الملك ؛ والبيدقُ : الرجّالة في الحرب (المشاة) ، ومنـه : بيـدق الشطرنج . وتَفَرْزَنَ البيدق صار فِرزاناً .

[١٦٧]

وقال في المعنى : [من المنسرح]

١ ســافِرْ تَنَــلْ بــالأسفــارِ كُــلَّ عُــلا وتَشْتَفِ النَّفسُ مِنْ مـــــآرِبِهـــــا

٢ لَـوْ لَمْ تَكُنْ في الأسفـــارِ فـــائِـــدَةٌ إلاّ امْتِثـــالَ « امْشُـوا في مَنـاكِبِهـا »

[١٦٧]

الشروح :

(٢) اقتبس من الآية الكريمة ﴿ فامْشُوا في مَناكِبِهَا ﴾ الْمُلك : ١٥/٦٧ .
يقول : لو لم يكن في الأسفار فائدة إلا امتثال الآية الكريمة لكان ذلك كافياً للدلالة على فائدة السفر . (حذف جواب لو لأنه مفهوم من السّياق) .

[١٦٨]

وقال في ضد ذلك المعنى : [من الكامل]

١ اِلْزَمْ مَكانَكَ فالتَّغَرُّبُ ذِلَّةٌ لَو لَمْ تَنَلْ غَيْرَ القَرارِ نَجاحا
٢ فإذا أرادَ الله مَهْلِكَ نَمْلَةٍ هَيّا لَها كَيْما تَطِيْرَ جَناحا !

[١٦٨]

الشروح :

(٢) هَيّا مسهّلة من هَيّأ .

[١٦٩]

وقال أيضاً : [من البسيط]

١ مَثْواكَ عِزُّكَ فاحذَرْ أنْ تُفارِقَهُ فَعِزَّةٌ واغْتِرابٌ قَلَّما اتَّفَقا
٢ أما تَرى الشعر فَوْقَ الرَّأْسِ مُحْتَرَماً فإنْ يَزُلْ عَنْهُ أضْحى في التُّرابِ لَقى

[١٦٩]

الشروح :

(٢) اللقى الشيء الْمُلْقى لهوانه . والجمع ألقاء .

[١٧٠]

وقال في ذمّ العشق : [من المجتثّ]

١ العِشْــــقُ هِمَّــــــةُ نَفْسٍ عَنِ الرَّشــــادِ خَلِيَــــةْ
٢ يُعْمي البَصِيْرَ ويُــــدْني مِنَ الأُمــورِ الــدَّنِيَّــةْ
٣ لم تَشْتَغِــلْ بــالتَّصــابِي إلاّ النُّفــوسُ الشَّقيَّــةْ !

[١٧١]

وقال في نحو ذلك المعنى : [من الطويل]

١ وعــاذِلَــةٍ فِي تَرْكِي العِشْقَ والصِّبا وقَــدْ عَلِمَتْ أنَّ الـوفــاءَ قَلِيْـلُ
٢ إلَيْــكِ فَما فِي حُبِّهم مِنْ حُشـاشَتي إذا مـا تقـاضـاهـا الغَرامَ بَـديْـلُ
٣ لَقــــد أنفَتْ نَفْسِي لِحُبِّيَ غِرَّةً وغَــدْراً وقَلبِيْ في يَــدَيْــهِ دَلِيْـلُ

[١٧٢]

وقال مُغرِياً باليأسِ عند تعذُّر الالتماس : [من الطويل]

١ إذا مــا أجَلْتَ الفِكْرَ في مَطلب فَلَمْ تجِـدْ حِيْلَـةً فِيْـهِ فَـذَرْهُ بحـالِـهِ
٢ فَلِلْيــأْسِ عن إدراكِ مــا عَــزَّ نَيْلُــهُ عَلى القلبِ بَرْدٌ مثـلُ بَرْدِ مَنـالِـهِ !

الشروح :

البيتان من معنى قول العرب : اليأس إحدى الراحتين .

[١٧٣]

وقال واعظاً نفسه : [من البسيط]

١ يا غائباً عن حضارِ القُدْسِ(١) قَد حُجِبَتْ مِنْــهُ عَنِ الْحَــقِّ أبصــارٌ وآذانُ
٢ وعــابِــداً مِنْ هَــواهُ دَهْرَهُ وَثَنــاً ارْجِــعْ لِنَفْسِــكَ فــالأهــواءُ أوثــانُ
٣ إيّــايَ أعْني فيــا وَيْحي ويــا أسفي إنْ لَمْ يَكُنْ مِنْــهُ لي عَفْــوٌ وغُفرانُ

[١٧٣]

الشروح :

(١) القُدس : الطُّهر ، وتقول : حضرَ حضوراً أو حضارة (ضدّ غاب) ولم أر (حِضار) بهذا المعنى ؛ وقد ضبطها المؤلف الشاعر بكسر الحاء .

[١٧٤]

وقال ضارِعاً(☆) : **[من الخفيف]**

١ يـا مُجيبَ الْمُضْطَرِّ عِنْـدَ الـدُّعـاءِ   مِنْـكَ دائِي وفي يَـدَيْـكَ دوائي

٢ جَـذَبَتْنِي الـدُّنيـا إلَيْهـا بِضَبْعي   ودَعَتْني لِمِحْنَتِي وشَقـائي

٣ يـا إلهي وأنْتَ تَعْلَمُ حـالي   لا تَـذَرْني شماتَـةَ الأعـداءِ

[١٧٤]

الشروح :

(☆) القطعة في نفح الطيب : ٣٤٨/٤

(٢) في القاموس : الضبع العضد كلّها ، وأوسطها بلحمها ، أو الإبط ، أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه . وفي الأساس : أخذت بضبعيه إذا نعشته ونوّهت باسمه .

القسم الخامس

نبذة من التوشيح

وهي خاتمة الأقسام

[١]

يـــا مِصْبــاحْ   قَـــدْ أخْجَـلَ الإصْبـــاحْ
هَـلْ تَلتـــاحْ   يـــا بَـــدْرُ أو تَرْتـــاحْ   لِـــــذي وُدٍّ ؟
مَـرْآكـــــا   البَـــدْرُ بـــالسَّعْـــدِ
لَـــماكـــا   الْخَمْرُ بـــالشَّهْـــدِ
رَيَّـــــاكا   القَطْرُ بـــالنَّـــدِّ
لا تُفَّـــــاحْ   كَرِيْقِـــــكَ النَّفَّـــــاحْ
الفَـــــوَّاحْ   يُرَوِّحُ   الأرواحْ   مِنَ الــوَجْـــدِ
بـــالعَـــذْلِ   يـــا صـــاحِ لاتَعْـــدُ
هَـــلْ مِثْلي   يُنَهْنِـــهُ الــوَجْـــدُ
دَعْ عَـــذْلي   غَيِّي هُـــوَ الرُّشْـــدُ
مـــا لِـــلاّحْ   في قَمَرٍ قَـــدْ لاحْ
يـــا نُصَّـــاحْ   مـــاأعْجَمَ الإفْصـــاحْ   بِـــذا الرُّشْـــدِ
كَمْ أبْكِي   فَتَنْثَنِي بـــــاسِمْ
فَتَحْكِـــي   رَوْضَ الْحَيا السَّاجِمْ[1]
هَـــلْ تُشْكي   شَكْــوايَ يــا ظــالِمْ ؟
يَـــا صـــاحْ   هَـلْ مِنْـــكَ لي إلمـــاحْ
فـــالأفْراحْ   والرَّوح   لي   والرَّاحْ   بِما تُبْـــدِي
يـــا جَنَّـــهْ   قَـــدْ ذَلَّ جـــانِيْهـــا
وفِتْنَـــهْ   قَـــد ضَـلَّ رائيهـــا
بِـوَجْنَـــهْ   قَـــدْ جَـلَّ بـــارِيها
كَمْ أمْـــداحْ[2]   يَحُـــوكُهـــا الْمُـــدَّاحْ
في إيْضـــاحْ   جَمالِـــكَ الـــوَضّـــاحْ   ولا تُجْـــدِي

قَـــــدْ نِلْتُ سُـؤْلي ومَـــا أحــلاهْ
قَبَّلْـــــتُ في ثَغْرِ مَنْ أهـــــواهُ
فَقُلْـــــتُ إذْ فــاحَ لي رَيَّـــاهْ:
ذَالِّي فــــاحْ[3] رَاحْ هُـوَّتْ أوْ تُفَّـــاحْ[4]
جِي اغْمـــلِّ آحْ ومَـــا أطْيَبَـــكْ يـــا آحْ عَلى كبْـــدِي !

[١]

الشروح :

الموشح تام ، ذو رأس . يبتدئ بالمطلع ، وفيه ستة أقفال وخمسة أغصان ، وهو موشح غير شعري ، والخرجة عامية .

(١) سجم الدمع سجوماً وسجاماً ، وسجمت السحابة الماء سجماً وسجماناً : قطر دمعها وسال قليلاً أو كثيراً .

(٢) بمعنى مدائح ، وهي مما يستعمله الأندلسيون .

(٣) ذالي : هذا الذي .

(٤) هوت : هو ، هي .

[٢]

وقال أيضاً :

مـــــا أحْــلاكْ يـــــا قَمرَ الأحْـــــلاكْ
كَمْ أهـــــواكْ وفي الْحَشـــــا مَثْـــواكْ ولا تَـــــدْرِي
الْحُسْـــــنُ يَحــــارُ في خَـــدِّكْ
والغُصْـــــنُ يَغـــارُ مِنْ قَـــدِّكْ
والـــــذِّهْنُ وَقْفٌ عَلى وُدِّكْ
مَنْ حَـــــلاّكْ بـــالْحُسنِ مـــا أحـــلاكْ
لا أنْســـــاكْ يـــا فِتْنَـــةَ النُّسّـــاكْ إلى الْحَشْرِ

هَـلْ سُلْـوانْ   لِعـــاشِـــقِ هَيْمانْ
عَنْ عُـــدوانْ   ذا الفــاترِ الأجفـــانْ
يـــا فَتّـــانْ   أسْرفْتَ في الهِجْرانْ
قَـــــدْ جرّاكْ   ظُلْماً على مُغراكْ
مَنْ أفتـــــاكْ   بـــالصَّـــدِّ يـــا فَتّـــاكْ   وَبِـــــالْهَجْرِ
لا صــــارِمْ   كَلَحْظِــكَ النَّـــائمْ
يـــا ظَـــالِمْ   أمـــــا تُرى راحِمْ
لِهـــــائِمْ   أنْتَ بِـــهِ عــالِمْ ؟
مـــا أسْبــاكْ   للعَقْـل مـــا أصْبـــاكْ
هـــا عَيْنــاكْ   قَـــدْ أسْكَرَتْ مُضْنـــاكْ   بـــــلا خَمْرِ
مـــا عُـــذْرُ   مَنْ ضَـــلَّ عَن وُدِّهْ ؟
والبَـــــدْرُ   بـــادٍ عَلى خَـــدِّهْ
والضُّــــرُّ   والنَّفـعُ من جُنْـــدِهْ
إنْ رَدّاكْ   ثَـــــوبَ البِلى أرْداكْ
أوْ وَلاّكْ   طِيبَ الرِّضى أَوْلاكْ   جَنى البِشْرِ
رُحْماكـــا   يـــا فِتْنَـــةَ الْخَلْـقِ
لَـــولاكا   مـــا صِرْتُ في رِقِّ
بَلْـــواكا   عَمَّتْ وَلَمْ تُبْـــقِ
قُـــلّ مَنْ رَاكْ   وَلَيْسَ مِنْ أسْراكْ
مُرُهْ[1] أيّـــاكْ   يـــا نَـــاظِرْ أيّـــاكْ   أَنْ اشْ نَـدري ؟

[٢]

الشروح

الموشح تام ، غير شعري ، ويتألف من ستة أقفال تنحصر بينها خمسة أغصان . والخرجة عامية .

(١) مُر : بمعنى « اذهب » ، كما تقول في العامية [روح] في غير استياء أو استنكار .

[٣]

وقال أيضاً :

سَـلْ بـــذي الضَّـــالِ والسَّمُرْ[١] ظَبْيَـــةَ البـــانِ
هَـــلْ رأتْ مثـــلَ ذي الْمُقَـــلْ لِرَشـــا ثـــانِ
مَنْ لِظَبْيٍ بـــــأعيُنِ كُحِّلَتْ سِحْرا
لَـــوْ حَـــواهـــا لم يَنْثَنِ يـــألَفُ القفْرا
بَـــلْ غَـــدا في تَـــوَطُّنِ قَلْبِيَ الْمُغْرَى
قَـــدْ أبى الغُنْـــجُ والْحَـــوَرُ غَيْرَ أشجـــاني
فـــاصْرِفـــا عَنِّيَ العَـــذَلْ لا تَلُـــومـــاني
من عَـــذِيري إذا رَنـــا مِنْ هَـــوَى خِشْفِ[٢]
أشْرَعَ اللَّحْـــظَ كالقَنـــا[٣] قـــاصِـــداً حَتفي
ودَعـــا القَلْبَ مُـــؤْذِنـــا مِنْـــهُ بـــالـــزَّحْفِ
أينَ لا أينَ لا وَزَرْ لِشَـــجٍ عـــانِ
أغْـــزلٍ عَنْ ظُبـــا أسَـــلْ غُنْـــجِ أجفـــانِ
هَـــلْ إلى الـــوَصْـــلِ مَسْلَـــكُ أو إلى الصَّبْرِ
طـــالَ هـــذا التَّهتُّـــكُ وفَشـــا سِرّي
سهمُ عينيـــكِ أفْتَـــكُ مِنْ شَبـــا السُّمْرِ
مـــا عَلى مُهجتي أضَرْ يَـــوْمَ عُـــدوانِ
مِنْ عُيـــونٍ بهـــا كَحَـــلْ حِيْنَ تَلْقـــاني
مـــا لِـــلاحٍ مُعَنِّفِ في الْهَـــوى يَسْطُـــو
بِشَجـــا القَلْبِ مُـــدْنَفِ دَمْعُـــهُ سَبْـــطُ[٤]

هَـــلْ رَأى مِثْـــلَ أهْيَفي شـــادِنـــاً قـــطُّ
راعَــــــهُ اللهُ والقَــــــدَرْ كَيْفَ يَلْحــــــاني
مــــاأرى طبعَــــهُ عَـــدَلْ طَبْـــعَ إنســـــانِ
وغَـــزالٍ مــــاأجْمَلَـــهْ في تَحَلِّيـــــــهِ
أخَــــذَ الطِّرسَ فَصَّلَـــهْ وَوَشَى فيــــــهِ
بِمِــــدادٍ، فَقُلْتُ لَـــهْ: قَصْــدَ تَنْبِيْـــهِ!
ثَـــوْبَـــكْ ٱحْرزْ مِنَ الحِبَرْ(٥) فَقَـــــدْ أمْـــلاني
قَـــال: خَلِّيني نَفْتَصَـــــلْ في بَلَـــــــدْ راني

[٣]

الشروح :

الموشح تام ، غير شعري ، يتألف من ستة أقفال ، وخمسة أغصان ، والخرجة عاميّة .

(١) الضالُ والسمر : نوعان من الشجر .

(٢) الخِشف : وَلد الظَّبي أول ما يولد ، أو أول مشيه .

(٣) أشرعت الرمح قبله : سددته .

(٤) دمع سبط : غزير .

(٥) أورد ابن سعيد في المغرب ٤٢٤/١ ـ ٤٢٥ موشحة لأبي الحسين بن مسلمة مطلعها :

بِــــــوادي ريّـــــــــه اخلَـــعْ عِـــذار التَّصـــــابي

وقال في آخرها :

فَمــــــا لي نِيّــــــــهْ في غير هـــــذا الحســــابِ

إلا إذا كانَ شادِنْ

يَسْبيكَ مِنْهُ مَحاسِنْ

حُلْوَ الْهوى مُتَماجِنْ

يُنـــــادي سيِّــــــهْ: يــــا عَمِّ احرِزْ ثيـــــابي!

وعلّق ابن سعيد بعد الموشحة على العبارة الأخيرة (في الخرجة) بقوله : « وهذا من اصطلاح

الصبيان الذين يسبحون هُنالك » .

والْحَبَر : هو الحِبْرُ الذي يُكتب به .

[٤]

وقال أيضاً :

هَـلْ في ارْتِيـاحي إلى المِلاحِ أو إلى الشَّمُــولْ بَـأْسٌ يـا عَـذُولْ
فَـدَعْ لومَ مَفْتُـونِ

فَعِشْـقُ خَـوْدٍ[١] وشُربُ راحِ إنَّما يُـسْـلامْ غَيْري في الْمُـدامْ
وفي الْخُرَّدِ[٢] العِيْنِ

هــذي عَرُوسُ الرِّيــاضِ تُجْلَى مِنْ رائــقِ الــزَّهْرَ في حُلَــلْ
والْجَــوُّ بـــالغَيمِ قَـــدْ تَحَلَّى ولاحتِ الشَّمسُ مِنْ خَلَـــلْ
وخَبَّ فَصْــلُ الربيـــع طِفــلاً يَسْقِيـــهِ ثـــدْيُ الْحَيــا عَلَـلْ
فَسَقِّني بـــالكَبيرِ وَٱمْـــلا إنِّي كَبيرٌ ولا تُبَـــلْ

في وُدِّ خُمْصــانـــةٍ رَداحِ[٣] قَـدُّهـا النَّبيــلْ بــالنُّهى يَميــلْ
يُناجيْكَ مِنْ لِيْنِ

أُعيــذُ يـا رَبَّـةَ الـوِشــاحِ ذلـــكَ القــوامْ مِنْ لَحــاقِ ذامْ[٤]
بِســورةِ يــاسينِ

هَيفــــاءُ تَهْتَـــزُّ عَنْ قَضِيْبِ وتَنْجَلي عَنْ سَنــــا قمر
شَـــدَّتْ إزاراً عَلى كَثيبِ لَـوْ خــانَــهُ العِقــدُ لانْفَطرْ
أيُّ بَنـــانٍ لَهـــا خَضِيْبِ دمـــاءُ قَلْبي لَـــهُ هَـــدَرْ
لَـــولا اتِّقـــائي مِنَ الرَّقيبِ قَضَيْتُ مِنْ لَثْمِـــهِ وَطَرْ

شَـوْقــاً إلى رِيْقِهـا القَراحِ فَهْــو سَلْسَبيــلْ مــالَــهُ سَبيــلْ
لِحَرَّانَ مَحْـــزُونِ

مَنــاهُ لَـوْ عُـلَّ من أقــاحِ راقَ ذا ابتِســامْ يُزْرِي في اقْتِسـامْ
بَرَيَّـا الرَّيــاحينِ

يــــا ظَبْيَــــةَ الخِــــدْرِ في لَماكِ[5] شِفَــــــاءُ مَــــــابي من الألَمْ
تِيْهي عَلى البَـــدْرِ في سَنَــــاكِ وزاحِمي الشَّمْسَ مِنْ أَممْ
فَلَـوْ بَـــدا النَّجْمُ في حُـــلاكِ[6] مَـــاغَشِيَتْ أُفقَـــــهُ الظُّلَمْ
مَنْ كان يَلْحى[7] عَلى هَـــوَاكِ فَمَسْمَعي عَنْــــــــــهُ ذُو صَمَمْ
زيَّفْتُ[8] ماصاغَـهُ اللَّواحي من قـالٍ وقيـلْ في الوَجـهِ الجميـلْ
فـلا لـومَ يَثنيني
عَنْ رونـقِ الأوْجُـهِ الصِّبـاحِ فَـدَعْ عَنْ مَـلامْ صَبٍّ مُسْتهـامْ
فَلَـوْمُـكَ يُغْريني
أمَّـــــا فُـــؤادي الشَّجي فَما لي حُكْمُ اختِيـــــارٍ ولا لَـــــهُ[9]
فَــــــــوَّضْتُ أمري إلى الْجَمالِ يَفْعَـلُ بي مــــابَـــدا لَـــهُ
مَلَّكْتُـــهُ القَلْبَ مــــاأُبـــالي أنــــالَـــهُ أمْ أنــــالَـــهُ[10]
مَنْ كانَ يَشْكُـو بسُـوءِ حَـــال قَـــدْ رَضِيَ الصَّبُّ حــالَـــهُ
قُيِّــدْتُ في الْحُبِّ عَنْ سَراحِ بِرِدْفٍ ثَقِيـــلْ كحِقْفٍ مَهيلْ[15]
من أحقـافِ يَبْرينِ[12]
قَـد هَـزَّ في مَلعبِ الرِّمـاحِ قـدّاً كالْحُسَـامْ يَقُـدُّ الأنَـامْ
فَقَدْ كادَ يَبْرِيْني[13]
يـــا مَنْ لِـــذي لَـوْعَـــةٍ مُعَنّى قَـــدْ ضَـــاقَ بـــالبَيْنِ ذَرْعُـــهُ
أنّى لَـــــهُ بـــــالسُّلُــوِّ أنّى يَـــأْبى عَلى الصَّبِّ طَبْعُــــــهُ
إنْ نــاسَمَتْــهُ[14] الرِّيــاحُ حَنّــا لِمعْهَـــدٍ شَـــطَّ رَبْعُـــــهُ
مَرَّتْ بـــــهِ نَسْمَـــــةٌ فَغَنّى وفـــاضَ للبينِ دَمعُـــــهُ
ريـاكِ يـا نَسْمَـةَ الصَّبـاحِ راحَـــةُ العَليـلْ مِنْ جَوى الغَليـلْ
فَهُبّي لِتُحييني

بــاللهِ إنْ عُجْتِ بـــالبِطـــاحِ فـاقْصُـدي الخِيـامْ واقْرَئي السَّـــلامْ
عَلى رَبَّـــةِ السِّيْنِ

[٤]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أقفال وخمسة أغصان . وقد خرج عن أن يكون موشحاً شعرياً ، فهو لم يلتزم بحراً من البحور الخليلية دون الخروج عليه ؛ بل أخرجته بعض الفقرات عن ذلك .

والفقرات الموزونة فيه مبنية على (مخلع البسيط) كما في قوله المطلع :

« هل في ارتياحيِ إلى المِلاحِ »

وقوله في الغصن الأول : « هذي عروسُ الرِّياضِ تُجلى » .

وقد اتفقت الفقرات في الأغصان كلها من حيث الوزن ، والإيقاع .

والخرجة في هذا الموشح خرجة مُعرَبة ، لَجَأ فيها ابن خاتمة إلى اللغة الفصيحة .

(١) الخود : المرأة الحسنة الْخَلق الشابة ، أو الناعمة .

(٢) الْخُرَّد جمع الخريدة : المرأة العذراء الْخَفِرة ، الطويلة السُّكوت ، الخافضة الصوت .

(٣) الْخُمصانة الْحَشا : الضَّامِرة البَطن . الرَّداح : المرأة الثقيلة الأوراك .

(٤) الذّام : العيب ، يهمز ولا يهمز .

(٥) في الصّحاح : اللّمى « سمرة في الشفة تُستحسن » .

(٦) لحاه : لامه .

(٧) في ط : « عن حلاك » وكذا في الأصل ، وغيّرها الشاعر بخطّه فوقها .

(٨) في ط : « زيّنت » .

(٩) القافية مقيّدة في الأصل ، وأطلقها في : ط .

(١٠) في الصحاح : نال خيراً ينال نيلاً أي أصاب . وأناله غيره . [من نَيَل] . والنوال : العطـاء [من نول] . وفي الأساس « ماأنـالوا مثل نوالـه ، ولا نسج أحـد على منوالـه » . يقول : فوضتُ إليه أمر قلبي ، وما أُبالي بعد ذلك : احتوى الجمال على قلبي فتصرّف على هواه وما حلا لـه أم واساه وأعطاه ما يريد !..

(١١) الحِقْفُ : الْمُعْوَجُّ من الرَّمل ، أو الرَّمل العظيم الْمُستدير . وهال (التراب) وأهاله : صَبَّه .

(١٢) يَبْرِين : اسم مكان بحذاء الأحساء .

(١٣) براه (السّفر) يَبريه : هزله . وفي الأساس « ومن المجاز : بريتُ الناقةَ بالسَّير ، وبراها السّفر » .

(١٤) في القاموس : نسم النسيم نَسْماً ونسيماً ونَسَماً (بفتحتين) : هَبّ . ولم أقف على ناسم .

[٥]

وقال أيضاً :

في ظَبْيَةٍ رَخِيمَهْ[١] لِلألْباب فَتّانَهْ
رِدْفُها الرَّجْراجْ قَد ماسَتْ بهِ بانَهْ
يا مَنْ لِمسْتَهامْ بهَيفاءَ مِنْ عَدْن
كالبَدْرِ في التِّمامْ وكالظَّبْيِ في الْحُسْنِ
قَد هَيَّجَتْ سَقامْ وقد سَهَّدَتْ جَفْني
بمقْلَةٍ سَقِيمَهْ من الغُنْجِ وَسْنانَهْ
تَزْدري الْحَجّاجْ[٢] وتُنسِيْكَ عُدوانَهْ
مالِلْهَوى ومالي لَقَدْ هاجَ أشْجاني
يا رَبَّةَ الحِجالِ[٣] صُدودُكِ أضْناني
لاأشْتَكيكِ حالي وما حالُ هَيْمان ؟!
أنْتِ بِها عَلِيمَهْ جَوًى شبَّ نيرانَهْ
وبُكا قَدْ هاجْ عَلى القَلْبِ أشجانَهْ
يا خُوطَةً تَثنَّى[٤] فَتثني عَنِ الصَّبْرِ
لم يأْنِ أن تَحِنّا على هائمٍ « عُذري »
لاتَحرِمي الْمُعَنَّى لَمى ذلِكَ الثَّغْرِ
أهدى وَلَو نَسيمَهْ فَسُبحانَ مَنْ زانَهْ
ووَشَى بالعاجْ وبالدُّرِّ عِقْيانَهْ[٥]
مَنْ لِيَ بالأماني وقَدْ شَفَّني السُّقْمُ

طَرفي الَّـــــذي دَعـــــاني وحُكْمُ الْهَـــــوى الْحَتْمُ
مـــالي بِـــذا يَـــدانِ ولا لي لَـــــهُ عَـــزْمُ
وكيفَ لي عَـــزِيمَـــهْ وصَبري قَـــدْ خـــانَـــهْ
طَفْلَـــةٌ مِغْنـــاجٌ(٦) مِنَ التِّيْـــهِ سَكرانَـــهْ
للهِ رَوْضُ حُسْنِ تَمشَّتْ بنـــادِيْـــهِ
والقُضْبُ في التَّثَنّي كمِشْيَتِهـــا فيـــهِ
فـــأنْشَـــأتْ تُغَنّي لِلُطْفِ مَعـــانِيْـــهِ :
على يَمينِ لِيْمَـــــهْ وقُـــدَّامَ رَيْحـــانَـــهْ
والعَرِيشْ نَسَّـــــاجْ قـــد عـــانَـــقْ لِرُمَّـــانَـــهْ !

[٥]

الشروح :

الموشح تام ، غير شعري ، فيه ستة أقفال وخمسة أغصان ، والخرجة عامّية . وقال الدكتور عبد العزيز الأهواني : « كان الريحان مشهوراً في حفلات العرس في الأندلس حتى وجدنا من أمثالهم : (أشهر من الريحان في دار العروس) . وعند نساء الأندلس إلى اليوم حرص على الريحان وحفظ لأجزاء منه بدعوى أنه يقرّب الزوج » . وقد ساق هذا الحديث في أثناء حديثه عن موضوعات الخرجات ، وما يتصل ببعض النباتات . وانظر أيضاً التعليق على الموشح الحادي عشر في هذا الديوان . وكتاب (الزجل في الأندلس : ٢٤) .

(١) رخمت الجارية : صارت سهلة المنطق ، فهي رخيمة ورخيم .
(٢) في الأساس : ازدرته عيني : احتقرته .
(٣) حجال ج حجل : وهو الخلخال . « والْحُجولُ لربّات الحجال : أي الخلاخيل للنّساء » .
(٤) الْخُوط : الغصن الناعم لِسَنته . وجارية خُوطانة أي كالغُصن طولاً ونُعومة .
(٥) العِقيان من الذَّهب : الخالص .
(٦) الطَّفلة (بالفتح) : الرَّخصة الناعمة .
(٧) اللِّيمة : الأترجَّة .

[٦]

وقال أيضاً :

يـا نسيماً قـد هبَّ من نَجْـدِ　　وسَرى بـــالخيـــامْ
بحيـــاةِ الْهَـوى على العَتْبِ　　كيفَ بـــــدرُ التَّمامْ ؟
كيف بـدرُ التَّمامِ حَـدِّثني　　بـــالرِّضى يـــا نَسِيمْ
هـلْ تَسلَّى بِنَـأْيــهِ عَنِّي　　أمْ هَـــــواهُ مُقيمْ
وعَليمِ الغُيـــوبِ لاأَثْني　　عَنْـــــهُ وُدِّي الكَريمْ
مـاجَرَتْ فَوْقَ وَجْنَـةِ الـوَرْدِ　　عَبَراتُ الغَمامْ
وتَثَنَّتْ مَعـــاطِفُ القُضْبِ　　لِغنـــــاءِ الْحَمامْ
لِغنـــاءِ الْحَمامِ في قَلْبي　　رِقَّـــــةٌ وَنُحـــولْ
ذَكَّرَتْني مَعـــاهِـــدَ القُرْبِ　　والــزَّمـــانَ الـوَصُـولْ
إن تَحُلْ يـا مُنـايَ عَنْ حُبِّي　　إنَّني لاأَحُـــــولْ[1]
كيف يَسلُو عَنْ ذلكِ العَهْدِ　　والِــــهٌ مُسْتَهــامْ
حـــاشَ للهِ يـــا مُنَى قَلْبي　　لَسْتُ أنْسى الـذِّمـامْ
لَسْتُ أَنْسى الـذِّمـام فَـالْحُرُّ　　مَنْ يُراعي العُهــــودْ
ما لِمَنْ خـانَ في الْهَوى عُـذْرُ　　لـــو بَراهُ الصُّـــدودْ
إن أتـــاهُ من حُبِّــهِ هَجْرُ　　عَن قريب يَجُـــــودْ
إنَّما لَـــذَّ مَـــوْرِدُ الــوُدِّ　　بِقَليـــــلِ الغَرامْ
وحَلَتْ عَنْـــهُ نشـوةُ الصَّبِّ　　بِسَماعِ الْمَــــــلامْ
بِسَماعِ الْمَـلامِ قَــدْ صَمّـــا　　مَسْمَعِي يــــا عَـــذُولْ
فَــــدَعِ اللَّــوْمَ إنِّني مُضْنى　　لاأعِي مــــاتَقُـــولْ
صــادَ عَقْلِي غُـزَيِّـلٌ أَلْمَى　　صــــائِــدٌ للعُقُــولْ
لاحَ كالبَـدْرِ لَيْلَـةَ السَّعْـدِ　　ســـافِراً عَنْ لِثـــامْ

وانْثَنى عَنْ مُنَعَّمٍ رَطْبِ فـاسْتَفَزَّ الأنـامْ
اسْتَفَزَّ الأنـامَ مَرْآهُ بِفُنـونِ الفُتـونْ
شادنٌ مذ عَدِمْتُ رُؤْياهُ حَشْوُ صَدْري شجُونْ
ظَلْتُ أشْدو شَوْقاً لِلُقْياهُ صـادِحـاتِ الغُصون :
يـا حماماً شَدا عَلى الرَّنْدِ بـالنَّبي يـا حَمامْ
إنْ خَطَرْتَ على دِيارْ حِبِّي[٢] خُصَّهـا بـالسَّلامْ !

[٦]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أقفال ، وخمسة أغصان . وهو موشح غير شعري ، والخرجة فصيحة . وواضح من ألفاظ الخرجة ونغمها أنها مبنية على أغنية شعبية ، لعلَّ هذه الخرجة فيها هي اللازمة المترددة بين أجزائها .

(١) حالَ : تحوَّل .

(٢) « على ديارْ حِبِّي » من ضبط المؤلف . وكذا الخرجةُ بحركاتها كلها .

[٧]

وقال أيضاً :

حيَّ عَلى الأُنسِ حَيّا وابْتِدارْ العُقَارْ[١] مِنْ راحَتَيْ بَدْرِ
ولْتَرْتَشِفْها حُمَيّا[٢] كالشِّهابْ في التِهابْ عِطْرِيَّةَ النَّشْرِ
أمـا تَرى اللَّيْلَ حائِرْ قد تاهَ خوفَ افْتِضاحِ
وطالِعُ الشُّهبِ غائِرْ والنَّسْرُ خَفْقُ الْجَناحِ
وعَنْبَرُ الدَّجْنِ عاطِرْ تُذْكِيهِ نارُ الصَّباحِ
ومالَ[٣] سِرْبُ الثُّرَيّا إذْ أنارْ للنَّهارْ طليعَةَ الفَجْرِ
والأرضُ تعبَقُ رَيّا والسَّحابْ في انْسِكابْ عَلى رُبا الزَّهرِ

هـــــذا زَمــــانُ الرَّبيـــعِ　　قَــــدْ مَـــلأً الأفـــقَ نـــورُهْ
تَرنَّمتْ بـــــالبَــــدِيْـــعِ　　عَلى الغُصــــونِ طُيـــــورُهْ
ونَمَّ عِنْــــــدَ الهجُـــــوعِ　　للنَّــــــــــاشقينَ عَبيرُهْ

والرَّوضُ طَلْقُ الْمُحَيّا　　والبَهــــــارْ　　كالنُّضـــــارْ　　قـدْ حُفَّ بـالــدُّرِّ
والــوَرْدُ كالْخَــوْدِ حَيّـا　　الصِّحـــابْ　　عَنْ نِقـــابْ　　بُرودِهِ　الْخُضْرِ

وافْتَرَّ　ثَغْرُ　الأزاهِرْ　　للطَّـــــــــلِّ عن صِرْفِ راحِ
ونـــــاظِرُ النَّـــوْرِ نـــاظِرْ　　إلى ابْتســـــامِ الأقـــاحِ
ومَعْطِفُ القُضْبِ نـــــــاضِرْ　　تَثْنِيْـــهِ أيْـــدِي الرِّيـــاحِ

فـاجْلُ الْمُـدامَ عَلَيّـا　　بـــالكِبـــارْ　　لاتُـــــدارْ　　في العِشْقِ والْخَمرِ
هَيْهاتَ يـا عـاذِليَّـا　　لا مَتــــابْ　　فـــالصَّـوابْ　　سُكري مـع العُمْرِ

قُمْ هـــــاتِهــــا سِرَّ تيّــــاهْ　　كالغُصْنِ في لينِ قـــــــــــدِّهْ
والصُّبــــحُ في نُـــــورِ مرآهْ　　والرَّوْض في وَرْدِ خَـــــــــدِّهْ
الشَّمْسُ تَعْشَـــقُ لُقيــــاهْ　　والبَـــــدْرُ صَبٌّ بـــــوُدِّهْ

يــا لائِمي فِيـهِ غِيّـا　　لا اعْتِـــذارْ　　فـــالعِـذارْ　　قَـدْ قـامَ بـالعُـذْرِ
قَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّـا[٤]　　في عِتـــابْ　　ذي اكْتِئـــابْ　　مُتَيَّمٍ عُـــذري

هـــــذي دُمُـــوعي هَـــوامِرْ[٥]　　قـــد عِيــلَ بـــالــوَجـــدْ صَبري
فــــالقَلْبُ هَيْمانُ طـــــائِرْ　　مــــــــابَيْنَ بَيْنٍ وهَجْرِ
يـــا قَلْبُ مــالَــكَ حـــائِرْ　　تَهْــوَى لِمَنْ ليسَ تَـــدْري[٦]

ذِبْ نَدْرِ[٧] مَنْ صالَ عَليّا　　بِشِفــــارْ　　اِحْـــورارْ　　جُفون ذِبْ نَدْري
صَحْبَ الصِّفاتَ البَهِيّا[٨]　　والثِّيــــابْ　　العِجـــابْ　　الكَوْكب الـدُّرّي

[٧]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أقفال وخمسة أغصان . وتبدأ الأقفال والأغصان فيه بفقرات على وزن

(المجتث) . ثم خرج عن أن يكون موشحاً شعرياً بالفقرات الأخر في كل غصن وقفل . والخرجة عامية .

(١) العُقار (بالضم) : الخمر .

(٢) الْحُمَيّا من الكأس : أوّل شِدّتها ؛ أو أخذُها بالرأس .

(٣) في ط : ومال . وفي الأصل : ومال ، وفوقها عبارة : (وريع) وكلمة : معاً .

(٤) اقتباس قرآني من سورة مريم / ٢٧ : ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ﴾ .

(٥) هوامر من هَمر فلان دمعه : صبّه فَهَمَر .

(٦) كذا أوردها ، بتعدية (هوى) باللاّم .

(٧) ذب ندري : الآن ندري (في اللهجة المغربية اليوم : دابا : الآن) .

(٨) صحب = صاحب ؛ والبهيا = البهيّة .

[٨]

وقال أيضاً :

في طـــاعَـــةِ النَّـــديم   وَفي هَـــوى الحِسَـــانْ
عَصَيْتُ كُـــلَّ عـــاذلْ   ودِنْتُ بـــافْتِتـــانْ

أمَّـــا أنـــا فَما لي   عَنِ الْهَـــوى مَحِيْصْ[١]
فُتِنتُ في غَـــزال   صَعْب الرِّضى حَريصْ
ظَلْتُ ـ عَلى احْتِيـــالي ـ   في كفِّـــهِ قَنيصْ

ذُو مَنْظرٍ وَسيْم   مِن فَـــوقِ خُـــوطِ بـــانْ
يَخْتـــالُ في غَـــلائِـــلْ   مـــالي بهـــا يَـــدانْ[٢]

يـــا مَنْ لِمُسْتهـــام   مِنْ جَـــوْرِ ذا الغُـــلامْ[٣]
يَغْتـــالُني مَنـــامي   يَسُـــومُني سَقـــامْ
قَـــدْ عـــاثَ في الأنـــام   بـــأضْرُبِ الغَرامْ

أجْـــوَرُ من سَـــدُوم   يَعْـــدو مَـــدى الـــزَّمـــانْ
على فُـــؤادِ ذاهِـــلْ   أطـــوَعَ مِنْ عِنـــانْ[٤]

عُلِّقْتُـــــــهُ غَـــزالا للرُّومِ مُنْتَهـــــــــــاهْ
زَنَّـــــــــارهُ اسْتَمالا حِلمي إلى صِبـــــــــاهْ
إن قـــــالَ لي مَقـــــالا لَمْ أدْرِ مـــــاعَنـــــاهْ
أوْ أشْتكي هُمُـــــــــومي لم يَـــدْرِ مـــاعَنـــانْ(٥)
فـــــالقَلْبُ في حَبـــائِـــلْ أيـــدي هـــواهُ عـــانْ(٦)
أقْسَمتُ بـــالأنـــاجِـــلْ وحُرْمَـــةِ الْمَسِيـــحْ
مـــاإنْ أُطِيْـــعُ عـــاذِلْ فيـــــكَ ولا نَصيـــحْ
فكَمْ وكَمْ تُماطِـــــــــلْ ذا لَـــوْعَـــــةٍ قَرِيـــحْ
قـــــد امَّحَتْ رُسُـــومي سُقْماً عنِ العَيـــــــــانْ
فـــارْحَمْ أنين نـــاحِـــلْ لـــولاهُ مـــااسْتَبـــانْ(٧)
قـــلْ كيفَ يَسْتريـــحُ صَبٌّ متَيَّمُ
لِســـانُـــهُ فَصيـــحُ والْحُبُّ أعْجَمُ
هـــا حـــالَتِي تَلُـــوحُ فَهَـــــــــلْ مُترجمُ ؟!
صُبَيّ عَشَقتْ رُومي وِشْ نَحْفَـــظ اللســـانْ(٨)
السَّـــاعَ مـــانشـــاكِـــلْ(٩) عــــاشِـــقْ بتَرْجُمانْ !

[٨]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أقفال وخمسة أغصان ، وينتظمه وزن « مستفعلن فعولن » في الأقفال والأغصان معاً ، ويعطيه موسيقية لطيفة متناسقة . والخرجة عامية .

(١) محص مني : هرب ، فهو محيص .
(٢) في الأساس : « مالك به يدان » إذا لم تستطعه .
(٣) كأنّه من باب وصف الفَتاة بأوصاف الغلام على طريقة بعض الشعراء العباسيين المبكرين .
(٤) وجدت في الأمثال (الميداني ٤٤١/١) قولهم : « أطوع من ثواب » : رجل من العرب . وقولهم : « أطوع من فرس ، ومن كلب » .

(٥) لم يدر ماعنان ، أي : ماعناني .

(٦) عني (كرضي) ـ فهو عانٍ ـ أي نشب في الإسار .

(٧) يشبه قول المتنبي :

كفى بجسمي نُحـولاً أنني رجـلٌ ... لـولا مُخـاطبتي إيّـاكَ لم تَرَنِي

(٨) وش نحفظ اللسان : أي لانعرف (لاأعرف) اللسان الرومي .

(٩) الساع مانشاكل : أي الآن نحن (أنا) نشابه عاشقاً بترجمان !

[٩]

وقال أيضاً :

قُمْ هاتِها قَهْوَهْ[1] ... كَدَمْعِ مَهْجُورِ ... قَدْ أفرطتْ إفْراطْ ... في اللطفِ والنُّورِ

هـذي الرُّبـا تَخْتـالْ ... في حُلَـلِ الـزَّهْرِ

قَـدْ سَحَبَتْ أذيـالْ ... بُرُودِهـا الْخُضْرِ

ورَقَّتِ الآصـالْ ... لِعَبْرة القَطْرِ

فـافْتَرَّ عَنْ حُوَّهْ[2] ... ثَغْرُ الأزاهيرِ ... ونَمَّ عَنْ أخـلاطْ ... مِسْـكٍ وكافُـورِ

فَهـاتِهـا قَـدْ بـانْ ... لعـاذِلي عُـذْري

في نَغمـةِ العِيْـدانْ ... ورَنَّـةِ الـزَّمْرِ

والثَمْ طَلى القِطعـانْ[3] ... وارشُفْ لَمى الْخَمْرِ

رُضـابَـةً حُلْـوَهْ ... كَـذَوْبِ بَلُّـورِ ... تَخْتـالُ في أسماطْ ... مِنْ جَـوهرِ النُّـورِ

يُـديرهـا تَيّـاهْ ... كالصُّبـحِ مَرآهُ

إن أخطـأتْ كَفّـاهْ ... سَقَتْـكَ عَينـاهُ

للهِ مـا أبهـاهْ ... ومـا أُحَيْـلاهُ

غُصْنٌ على رَبـوَهْ ... ألحـاظُ يَعْفـورِ[5] ... مُجـوهرُ الأقراطْ ... طَلْقُ الأسـاريرِ

آهٍ ومن يُبْلَى ... حُرٌّ بـأنْ يُبـدي

لَشـدَّ مـا حَـلاّ ... بـالصَّبِّ من وَجْـدِ

يـــــــا عــــــــاذلي مَهْـــــلا فـــــالعَـــــذْلُ لا يُجْـــــدي

مـا أبْعَـد السَّلْـوَهْ عن قَلْبِ مَـذْعُورِ تيِّمَ في فُسْطـــاطْ بِبَـــدرِ دَيْجُــورِ

رِفقــــــــــــاً مُنَى قَلبي بقَلْبِ هَيْمانِــــــــــــكْ

قَـــــــــــــد زادَ في كَرْبي فُتــــورُ أجفـــــانِــــكْ

الله في صَبٍّ بنَيْـــلِ إحســـــانِـــكْ

ياصاحِبَ السَّطْوَهْ وارفُـقْ بِمَهْجُـورِ أضْغَطتني إضغاطْ يـا فِتْنَـةَ الْحُورِ(٧)

[٩]

الشروح :

الموشح تام ، من ستة أقفال وخمسة أغصان ، وهو موشح غير شعري ، والخرجة عامية .

(١) القهوة : الخمر .

(٢) الْحُوَّة : سُمرة الشفة ، يقال : رجل أحوى ، وامرأة حَوَّاء .

(٣) الطَّلا : الولـد من ذوات الظلف . والجمع (أطلاء) . والطليّ : الصغير من أولاد الغنم والجمع طليان . والطُّلى : الأعناق . واحدتُها طُلية بالضم أو طُلاة . اهـ .

(٤) في الأصل : وابأبي تيّاه ، وفوقها : يديرها تيّاه ؛ وكلمة (معاً) ، وفي ط : وابأبي .

(٥) اليَعْفور : الخِشْف . وهو ولد الظبي أول مـا يولـد أو أول مشيـه ، أو التي نفرت من أولادهـا وتشردت ، وولد البقرة الوحشية أيضاً .

(٧) في حاشية الأصل عند هذا السطر عبارة : بلغت القراءة والسّماع .

[١٠]

وقال أيضاً :

هذهِ الشَّمسُ حَلَّتْ بالْحَمَلْ(١) ومُحَيّـا الـزَّمــانِ الحــالي

قـــد تَجلَّى سَنـــاهُ في كمالْ فـــاسقِني أكـؤسي وامــلا لي

ولْتُـدِرْهـا رَحيقـاً كالـذَّهبْ صِيـغَ في قـــالَبِ من نُــورِ

قــد تحلَّت بــأسلاكِ الْحَبَبْ واكتستْ حُلَّـــةَ المهْجُـــورِ

جـوهرٌ في نُضـــارٍ من لهبْ قـــد تـلاقَتْ على تَقْـــديرِ
فاسقِنيْها ودَعْ من قَـدْ عَـذَلْ وَيْـكَ مـالِي وللعُـــذَّالِ
في هـوى أهيفٍ بـدعِ الْجَمالْ بـــابليٍّ رخيِّ البــــالِ
جُمْلَـةُ الأُنسِ في رَشْفِ الطِّلا ووداد المـــلاحِ الغيْـــد
فـاسقِني صاحِبي واشرَبْ على وُدِّ ذا الشَّـــادِنِ الأُملـودِ[٢]
شقُّ بـدرِ الـدُّجـا نَجْلِ العُـلا بُغْيَتي مُنْتَهى مَقْصُـــودي
يـالَـهُ مَلْـكُ حُسْنٍ لـو عَـدَلْ في شَـجٍ مُفرطِ البَلْبـــالِ
لم يَـذُقْ قَـطُّ طعماً للوصـالْ دائم الـــدَّهرِ في أوْجـــالِ
يـــاهِـلالاً لِقلبي أشْرَفـــا هَـلْ سَبيـلٌ إلى لُقيـــاكا
وقَضِيبـــاً بعَقْلِي قَـــدْ هَفـــا هَـلْ حُنُـوٌّ عَلى مُضْنـــاكا
مـاتُراعِي مُحِبّـاً مُـدْنَفـــا تَحْتَ ذَيْـلِ الـدُّجا يَرْعـاكا
مُغْرمَ القَلْبِ مجروحَ الْمُقَـــلْ دَمـعُ عَيْنَيْـهِ في اسْتِرْســـالِ
قـد أبى مـادَهـاهُ من خَبَـالْ أنْ يُرى عن أســـاهُ خـــالِ
مَن نَصيرُ الْمُعَنَّى الْمُتلفِ لَيْتَـــهُ لم يكنْ، لا كانـــا
مِنْ هـــوى ظَبْيِ أُنسٍ أهيَفِ لم يَـــدَعْ عنـــهُ سُلْـوانـــا
يَنْثني للصِّبـــا في مِطْرَفِ قَـــدْ سَما حُسْنُـــه وازْدانـــا
يـــالِقَـــدٍّ عَلى ذاكَ الكَفَـلْ مِثْـلِ غُصْنِ النَّقـا الْمُنْهـالِ
ولِمرْأى تعَـــالى عَن مِثـالْ في جمالٍ، وفي إجْمالِ
فَقُلْتُ لَمّـا جَفـاني واعْتَـدى في صُـــدودي وفي إبْعـــادي
يـاشِهـاباً لِسَعْدي قَـدْ بَـدا هَـــلْ لِمَرْآكَ مِنْ إسْعـــادِ
فـانْثَنَى هـــازِئـــاً بي مُنْشِـداً ـ يـالَـــهُ مِنْ رَخيمٍ شـــادٍ ـ:
ياعَجَبْ ! كِفْ تِردْ ؟ وَصْلي سَهَلْ ؟ ! وَأنـــا هُـــو السِّماك العـــالي
قـد نُصِبْ رُمْح قَـدِّي فِي اعتـدالْ نَرْم بِـهِ كُـلّ قَلْبـاً سَـالِ !

[١٠]

الشروح :

الموشح تام ، من ستة أقفال وخمسة أغصان ، غير شعري ، والخرجة عامية . وعلامات الترقيم والتعبير في الخرجة من قراءة أستاذنا الدكتور الأهواني .

ـ الْحَمَل : أول البروج ، قال في (الأنواء : ١٥٢ ـ ١٥٣) : « وفي خمسة عشر من بعد آذار تحل الشمس بأول برج الحمل وحينئذٍ ينقلب الزمان ، فيعود ربيعاً محضاً بعد أن كان شتاء ممتزجاً . قال : وذلك أول فصل الربيع ، وهو رأس الأزمنة ، وابتداء سنة الشمس . قال الشاعر (أبو نواس) :

ألم ترَ الشَّمس حَلَّت الحَمَـــــلا وقـامَ وزنُ الـزَّمـانِ واعتَـدلا
وغَنَّتِ الطَّيْرُ بعـــدَ عُجْمتِهـــا واستوفتِ الْخَمرُ حَوَلَهـا كَمَـلا »

راجع ابن الأجدابي في (الأزمنة والأنواء) . ومادة (حمل) في المعاجم .

(٢) الأملود : اللين الناعم من الغصون أو من الناس .

[١١]

وقال أيضاً :

هَــلْ للعَــزا مِنْ سَبِيــلْ هَــــلْ يَشْتَفي السُّقْمُ
حَسْبِيَ يَـــأْسٌ مُرِيــحْ قَـــد ضَـــاقَ بِي الكَتْمُ
الغَـــوْثُ مِنْ ذا الهَـــوى فُـــلَّ بِـــهِ عَـــزْمي
قـــد هَـــدَّ مِنِّي القُـوى وقَـــد مَحـــا رسمي
يـــا رَبِّ هـــذا الْجَـوى لَمْ يَـــكُ في عِلْمِي
وأنْتَ نِعْمَ الْمُقِيـــلْ وحُكْمُـــكَ الْحُكْمُ
أجِرْ فُـــؤاداً قَرِيـــحْ قَـــدْ خـــانَـهُ الـزَّعْمُ
لِسُــوءِ حَـــالي ومَـــا أدراكَ مـــا حـــالي
بَكى خَلِيلي دمـــــا ورَقَّ عُـــــذَّالي
لَمْ يـــأْنِ أن تَرْحمـــا[1] يـــا خـــاليَ البـــال ؟

جُـدْ بــالرِّضى يــا بَخيــلْ   مَطْـــــــلُ الغَنِيْ ظُلْمْ[2]
لَمْ تَـــدْرِ أنَّ النَّصيـــحْ   سَماعُـــــــــــهُ إِثْمُ

عَصيتُ فِيْـــكَ الْمَـــلامْ   ودِنْتُ بـــالـــوجْـــدِ
وقَـــدْ هَجَرْتُ الْمَنـــامْ   ولُـــذْتُ بـــالسُّهْـــدِ
فَهَـــلْ يُفيـــد الغَرامْ   لَـــدَيْـــكَ أو يُجْـــدِي

قَـد حـارَ فِيـكَ الـدَّليـلْ   وضَـــــــــلَّ بِي الحِلْمُ
لا قَلْبَ لي مُسْتَرِيـــحْ   كـــــــلاًّ ، ولا جِسْمُ

لـــو بِســوى الأَعْيُنِ   فُتِنْتَ يـــا قَلْبِي
رَجـــــوتُ أن تَنْثَني   مُفَرَّجَ   الكرب
يَئِستُ   لكِنَّني   أدعـــوكَ يـــا ربِّي

دُعـــاءَ صَبٍّ ذَليـــلْ   أسْلَمَـــــــــــهُ الجرمُ
فـــالـوُدُّ مِنـــهُ صَحيـحْ   وفي الْحَشــــــــــا كَلْمُ

تشْنِيـعُ هـــذا الرَّقيبْ   رَبٍّ   ادْفَعَنْ   شَرَّهْ
أبْصَرَهُ   مُسْتَرِيبْ   بـــوجهـــهِ حُمْرَهْ
فَظَنَّـــه قـــد أُصيبْ   وقَـــدْ شَـــدا جَهْرَهْ

صُبَيْ جُرِحْ فَـــالنَّخيـــلْ   رَشّ الْحَبـــــــــق[3] دمُّ
بـــالله يـــا طَيْراً مَليـــحْ   قُـــــــــــلَ الْخَبَرْ لأُمّ

[١١]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أقفال وخمسة أغصان ، وهو موشح شعري ، ينتظمه بحر البسيط ، وإن كانت الفقرة الأولى من كل جزء من أجزاء القفل من وزن (مستفعلن فاعلان) ، وليس مستفعلن فاعلن ، وإنما ذَيِّل الفقرة لمكان القافية في فقرة الموشح . والخرجة عاميّة . وقد استشهد الدكتور عبد العزيز الأهواني بهذه الخرجة في كتابه (الزجل في الأندلس) وأثبتها كما تقرأ :

صُبَيْ جُرِح في النخيـــــــل رشّ الْحَبَـــــقَ دَمُّـــــو
بـــــالله يـــــاطيراً مَليـــح قــــــول الخبر لَمُّــــــو

مـع مـلاحظـة أن (في) الحرف الجـار ، وردت بخـط المـؤلف فـاء مفتـوحـة ، بحسب لهجـة نطقها .

وتحـدث الـدكتـور الأهـواني عن مـوضـوعـات الخرجـات فعـدَّدهـا ، وقـال : « ومما ورد في الخرجات من الموضوعات إشارات إلى أنواع من النبات خُصّت بما لم تخص به نباتـات وأزهـار شاع ذكرها في القصائد ، فعلى حين أن الحديث عن الورد والياسمين والأقحوان والبهار يكثر في قصائـد الأنـدلسيين وفي الموشحـات نفسهـا ، نجـد الخرجـات تميل إلى الْحَبَق والحنّـاء وإلى الريحان خاصة » ـ راجع : الزجل في الأندلس ٢٣ ـ ٢٤

(١) أنى الشيء ، يأني إِنَى : حانَ .

(٢) في الحديث الشريف : « مطل الغني ظلم » : اللسان (مطل) .

(٣) الحبق نبات عشبي عَطِر ؛ أوراقه وأزهاره فوّاحة العَرْفِ العَطِر . (من فصيلة الشفويات) .

[١٢]

وقال أيضاً :

الرَّوضُ أبْـــدَى ابْتِســـامْ عنْ يـــانـــعِ الـــزَّهرِ
لَمَّـــا غَـــدَتْ في انْسِجـــامْ مـــــدامــــعُ القَطْرِ
وافْتَرَّ نَـــوْرُ الأقـــاحْ عَنْ ثَغرهِ الشَّنبِ
والقُضْبُ ذاتُ ارتيـــــاحْ للرَّقْصِ من طَرَبِ
فهـــاتِهـــا كالصَّبـــاحْ دُرِّيَّـــــــــــةَ الحَبَبِ
إنْ فُضَّ عَنهـــا الخِتـــامْ وطـــــــــارقٌ يَسري
رأى بَهيْمَ الظَّـــــــلامْ كـــــواضـــــحِ الفَجْرِ
بـــــالنَّفسِ ظَبْيٌ غَرير تَغْنُـــو لـــهُ الأُســـدُ
مرآهُ بــــــدرٌ مُنيْر أطْلَعَـــهُ السَّعـــدُ
فِي أُفـــقِ غُصْنٍ نَضيْر يكادُ يَنْقَـــــدُّ

وأينَ بـــــــــــدرُ التَّمامْ		من وَجْنَتَيْ بَـــــــــدري
أمْ أيْنَ زهرُ الكِمامْ		مِن ثَغْرِه الـــــــــدرّي

أفْــــدِيــــهِ مِنْ مُعْرِض		قَلْبي لــــه مَثْــــوى
وَجْـــدِي بــه يَقْتَضي		صَبْري لِمَــــا يَهْـــوى
مِنّي لَـــهُ مــارَضي		ومِنْــــهُ لي البَلْـــوى !

أغرى بجِسْمِي السَّقـــامْ		لَمَّـــــا ارْتَضى هَجْري
رِفقـــاً عَلى الْمُسْتهـــامْ		وارحَمْ تَنَـــــلْ أجْرِي

يـــا خـــاذِلي في الهَـــوى		مَتَيَ تُرى نـــــاصِرْ
قـــد هَـــدَّ مني القُـــوى		صَـــدُّكَ يـــا هـــاجِرْ
أمـــا لِهـــذا النَّـــوى		والهَجْرِ من آخِرْ ؟

حَـــالَفْتُ فيـــكَ الغَرامْ		بِمَـــــوْقِفِ الصَّبْرِ
أنْ لسْتُ أنْسى ذِمـــامْ		هَـــــواكَ لِلْحَشْرِ

جَفَـــا جُفـــوني الرُّقـــاد		وســـــاوَرَ الفِكْرُ
كأن فَرْشِي قَتـــــادْ		شُبَّ بهـــــا جَمْرُ
مـــالِيْ عَلى ذا السُّهـــادْ		وعَيْشِكُمْ صَبْرُ !

أمــــا ورَبَّ الأنــــامْ		و (الطُّـــورِ)، و(الْحَشْرِ)
لـــو كانَ في اللَّيْـــلِ عـــامْ		مـــــانِمْتُ من فِكري !

[١٢]

الشروح :

موشح تام ، فيه ستة أقفال ، وخمسة أغصان . وهو يجري على البحر البسيط ، بتذييل الفقرة الأولى من كل جزء من أجزاء القفل . أي التفعيلة الثانية منه . والخرجة مُعربة .

وقال أيضاً :

قُـلْ يـا غَـزالْ مَنْ خَـطَّ واوَيْنِ فُـوَيْـقَ خـدَّين بِـلا مثـــال ؟
قـــد جَـلَّ مَنْ أبـــدعْ مِنْ دُون مـــانـِـــدٍّ
جَمالَـــكَ الأبْـــدَعْ في حُسْنِــــــــهِ الفردِ
والبَــدْرَ قـــد أطْلَــع من ذلـــكَ القَـــدِّ
على اعتِـــدالْ يهفُـــو ببُرْدَيْنِ كالغُصْنِ اللَّيْن طَـــوْعَ الشَّمالْ
من لي بــــــهِ يَثْني فُـــــــؤادَ ذي اللُّبِّ
مُسْتَعْبَـــــــدَ الْحُسْنِ مُتَيَّمَ الْحُبِّ
يـــا ســـائِلي عنِّي هـــا حـــالَتي تُنْبي !
وكيفَ حـــالْ مَنْ ظَـــلَّ للبَيْنِ يَرْعَى السِّماكَيْنِ طُـولَ اللَّيـــالْ
سُبْحـــانَ بـــاريـــهِ بـــدْعـــاً بـلا مِثْـلِ
كالظَّبيِ في التِّيــــــــهِ والغُصنِ في الشَّكلِ
يـــا عـــاذِلي فيْـــهِ أسْرَفْتَ في العَـــــــذْلِ
دَعِ الجِـــدالْ مـاقـادَ لي حَيْنِيْ خِـــلافُ عَيْنين ترمي نِبـــالْ
قَـــدْ ذُبْتُ بـــالأشْـــواقْ ومِتُّ بـــــــــالْحُبِّ
الـــوجْـــدُ في إحْراقْ والـــدَّمْـــعُ في سَكْبِ
يـــا قـــومُ هَـلْ مِنْ راقِ(١) يَرْقي جَـــــوى قَلْبي
مـــالِيْ احْتيـــالْ في لَحْـظِ جفْنين يَرْمي بِسَهْمَيْنِ ولا يُبـــالْ(٢)
واعَـــدَني الشَّـــاطِرْ بـــزَوْرةٍ تُـــدنيـــهْ
ثم انْثَنى نـــــــافِرْ فَظَلْتُ أستـــدعِيـــهْ
فـــإذْ أتى خـــاطِرْ شـــدَوْتُـــه ـ تَنْبيـــهْ ـ :
وَجْـــهَ الهِـلالْ قُلْ لِيْ يا نورَعَيْني تَمْطُلْ كـذا دَيْني يَكْفِي المِطـالْ !

[١٣]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أقفال ، وخمسة أغصان . وهو موشح غير شعري ، والخرجة معربة .

(١) الرقية : العوذة . ورقاه رقياً فهو رقاء : نفث في عوذته . وفي الأساس : يقال « باسم الله أرقيك والله يشفيك » .

(٢) الأصل فيها يبالي .

[١٤]

وقال أيضاً :

ألا نبِّهِ السَّاقِي فَذا اللَّيْلُ قَدْ أغْفى   وبَرْقُ الدُّجى يُذْكي لِعَنْبَرِهِ عَرْفا
وهاتِ اسْقِني واشربْ مُعتّقةً صِرفا
فما لَذَّةُ الدُّنيا سِوى وَجْهِ مَحْبُوبِ   ومَشْروبِ
بِنَفْسي رَشاً ما لي على عِشقهِ صَبْرُ   إذا غابَ عَنْ عَيْني فَمَكْنِسُهُ الصَّدْرُ
مُحَيَّاهُ لي رَوْضٌ ورِيْقَتُهُ خَمْرُ
وما ذُقْتُها لكِنْ هُوَ الشَّوق يَهْذِي بي   لِتَعْذيبي
لِما بيَ فليُشفِقْ عَذُولي مِنَ الوَجْدِ   غَرامٌ بلا بُقيا وهَجْرٌ بلا حَدِّ
رَضِيْتُ لِمن يَهْوى بَخيلاً ويَسْتَجدي
فيا مُهْجَتي ذُوبي ويا أدْمُعي صُوبي   لِمَوْصُوبِ
أيا مَنْ لأشجانٍ تَسُومُ الْحَشا سُقماً   بُلِيْتُ بِتَيَّاهٍ يُقطعُني رَغْما
وَهَبْتُ لَهُ رُوحي فناهَبَني الجِسْما
فَقَدْ صِرْتُ مَمْلوكاً لَهُ بَيْنَ مَوهوبِ   ومنهوبِ !
رَشا في مُحيَّاهُ لِمُبْصِرهِ شُغْلُ   مُؤَدِّبَهُ يَهواهُ والصِّبْيَةُ الكُلُّ
شَكَوْتُ له وَجْدي فقالَ ـ ولم يَغْلُ ـ :
لمن نَشْتَكُو بالْحَقّ قَدْ أفْسَدْ لي تَوْدِيبي   وتَرْتيبي !

[١٤]

الشروح :

الموشح أقرع . فهو يبدأ بالغصن الأول ، ويخلو من المطلع .

وأجزاء الموشحة ـ في الأغصان ـ على بحر الطويل ، أما الأقفال فيخرجها عن وزن الطويل زيادة كلمة ، ففي القفل الأول قال :

«فما لَذَّةُ الدُّنيا سِوى وجه محبوب ومشروب»

وكلمة «مشروب» أخرجت الموشح عن أنْ يكون شعرياً . والخرجة عامية .

[١٥]

وقال أيضاً :

مَرْآكَ النَّضيرْ عَلا وجَلاّ حُسْناً عَنْ نَظيرْ في الدُّنْيا
ما أنْتَ في المِلاحِ إلاّ زَيْنْ يا دائمَ الجِماحِ كم ذا البَيْن ؟!
هَل آفةُ السَّماحِ إلاّ المَيْنْ أضْحَيْتَ كالصَّباحِ
تَفْضَحُ البُدورْ مَهْما أهلاّ وَجْهُكَ الْمُنيرْ أو حيَّا
مَنْ ناصِرُ الكَئيبْ مِنْ أجْفانِ غُزَيِّلٍ رَبيبْ ذي سُلطانِ
سَطا عَلى القُلوبْ بالهِجْرانِ يَدْعُو بلا مُجيب
مالَهُ نَصيرْ ولا تَسَلَّى مَنْ رأى فُتورْ عَيْنَيَّا
قَدْ جَلَّ مَنْ بَراهُ بلا نِدّ كالظَّبْيِ في حُلاهُ وفي الصَّدّ
والبَدْرُ في سَناهُ وفي البُعْدِ مُعَطَّرٌ شَذاهُ
مِنْ صِرْفِ الْخُمورْ تَخالُ عُلاّ ثَغْرُهُ العَطِيرْ الرَّيّا
هَل للرِّضا سبيلْ أو للصَّبْرِ قَدْ شَفَّني الغَليلْ مِنَ الْهَجْرِ
ها عَبْرَتي تَسيلْ عَلى نَحْري كَمْ ذا النَّوى الطويلْ
لَيْتَهُ يَزُورْ عَسَى وعَلاّ هَيَّا يا بَشيرْ بي هَيّا
يا قَلْبِيَ الْمُعَنّى مِنَ الصَّدّ أعِدْ عَليَّ مَعْنى هذا الودِّ

بِمَنْ غَدَوْتُ مُضْنَى رَهْنَ الـوَجْـــدِ فقـالَ لي وغَنَّى :
بي بَـــــدْرٌ مُنير إذا تَجَلَّى فـالْمَـوْتُ الْمُبيرْ مـــاأهْيــــا !

[١٥]

الشروح :

الموشّح تام ، فيه أقفال وخمسة أغصان ، والخرجة فصيحة . وهو موشح غير شعري .

[١٦]

وقال أيضاً :

هَبَّتْ مِنَ النَّومِ عَيْنُ البَهـارْ تُـومي بلَحْـظٍ رَقيـعِ إلى اقْتبـــال الرَّبيـعِ
رَقَّت حَـواشي الـزَّمـــانِ والفَصْـلُ يـا صـاحِ ثـــان
فَفُضَّ خَتْمَ الـــدِّنـــانِ على اصْطِفـاقِ الْمَثـــاني[١]
ولتجْلُهـــا ذاتَ نُـورِ ونـــارْ رَقراقـــةً عنْ نَجيـــعِ كَـدَمْـعِ صَبٍّ فَجيـعِ
ذا الْجَـــــوُّ كاسي الأديمِ مُــزمَّـــلٌ في الغُيـــومِ
دفــــــــاع بَردِ النَّسيمِ فهـــاتِهـــا يــــا نَــديمي
دِفْئـاً لجِسْمِ صَريعِ الـوَقـارْ وطيبُ عيشِ الْخَليــعِ في رَشْفِ ثغرِ البضيعِ[٢]
مـــا لي وثَنْي العِنــــانِ عن رَشْفِ بنْتِ الـــدِّنـــان
كـلاّ وشَـــدْوُ الْمَثـــاني مـــاإن أرَى عنـــهُ ثـــان
فَهـاتِ مِنْ كفٍّ ذاتِ سِـوارْ كالبَـدْرِ عِنْـدَ الطلوعِ مُتَـوّجـــاً بهَـزيـعِ
بـــالنّفس ظَبْيـــةُ خِـــدْرِ بنتُ ثَمانٍ وعَشْرِ
حَلَّتْ بـــأحْنـــاءِ صَــدْري ثُمَّ تَــــــــدينُ بهَجْري !
يـا لائِمي في دُمـوعي الغِـزارْ دَعْني مُنْسَكِبَ الـدُّموعِ للصَّبِّ أيّ شَفيــــعِ
ضَنَّتْ بنَيْـلِ الـوصـــال حتَّى بطيبِ الْخَيـــــال
تيَّـــاهَـــةٌ مـــاتُبـــالي فَظَلْتُ أشـــدو بحـــالي :
كَمْ يَدوم ذا الصُّدودْ والنِّفـارْ يامَنْ سَكَنْ بَيْن ضُلوعي أَشْ يَعْجَبَكْ في وُلوعي ؟

[١٦]

الشروح :

الموشح تام ، من ستة أقفال ، وخمسة أغصان ، وهو موشح غير شعري وجاءت فقرات الأغصان على وزن (المجتثّ) والخرجة عامية .

(١) اصطفق العود : تحرّكت أوتاره . والثاني من أوتار العود مابعد الأول .

(٢) البضيع : الماء النير .

[١٧]

وقال أيضاً :

أدِرِ الكُؤوسا على الطَّرَبِ واجْلُها شُموساً لِمُرْتَقِبِ
يا لها عَروساً لم تَحْتَجِبِ تُبْهِجُ النُّفوسا
فَيَطْوي الْخَجَلْ بِشْرَها طَيّا
حَسْبُكَ الطِّلاءُ على ذا الرَّبيعْ قَد مَضى الشِّتاءُ وهذا الرَّبيعْ
وصَحا الهواءُ ومالَ الْخَليعْ وثَوَت ذُكاءُ[١]
بِبُرْجِ الْحَمَلْ هيَّ بي هَيّا
جُمْلَةُ النَّعيمِ لِمنْ عَدَلا في وِداد رِيْمٍ ورَشْفِ طِلا
فاسْقِني نَديمي وساقِ على مَنْظَرٍ وَسيمِ
سَما واعْتَدَلْ مِلءَ عَيْنَيّا
بأبي حَلي بهِ شُغُلي مالَهُ حُلي سِوى العَطَلِ !
أَسْمَرُ حُلَيّ كما العَسَلْ وجْهُه البَهِيِّ
كَسَتْهُ المقَلْ صِبْغَها زِيّا
جازَ مَنْ لَحاني طَوْرَ العَذَلِ في هَوى مَعاني ساجي الْمُقَلِ[٢]
هل حُلى الحِسانِ سِوَى الكَحَلِ الأُسَيْمِراني
حُلو كالعَسَلِ أيَّ جي[٣] لَيّا !

[١٧]

الشروح :

الموشح أقرع ، فيه خمسة أقفال ، وخمسة أغصان ، والموشح غير شعري ، والخرجة عامية .

(١) ذُكاء : اسم للشمس .

(٢) امرأة ساجية الطرف : فاترته .

(٣) أي جي ليا : هيا أقبلْ إليّ .

[١٨]

وقال أيضاً :

ضاعَ منّي الوَقارُ بينَ كأسٍ تُدارُ وثَغْرِ
عَقْرَبُ الصُّدغِ حُفّا برياضِ الخُدودِ يَمْنَعُ الصَّبَّ قَطْفا غَضَّ تلكَ الوُرودِ(١)
قَدْ حَماني رَشْفا في الرُّضابِ البَرودِ
فَضُلوعي حِرارُ قَدْ كَواها الأُوارُ بِجَمْرِ
أيُّ وردةِ حُسْنِ كُلِّلَتْ ببَهارِ تَحْتَ طُرَّةِ دَجْنِ فوقَ وَجْهِ نَهارِ
يا عَذُولي دَعْني قَدْ خَلَعْتُ عِذاري(٢)
لم يَسُغْ لي اعْتِذارُ مُنْذُ قامَ العِذارُ بِعُذْري
هِلالاً تَجَلّى في سَحابِ الحريرِ وصَباحاً أطَلاّ فوقَ غُصنٍ نَضيرِ
كُلُّ قَلبٍ تَسلّى والْحَشا في سَعيرِ
كيفَ يُرجى قَرارُ في الْحَشا يُسْتَطارُ بِهَجْرِ
آه للعِشْقِ آها والبعادِ الطَّويلِ مُهْجَةٌ قَد كَواها بَرْحُ نارِ الغَليلِ
وجُفُونٌ بَراها فَيْضُ دَمْعٍ هَمُولِ
أنْتَ نُعمَى ونارُ ما عَلَيْكَ اضْطِبارُ لِعُذْري
مَن عَذيرُ فُؤادي مِنْ دُموعِ جُفوني بَرَّحَتْ بِوِدادي وأشاعَتْ شُجوني

فَظَلِلْتُ أُنـــــــادي ـبـــــأسًى وحَنينِـ :
لِيْ دُمـــوعٌ غِـــزارُ نَطَقَتْ يَـوْمَ ســاروا بِسرِّي !

[١٨]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أقفال وخمسة أغصان ، والموشح غير شعري ، والخرجة معربة .

(١) ألف (قطفا) في هذه الفقرة للقافية الداخلية ، وموقع (غض) هو الجر بالإضافة .

(٢) في الأساس : خلع فلان عذاره : إذا تشاطر . وفي الصحاح : يقال للمنهمك في الغي : خلع عذاره .

تمَّ التوشيح . وبه انختم الغَرضُ المطلوب ، وانختم ذلكَ الأُسلوب . ولِمُتَصفّحه الفُضلُ في الإغضاء عند القَضاء . فقد انتظمَ بين قريحةٍ مُتبدّدة واقتراحات مُتَعدّدة . وشبيبةٍ بين الجدّ والهزل مُتردّدة . وما جَنَحْتُ لاستِهداف ؛ لكنه حقّ الموافقة والإسعاف .

ومن الله عَزَّ وجلَّ نسألُ الإقالَة في الفعل والمقالة ، ونضرع إليه من حصائد ألسنتنا فهو سبحانه الُمقل الُمقيل ، وحَسْبُنا الله ونعْمَ الوكيل[١] .

انتهى التقييد والحمد لله حَمْدَ الشاكرين ، والصلاة والسلام على سَيِّد الأولين والآخرين مولانا محمد المصطفى وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى يَدي ناظمه عبد الله المستغفرِهِ لذنبه : أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة ، لطف الله تعالى به ووفقه . وذلك بمدينة الُمَرِيَّةِ حاطَها اللهُ تعالى ؛ بتاريخ أُخريات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

عرّف الله خيره وبركته فيها بمنّه ورحمته[١] .

(١) في نسخة المؤلف : « بلغت القراءة والسماع على منشئه أبقاه الله » في الهامش ، بخط مغاير .

(١) ورد في حاشية نسخة (ط) :

يا قُساةَ القُلوبِ رِفقاً عَلَيْنا اتَّقوا الله في النُّفوسِ الرِّقاقِ

غيره :

قالوا به صُفْرَةٌ شانَتْ محاسِنَهُ فقُلْتُ ما ذاكَ مِنْ عيبٍ به نزَلا

عَيناهُ مَطلوبةٌ في ثأرِ من قَتلتْ فليسَ تَلقاهُ إلاّ خائفاً وَجِلا

غيره :

أهْدَت لنا العَنبرَ في وَسطِهِ زرٌّ من التِّبر دَقيقُ الكِمام (؟)

فالزّر والعنبرُ مَعناهُما زُرْ عابِراً مُخْتَفِياً في الظَّلام

ـ وفي آخر (ط) : ... وآله وصحبه وسلّم ، يوم الأحد الخامس والعشرين من ربيع النبويّ سنة أربع وتسعين وتسع مئة .

مُستدرك الدِّيوان

[١]

ومن المقطوعات قوله(☆) : **[من الكامل]**

١ زارَتْ عَلى حَـــذرٍ من الرُّقَبــاء ... واللَّيْـــلُ مُلْتَفٌّ بفَضْـــلِ رِداء
٢ تَصِـلُ الـدُّجى بسَـوادِ فَرْعٍ فـاحمٍ ... لِتَـزيـدَ ظَلمـاءً إلى ظَلمـاء
٣ فَـوشَى بهـا مِنْ وَجْههـا وحُليِّهـا ... بَـدرُ الـدُّجى وكـواكبُ الْجَـوْزاء
٤ أهْـلاً بِـزائِرةٍ على خَطَر السُّرى ... مـا كنتُ أرْجـوهـا لِيَـوْمِ لِقـاء
٥ أقْسَمْتُ لـولا عِفَّـةٌ عُـذْرِيَّـةٌ ... وتُقىً عَليَّ لَـهُ رقيبٌ رائي
٦ لنَقَعْتُ غُلَّـةَ لَـوْعَتي بِرُضـابِهـا ... ونَضَحْتُ وَرْدَ خُـدودِهـا بِبُكائي !

[١]

الشروح :

(☆) الأبيـات في الإحـاطـة (عنـان) ٢٥٧/١ . وطبعـة المـوسـوعـات ١٢١/١ ـ ١٢٢ . والكتيبـة الكامنة : ٢٤٣ ـ ٢٤٤

(١) في الإحاطة (عنان) والليل ملتفٌّ ، وفي الموسوعات : ملتحفٌ .

(٥) في الموسوعات : وتخوّفي وشي الرقيب الرّائي .

(٦) نقع الماءُ ـ ونقع فلان من الماء وبالماء ـ غُلَّتَهُ : رَوِي .

[٢]

رسالة أُخرى(☆) من ابن خاتمة إلى لسان الدين(☆☆) :

وقال لسان الدين : وكتب إليَّ ـ يعني ابن خاتمة المذكور ـ عقبَ انصرافه من غرناطة في بعضِ قَدَماته عليها مانَصُّه : مما قُلتُه بديهة عند الإشرافِ على جَنابكم السَّعيدِ ودُخولِهِ مع النَّفر الّذين أتحفتهمْ سيادَتكم بالإشراف عَليه ، والدُّخول إليه ، وتنعيم الأبصارِ في المحاسِنِ المجموعةِ لديه ، وإن كان يَوماً قد غابَتْ شَمْسُه ، ولم يَتَّفق أن كَمُل أُنسُه ، وأنشدتُه حينئذٍ بعض من حَضر ولعلّه لم يَبلغكم ، وإن كان قَد بَلَغكم ففضلُكم يحملني في إعادة الحديث :

[من الطويل]

١ أقولُ وعَيْنُ الدَّمعِ نصْبُ عُيونِنا ... ولاحَ لِبُستانِ الوزارةِ جانِبُ
٢ أهذي سَماءٌ أمْ بِناءٌ سَمابِهِ ... كواكبُ غضَّتْ عن سَناها الكواكبُ
٣ تناظرتِ الأشكالُ منهُ تَقابلاً ... على السَّعدِ وُسْطى عِقْدِهِ والجبائبُ
٤ وقد جرَتِ الأمواهُ فيهِ مَجرَّةً ... مذانِبُها شُهْبٌ لَهُنَّ ذوائبُ
٥ وأشْرَفَ من علياه بَهْوٌ تَحفُّهُ ... شماسِيُ زُجاجٍ وشْيُها مُتَناسبُ
٦ يُطِلُّ على ماءٍ بهِ الآسُ دائراً ... كما افْتَرَّ ثَغرٌ أو كما اخضرَّ شاربُ
٧ هنالِكَ ما شاءَ العُلا مِنْ جَلالَةٍ ... بها يَزْدَهي بُستانُها والْمَراتبُ

ولَمّا أُحضر الطعامُ هُنالِك دُعِيَ شَيْخُنا القاضي أبو البركات(☆☆☆) فاعْتَذَر أنّه صائم ؛ قد بَيَّتَهُ من الليل ، فَحضرني أن قلت :

[من المتقارب]

١ دَعَوْنا الْخَطيبَ أبا البركاتِ ... لأكل طَعامِ الوَزيرِ الأَجَلّ
٢ وقد ضَمَّنا في نَداهُ جِنانٌ ... بهِ احتفَلَ الْحُسْنُ حتَّى كمَلْ
٣ فأعْرَض عنا لِعذرِ الصِّيام ... وما كل عُذرٍ لهُ مُسْتَقلّ
٤ فإن الجِنانَ مَحَلُّ الْجَزاءِ ... وليسَ الجِنانُ محلُّ العَمَلْ !

وعندما فَرغنا من الطَّعام أنشدتُ الأبيات شَيخنا أبا البركات ، فقال لي : لو أنْشَدتَنيها وأنتم بعدُ لم تفرغوا منهُ لأكلتُ معكم ، بِرّاً بهذه الأبيات . والْحَوالة في ذلك على الله تعالى ، اهـ .

[٢]

الشروح :

(☆) النص في نفح الطيب ٦/٣٦ ـ ٣٨ . ونقلناه بلفظه . وانظر الخبر في الكتيبة الكامنة : ٢٤٤ ونيل الابتهاج ٧٢ ـ ٧٣

(☆☆) لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله اللّوشي ، ثم الغرناطي ، الكاتب ، ذو الوزارتين (٧١٣ ـ ٧٣٦) أضخم شخصية أدبية في القرن الثامن في الأندلس ، ومن أخطر الشخصيات

من الوجهة السياسية . شارك في أحداث عصره ، وخاض مع الخائضين ، ولقي مصرعه نتيجة الاضطرابات التي سادت علاقته ببعض ملوك بني الأحمر (الغنيّ بالله) . جوانب ابن الخطيب كثيرة مختلفة فهو شاعر مبرز ، وكاتب معدود في زمانه ، ومؤلف مقتدر ، وسياسي محنّك . وقد صدر من كتبه مجموعة مهمة . وعسى أن تسعف الأيام بكتابه (الإحاطة) نشراً وتحقيقاً ، فهو من خيرها . له ترجمة في مؤلف خصّه به الأستاذ محمد عبد الله عنان (لسان الدين بن الخطيب ـ ط . الخانجي ـ القاهرة) . وانظر : نثير الجمان في شعر من جمعني وإياه الزّمان لابن الأحمر ، تحقيق د . محمد رضوان الداية : ٢٤٢ ـ ٢٤٣ . ومقدمة الكتيبة الكامنة للدكتور إحسان عباس . وهناك ترجمة مفصلة ، وذكرٌ لكتب لسان الدين في :

Brock. G. 2.260, Brock. S. 2.372

(☆☆☆) الشيخ القاضي أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم ، المشهور بابن الحاج البَلَّفيقي (بفتح الباء ، وتشديد اللام المفتوحة) المتوفى سنة ٧٧٣ أو ٧٧١ . كان شخصية مشهورة ، وتتلمذ عليه نفر من أعلام العصر كلسان الدين ، وابن خاتمة وغيرهما . وتولى القضاء سنة ٧١٨ بغرناطة ، وتولى بعدها مناصب قضائية هامة منها منصب قاضي الجماعة ، وسفر للغني بالله بن الأحمر لسلطان المغرب أبي سالم إبراهيم . وقال ابن الأحمر إنه ينتسب إلى الصحابي الجليل العباس بن مرداس السلمي ، وذكر نسبه . ترجم له لسان الدين في الإحاطة ١٠١/٢ ، والقاضي النُّباهي في المراقبة العليا : ١٦٤ ، ولسان الدين في الكتيبة الكامنة : ١٢٧ . وابن الأحمر في نثير الجمان ٤٤/ب .

[٣]

و [مما ورد في شعرهم في التورية بأسماء الكتب] قول ابن خاتمة(☆) :

[من الكامل]

١ ومُعَطَّرِ الأنفـــاس يَبسِمُ دائِماً ... عن دُرِّ ثَغرٍ زانَـــهُ ترتيبُ
٢ مَنْ لم يشاهِدْ منهُ عِقْدَ جواهرٍ ... لم يَدْرِ ما التَّنقيحُ والتهذيبُ

[٣]

الشروح :

(☆) أزهار الرياض ٢٠٢/٣ ، ونفح الطيب ٥٣٧/٥

(٢) التورية في : « التنقيح ، والتهذيب » من أسماء الكتب .

[٤]

ومن شعره في الحِكَم قوله(☆) : **[من الطويل]**

١ هو الـدَّهْرُ لا يُبقي على عـائِـذٍ بـه فَمن شـاءَ عيْشـاً يَصْطَبِر لنـوائبـهْ

٢ فَمَنْ لم يُصَبْ في نفسـهِ فُمصـابُـه لِفَـوْتِ أمـانيـهِ وفَقْـدِ حَبـائبـهْ

[٤]

الشروح :

(☆) البيتان في الإحاطة ٢٥٨/١

(٢) كذا ولعله : بفوت أمانيه .

[٥]

ومن قوله العذب(☆) : **[من الكامل]**

فيـكَ الْحَـديثُ ومَوردُ الإنْشـادِ ولَـكَ الخِطـابُ إذا أرادَ الشَّـادي

ومنها :

١ وادٍ دُمـوعُ العـاشِقينَ تَمـدُّهُ مـا لِلْقَتيـلِ بشَطِّـهِ من فـادِ

٢ للطَّيْرِ فيـهِ مـع الأنين تَراجُـعٌ يُنْبيـكَ كَيْفَ تفتَّتُ الأكبـادِ

٣ يـا سـالِكاً بـالْحُسْنِ مَسْلـكَ آمِنٍ طَرحَ اللَّحـاظَ خِـلالَ ذاكَ الـوادي

٤ إيَّـاك واحْـذَرْ من عُيـونِ ظِبـائِـهِ فَلَقَـدْ سَطـا عَـدْواً على الآسـادِ

٥ إنَّ العُيـونَ بـهِ قَـواضٍ والطُّلى بِيْضٌ مِراضٌ والظبـاءُ عَـوادي !

٦ ومن النَّواظِرِ أسْعدٌ لكنَّها بقُدودها مَحْروسَةٌ بصِعادِ
٧ إنّي امْرُؤٌ مازِلْتُ أحْذَرُ بأُسَها لكنْ على حَذري سُلِبْتُ فُؤادي
٨ يا سَرْحةَ الوادي وظِلُّك وارفٌ مَنْ لي بجعل أفْوَدَيْكِ وِسادي ؟!

[٥]

الشروح :

(☆) القصيدة في نثير فرائد الجمان لابن الأحمر من ترجمة ابن خاتمة : ٣٣١ ـ ٣٣٢

(٨) كذا في النّثير . وللفَوْد معانٍ : مُعظم شعر الرّأس ممّا يلي الأذن ، وناحية الرأس ؛ والنّاحية .

[٦]

ومن نظم ابن خاتمة المذكور في فرّان(☆) : **[من الرّمل]**

١ ربَّ فَرّانٍ جَلا صَفْحَتَهُ لَهَبُ الفرن جلاءَ العَسْجَدِ
٢ يُضرِمُ النّارَ بأحشاء الورى مثلما يُضْرَمُ في المُسْتَوْقَدِ
٣ فَكأنَّ الوجْهَ منهُ خُبزةٌ فَوقَها الشَّعرُ كَقِدرٍ أسودِ !

[٦]

التخريج :

(☆) النص في نفح الطيب ٣٨/٦

[٧]

وقال الشريف الغرناطي(☆) :

ومن أحسن ما وقع فيه التضين ما أنشدناه صاحبنا الفقيه الأديب البارع أبو جعفر بن خاتمة ـ أعزه الله ـ وقد بعث إليه الفقيه القاضي أبو البركات ابن الحاج ـ أبقاه الله ـ بطبق فيه أنوار منمقة مُنظّمة تنظيماً عجيباً ، فكتبَ إليه ما اخترتُ منه :

[من الطويل]

١ بَـدَتْ فَجَـلا الإظـلامَ نَيِّرُ نُـورهـا فلـولا الشَّـذا قُلنـا هي الأنجمُ الـزُّهرُ

٢ فَكِهْنـا بِهـا حتّى الصبـاح تنعُّماً يُنـافِحُنـا منّي لـكَ الحمـدُ والشُّكرُ

٣ أقـولُ لِنَـدْمـاني وقـد ظَـلّ مُعجبـاً بحسنِ الـذي أبـدى بهـا النّظمُ والنثرُ

٤ وهــل هـو إلا الرّوضُ حيّى بـزهرِهِ «وسـاق الثُّريـا في مُلاءتـهِ الفجرُ» ؟!

ضَمَّن بيت ذي الرمّة :

أقـامت بـه حتى ذوى العُـود في الثرى وسـاق الثُّريـا في مُـلاءتـه الفجرُ

[٧]

الشروح :

(☆) في رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة ١٠٠/١

(☆☆) في ديوانه : ٢٩١ ويريد بالملاءة بياض الصبح ، شبهه بـالملاءة وهي الثوب الأبيض ، يعني : ساق بياضُ الصبح الثريا . والبيت ثالث أبيات قصيدة له ، وقبله :

ألا يا اسلمي يـا دارَمَيٍّ على البِلى ولا زالَ مُهـلاً بجرعـائـك القَطْرُ

وإن لم تكـوني غير شـــامٍ بقفرةٍ تجرُّ بهـا الأذيـالَ صيفيّـةٌ كُـدْرُ

[٨]

وقال أيضاً(☆) : **[من الكامل]**

١ حـــازَ الْجَمالَ بِصُــورةٍ قَمَريَّـــة تَجلُـو عَليــكَ «مَشــارقَ الأنـوارِ»

٢ وحَـوى الكمــالَ بِصُـورةٍ عُمَريّـــة تَتلـو عليــكَ «منـــاقبَ الأبرارِ»

[٨]

الشروح :

(☆) نفح الطيب ٥٣٧/٥

(١) يورّي بكتابَيْ : مَشارق الأنوار ، ومناقب الأبرار .

[٩]

وكتب إليه(☆) صاحِبُنا الفقيهُ العالِمُ الكاتبُ أبو عبدِ الله مُحمد بنُ أبي القاسم محمَّد بن جُزَيّ ، الكَلبي ، الأندلسي ، قصيدةً حَذف منها الرَّاء الْمُهملة لِلَثْغٍ يَعْتري لِسانَه ؛ يجعلُ مكان الرَّاء غيناً مُعجمة ؛ وهي :

[من الكامل]

١ وَعَدَ الوَفاءَ ولَيْتَهُ ما انَجزا … طَيْفٌ أَلَمَّ بمُقْلَتي مُسْتَوفِزا
٢ ماذا يُفيدُ الطَّيفُ إذْ يَنْتابُني … والنَّومُ قَدْ أعْيا العُيونَ وأعْجزا
٣ يا قاتَلَ اللهُ الزَّمانَ فإنَّهُ … ما زالَ في عُدْوانِهِ مُتَجوِّزا
٤ وإذا تَغافَل عَنْكَ حِيْناً خَطْبُهُ … فَمكَيْدَةٌ حتَّى يُصادِفَ مَنْهَزا
٥ للهِ أيَّامٌ خَوالٍ لم أكُنْ … فِيهنَّ إلاّ لِلْهَوى مُتَحَيِّزا
٦ أتتبَّعُ اللَّذاتِ حَيْثُ وَجَدْتُها … وأميلُ نحو الأُنسِ حيثُ تَحَوَّزا
٧ وأظَلُّ حيثُ اللَّهْوُ يبسطُ ظِلَّه … حَتَّى عَزاني للبطالةِ مَنْ عَزا
٨ والعَيْشُ غَضٌّ والْحَبيبُ مُساعِدٌ … بالوَصْلِ عَفْواً قَبْلَ أن يُسْتَنْجَزا
٩ إنَّ الشَّبابَ إذا سَمَوْتَ لِلَذَّةٍ … وجَعَلْتَهُ مِفتاحَها لَنْ تَعجزا
١٠ ومُعلِّلٍ قَلبي بخُلَّبِ لَفْظِهِ … وعدَ الجميلَ ووَعْدُهُ لَنْ يُنْجَزا !
١١ قَدْ كنتُ أحمِلُ صَدَّهُ وجَفاءَهُ … حتَّى أُعِينا بالبعادِ وعُزِّزا
١٢ ها إنَّني مِنْ بَعْدِهِ لا مَيِّتٌ … أُبْكَى ولا حَيٌّ فَهَلاّ أَجْهَزا ؟!
١٣ يا عِيشةً ألْوَتْ بجِدَّتِها النَّوى … كانتْ كَما أنشأْتَ لَفْظاً مُوجَزا
١٤ ومَحا محاسِنَها البعادُ فقَدْ سَلا … عَنْها فُؤادي بالتَّعَلُّلِ واجْتَزا
١٥ خَدعَ الزَّمانُ بها وكُنْتُ أظُنُّني … خادَعْتُهُ فأبانَ عَمَّا أَلْغَزا
١٦ مَنْ مُبلِغٌ عَنِّي «ابنَ خاتمةَ» الَّذي … خُتِمَتْ بِهِ البُلَغاءُ فَذّاً مُعْجِزا
١٧ إنَّ البلاغةَ قَدْ مَلكتَ زمامَها … وفَتَحْتَ مُقْفَلَها الَّذي قد أعوَزا
١٨ جَلَّيتَ في مَيْدانِها وفَضَحْتَ مَنْ … كانَ انْتَمى قِدماً إليها واعْتَزى

١٩ ولَـكَ البَيـانُ سَحَبْتَ مِنْ أذْيـالِـهِ في حـالَتَيْـهِ مُطْنِبـاً أو مُـوجِـزا
٢٠ فـإذا القَـوافي طـائِعـاتٌ فَهـوَ لا يَخْشى عَقـائِـلَ نَظْمِهـا أن تَنْشزا
٢١ خُـذْهـا أبـا العبَّـاسِ مِنْ ذي خُلَّـةٍ لَـكَ قَـدْ غَـدا بِخُلـوصِهـا مُتَمَيِّـزا
٢٢ حَسْنـاءَ كالـذَّهَبِ الْمُصَفَّى خُلِّصَتْ لِتُخَـطَّ في صُحفِ القُلـوبِ وتُكْنَـزا
٢٣ حـاشَيْتُ أُخْتَ الـزَّاي منها عـامِـداً حتّى لَكِـدْتُ أخـالُ ذلـكَ مُعْـوِزا
٢٤ وافَتْـكَ مُبْلِغـةً سَـلامي بَعْـدَمـا طـالَ البعـادُ فـأوْلِهـا حُسْنَ الْجَـزا !

[٩]

الشروح :

(☆) القصيـدة في (نثير الجمان في شعر من نظمني وإيـاه الزمـان) للأمير أبي الوليـد إسماعيـل بن يوسف بن الأحمر : ١٧٩

ـ محمـد بن محمـد بن أحمـد بن جُـزي أبـو عبـد الله ، أحـد أفراد أسرة مشهـورة بـالعلم والفضـل والرياسة في دولة غرناطة . كان كاتباً بارعاً وشاعراً مبدعاً . كتب لأبي الحجـاج يوسف بن الأحمر أمير غرناطة ، ثم أساء إليه ظلمـاً فغـادر إلى بني مَرِيْن سلاطين المغرب ، فنـال حظوة ورفعة . وهو الذي كتب رحلة ابن بطوطة بقلمه ، وكانت وفاته سنة ٧٥٨ هـ ، وولادتـه في ٧٢١ . ترجم له لسانُ الدين بن الخطيب في الإحاطـة ١٨٦/٢ ، وفي الكتيبـة الكامنـة ٢٢٣ ، وابن الأحمر في نثير الجمان : ٢٨٣

(٦) تَحوَّز : كتحيز، تنحَّى ، يريد : أميل نحو الأنس حيث مال .

(٧) عَزاه إلى شيء : نسبه .

(١٠) البرقُ الْخُلَّب : الْمُطمع الْمُخلِف .

[٩☆]

فجاوَبَهُ بِقصيدةٍ هَجر فيها الرَّاء الْمُهْمَلة ، وبرِسالةٍ مثلها زائيَّةٍ مُعْجَمةٍ(☆) ؛ [القصيدة] :

[من الكامل]

١ مَـزج البـلاغَـةَ بـالجزالـةِ مُـوجِـزا وأتَى بـهِ في الْحُسْنِ بِـدْعـاً مُعجـزا

٢ يَنْســـابُ بين حَــلاوةٍ وطـــلاوةٍ … جمع البـديع بها البـديعَ فـأوْجَـزا

٣ وافَى يُجـــادِبُني الْحَـــديثَ وإنَّما … وافى يُجَشِّمُ بَـــذْلَ نَيْــلٍ مُعْــوِزا

٤ هَـــــلاّ ومَلْعَبُ خَيْلِيَ الآدابُ إذْ … أسْمـو لَهــــا من قَبْـلِ أن تُتَنَجَّـــزا

٥ تَهْفُـو بعِطْفي نَحْوَهـا خُلُق الصِّبـا … مَيْــلاً لِحَيِّــز حُسْنِهـــا وتَحَيُّــزا

٦ أمّــا وقَـد جَـذَبَتْ عِنـانَ عِنـايَتِي … أيْـدِي الْحَقائِقِ فـانْتَبَـذْتُ تَجَوُّزا

٧ هَمِّي تَلَقِّي عِلْمٍ اوْ إلقــــــاؤُهُ … ممـــا يُـؤَمَّـلُ نَفْعُـــهُ يـومَ الْجَـزا

٨ وعَقــائـل الآدابِ مــالَمْ تُصْطَنَـع … بعــــــد التَّثَنِّي أوشكَتْ أن تَنْشزا

٩ وعَــزيـزة الأبيــاتِ أودعَ نَظْمَهـــا … مِن واضـحِ الآيـاتِ مـاقَـدْ أعْجَـزا

١٠ أو واصِـل بن عطــاء أُعطيَ وَصْلَهــا … لم يَعْتزلْ عن حُسْنهــا ولهــا اعْتَــزى

١١ ولأصبحَتْ فيما أتــــــاهُ أُســــوةً … يَعْتــادُهــا مَنْ جَــدَّ قَــوْلاً أو هَــزا

١٢ حَيَّا بهــا [كالابن ؟] بـل أحْيـا بِهـا … مـاضِي البَـديهـةِ مُسْهبـاً أو مُـوجِـزا

١٣ قَسَماً بمـــا خَطَّت غَـوالي نِقْسِـــهِ … في وَجْـهِ صَفحَتِهـا الَّـذي لا يُـوْتـزا

١٤ مــاجنّـة بـالْحَـزْنِ دَبَّـج وَشْيَهـــا … وَكّـــاف مُـزْنٍ لَمْ يَبتْ مُسْتَـوفِـزا

١٥ قـد عَمَّهـا وَجْـهُ الـزَّمـانِ مَحـاسِنــاً … تَسْتَـوْقِفُ الأحْـــداقَ أنْ تَتَجَـوَّزا

١٦ لِغنـاءِ سـاجِعهـا افْتِنـانُ مُسـاجِـلٍ … يُثني عَلَيْهـــا مُفْصِحـــاً أو مُلْغِـزا

١٧ سَحبَ النَّسيمُ بِهـا فُضـولَ ذُيـولِــهِ … فتضـوَّعت طِيْبـــاً ولانَتْ مَغْمَــزا

١٨ بــأتَمَّ أنفـاسـاً وأعْــذَب نَغْمـــةً … مِنْــــهُ لِـــذي سَمْـعٍ وآنـقَ حَيِّــزا

١٩ إيْـــهِ مُهَيِّجــــةَ الجـوى لِجَـوانحي … شَـوْقـــاً لمنْ بحُلى عُــلاهُ تَمَيَّــزا

٢٠ بحيــاةِ وُدِّي في امْتِــدادِ حَيــاتِــهِ … ووَفــاءِ عَهْــدٍ صُنْتُــهُ أنْ يُغْمَــزا

٢١ قـولي وزيْـدي وابْسُطي لي حـالَـهُ … لاتُـوْجـزي، مــاحَقُّـه أنْ يُـوجـزا !

٢٢ وَ صِفي فَفي أوْصــافِـهِ مـا يُجْتَلى … صَـدْعـــاً بهــا فَبِـوَحْيِهـا لا يُجْتزا

٢٣ لمحمــــدِ بنِ جُـزَيٍّ آيــــةُ سُـؤدَدٍ … قـد ظَـلَّ في العَليـا بِهــا مُتَمَيِّــزا

٢٤ نَـدْبٌ إذا مــاالمجـدُ نِيْـلَ بِمِهْنَـــةٍ … لم يــــأْلُ أنْ يَحْظى بــــهِ مُتَعَـزّزا

٢٥ أضْحى ذكاء بَني جُـزَيٍّ غـدوةً شُهب العَلاء بكُـلِّ أُفـقٍ حَيِّزا
٢٦ وغدا الـزَّمانُ بـه اعتدالَ مَحاسِنٍ والآنَ آنَ لِـوَعْـدِهِ أنْ يُنْجَـزا
٢٧ وإليكَهـا مِنِّي تَعِلَّـةَ مُعْـوِزٍ فلَقَـدْ سَموت إليـه سَهْـلاً مُعْـوزا
٢٨ جـانَبْتُ مـاجـانَبْتَ فيـه تَشَيُّعـاً فَمَنِ انْتَبَـذْتَ فَنَبْـذُهُ عِنـدي الْجَـزا

[٩ (*)]

الشروح :

(☆) النص في نثير الجمان لابن الأحمر : ١٨٢

(٢) في الأصل : جميع (تصحيف) .

(١٢) في الأصل كلمة لم تتضح ، ورسمها الظاهر « كالاحى » ؟

(١٣) في الأصل : عَوالي (مهملة) ولعلّها : غَوالي ج غالية : ضربٌ من الطيب . والنِّقْسُ : الحِبر ؛ وفي القاموس : آزى الشيء : حاذاه وجاراه .

(١٤) في الأصل : وكف (بكاف مشددة) فهي بين واكف ، ووكّاف ؛ والوفز : العَجلة .

(١٥) يريد : تجوز بمعنى تخلّف . أي محاسن تجتذب النظر اجتذاباً . ومعنى تجوز في القاموس : احتمل وأغمض في أمر ، وتجوز في ذنب لم يؤاخذ به . وحازه : تعدّاه .

(٢٣) انظر التعريف به في مطلع القصيدة السّالفة .

(٢٤) الندب : الخفيف في الحاجة ؛ النجيب . ولم أجد (المهنة) مستعملة بمعنى المهانة ؛ أو ما شاكل معنى الشاعر في البيت .

[١٠]

قال ابن خاتمة(☆) : **[من الكامل]**

١ لَـولا حَيـائي من عُيـونِ النَّرجس للَثِمْتُ خَـدَّ الـوَرْدِ بين السُّنْـدُسِ
٢ وَرَشَفْتُ من ثَغْرِ الأَقـاحـةِ ريقَهـا وضَمَمْتُ أعْطـافَ الغُصـونِ الْمُيَّسِ
٣ وهَتكتُ أستـارَ الـوَقـار ولَمْ أُبَـل للبـاقِـلا تَلْحـظ بطرفٍ أَشْـوسِ
٤ مـا لي وصَهبـاء الـدِّنـانِ مُطـارحـاً سجَع القِيـان مُكاشِفـاً وَجْـهَ الْمُسِي

٥ شَتَّـــانَ بين مُطَـــاهر ومُخـــاتـــلِ ... ثَـــوْبَ الحجـــا ومطهِّرٍ ومـــــدَنِّسِ
٦ ومُجَمْجِمٍ بـــالعَـــذْل بـــاكرني بـــهِ ... والطير أفصـــحُ مُسعـــدٍ بتَـــأَنُّسِ
٧ نَـــزَّهتُ سمعي عن سَفـــاهـــةِ نُطْقِـــه ... وأعَرْتُـــه صَـــوْتـــاً رَخيمَ الْمَلْمَسِ
٨ سُفِّهتُ في العُشَّـــاق يـــومـــاً إن أكن ... ذاكَ الـــذي يَـــدَعُ الفَصيـــحَ لأَخْرَسِ
٩ أَعَذولَ وَجْدي [لَيْسَ عُشّكِ فادْرُجي] ... ونَصيحَ رُشْدي بـــان نصحـــكَ فـــاجْلِسِ
١٠ هـــل تُبصر الأشجـــارُ والأطيـــارُ والـ ... أزهـــارُ تِلْـــكَ الخـــافِضـــاتِ الأرؤسِ
١١ تـــــاللهِ وهـــوَ أَلِيَّتي وكَفَى بـــــهِ ... قَسَماً يُفَـــــدَّى بَرُّه بـــــالأنْفُسِ
١٢ مـــــاذاكَ من سُكرٍ ولا لِخَـــلاعَـــــةٍ ... لكنْ سجـــودُ مُسَبِّـــحٍ ومُقَـــــدِّسِ
١٣ شُكراً لمِن بَرأَ الـــوجـــودَ بجُـــوده ... فثَنى إليـــــه الكلُّ وجـــــةَ الْمُفْلِسِ
١٤ رفـــــع السَّما سَقْفـــــاً يَروقُ رُواؤُه ... ودَحـــا بسيـــطَ الأرض أوْثَر مَجْلِسِ
١٥ ووَشى بـــأنـــواع المحـــاسِنِ هـــذهِ ... وأنـــارَ هـــذي بـــالْجَـــواري الكُنَّسِ
١٦ وأدَرَّ أخْـــلاف العَطـــــاءِ تَطـــوُّلاً ... وأنـــالَ فَضْـــلاً مَنْ يُطيـــعُ ومن يُسِي
١٧ حتَّى إذا انتظمَ الـــوُجـــود بنسْبَـــــةٍ ... وكسَـــاهُ ثَـــوْبَيْ نُـــورهِ والِحنْـــدِسِ
١٨ واستكملتْ كلُّ النفـــوس كمالَهـــــا ... شَفَـــعَ العطـــايـــا بـــالعَطـــاءِ الأنْفَسِ
١٩ بـــأجـــلِّ هـــادٍ للخـــلائـــقِ مُرْشـــدٍ ... وأتمِّ نـــــورٍ لِلْخَـــــلائـــــقِ مُقْبِسِ
٢٠ بـــالْمُصطفى الْمُهـــدي إلينـــا رَحْمَـــةً ... مَرْمَى الرجـــــاءِ ومسْكَـــــةِ الْمُتَيَئِّسِ
٢١ نِعَمٌ يضيـــقُ الـــوَصْفُ عن إحْصـــائِهـــا ... فَـــلَّ الخطيبُ بهـــا لِســـانَ الأوْجَسِ
٢٢ إيـــهٍ فحـــدثني حَـــديثَ هَـــواهُمُ ... مـــاأبْعَـــدَ السُّلـــوان عن قَلْبِ الأسي
٢٣ إن كنتُ قـــــد أحْسَنْتُ نعتَ جَمالِهِم ... فلَقَـــدْ سَهـــا عَنِّي العَـــذُولُ وقـــد نسي
٢٤ مـــــاإن دَعَـــوْكَ بِبُلبـــلٍ إلاّ لِما ... قَـــدْ هِجْتَ من بَلْبـــالِ هـــذي الأنْفُسِ
٢٥ سُبْحـــانَ من صَـــدَع الجميـــعُ بحَمْـــدِهِ ... وبِشُكره من نـــــاطِـــقٍ أو أخْرسِ
٢٦ وامتـــدَّتِ الأطـــلالُ ســـاجِـــدَةً لـــه ... بجبـــــالِهـــــا من قـــائِمٍ أوْ أقْعَسِ
٢٧ فـــــإذا تَراجَعَتِ الطيـــورُ وزايلتْ ... أغْصـــانَهـــا بـــانَ الْمُطيـــعُ من الْمُسي

٢٨ فيقـولُ ذا : سَكِرتْ لنغمـةِ مُنْشِـدٍ ويَقـولُ ذا : سَجَـدت لِـذِكْرِ مُقَـدَّسِ
٢٩ كُـلٌّ يفُـوهُ بِـذَوْقِـهِ والْحَـقُّ لا يَخْفى عَلى نَظرِ اللَّبيبِ الأكْيَسِ

[١٠]

الشروح :

(☆) النص في الإحاطة (ط محمد عبد الله عنـان) ٢٥٥/١ و (ط الموسوعـات ١٢٠/١ ـ ١٢١) وفي كلتا الطبعتين تصحيفات وتحريفـات ، وخلاف بين النسختين . وقـد رأيت أن أجعل النص عندي (نصاً مختاراً) من كلتيهما ، مع التنبيه على ما أصنع في كل حـال . والمعوّل فيما يرد من النَّصين على الناشرين ، ولم أستطع العودة إلى نسخة مخطوطة من الإحاطة للتحقيق .

(٣) لم أبل : يريد لم أبالِ . وكلمة (تلحظ) كَذا في النُّسختين .

(٩) هذا من أمثال العرب . وانظر فصل المقال للبكري : ٣١٩

(١٤) دحا الأرض : بسطها . وفي البيت إشارات واضحة إلى الآيتين الكريمتين : ﴿ اللهُ الـذي رَفعَ السَّموات بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ﴾ سورة الرعـد ٢/١٣ و ﴿ وَالأرْضَ بَعْـدَ ذلِـكَ دَحـاها ﴾ سورة النازعات ٣٠/٧٩

(١٥) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ الْجَواري الكُنَّس ﴾ سورة التكوير ١٦/٨١

(١٦) أخلاف ج خلف ، وهو للناقة كالضرع للشاة .

(١٧) الحندس : الظلمة .

(٢١) الأوجس : الدهر .

(٢٢) أسي الرّجل فهو آس : حزين .

[١١]

وارتجل(☆) أبو جعفر ابنُ خاتمة رحمهُ الله تعالى لما باتَ في قرية بَيّش :

[من الكامل]

١ للهِ مَنْـزِلُنـا بقَرْيَـةِ بَيّشٍ كادَ الْهَـوى فيهـا ادِّكاراً بي يَشي
٢ رُحْنـا إليْهـا والبِطـاحَ كأنّهـا صُحفٌ مُـذَهَّبَـةٌ بـإبْريـز العَشي

فأجازه الوزيرُ ابن جُزَيّ بقولِه : [وورّى بالكتب]

١ في فِتْيَـةٍ هَـزَّتْ حُمَيَّـا الأُنسِ مِن ... أعْطـافِهم فـالكلُّ منهـا مُنْتَشي

٢ يـأْتي عُـلاهُمْ بـالصَّحيـحِ، ولَفْظُهُمْ ... بـالْمُنْتَقى، وجمـالُهم بـالْمُـدْهِشِ !

[١١]

التخريج :

(☆) النص في نفح الطيب ٣٠٢/٤

[١٢]

ومن المقطوعات قوله(☆) : **[من البسيط]**

١ خـطَّ السَّنـا ذَهَبـا في الـلاّزَوَرْدِيِّ ... فـالأُفـقُ مـابَيْنَ مَرْقُـومٍ ومَـوْشيِّ

٢ كأنَّما الشُّهْبُ والإصْبـاحُ يَنْهَبُهـا ... دَراهِمٌ سَقَطَتْ مِنْ كفِّ زَنْجيٍّ !

[١٢]

التخريج :

(☆) البيتان في الإحاطة (عنان) ٢٥٨/١ . وطبعة ([illegible] ـيسات) ١٢٢/١ . والكتيبة الكامنة : ٢٤٤

[١٣]

وقال ابنُ خاتمة(☆) : **[من الخفيف]**

١ أرسلَتْ لَيْـلَ شَعرِهـا من عَقْصِ ... عَن مُحَيّـاً رَمى البُـدورَ بِنَقْصِ

٢ فـأَرَتْنـا الصَّبـاحَ في جُنْـحِ لَيْـلِ ... يتَهـادَى مـابَيْن غُصْنٍ ودِعْصِ

٣ وتَصَـدَّتْ برامِحـاتِ نُهـودٍ ... أُشْرِعَتْ لـلأنـامِ مِنْ تَحْتِ قُمْصِ

٤ فَتَـولَّت جُيـوشُ صَبْري انْهـزامـاً ... وبـوُدِّي ذاكَ اللِّقـاءُ وحِرْصي

٥ ليسَ كُـلُّ الَّـذي يَفِرُّ بِنـاجٍ ... ربَّ طَعْنٍ فيـه حَيـاةٌ لِشَخْصِ

٦ كيفَ لي بـالسُّلوِّ عنها وقَلْبي قَدْ هَوى حِلمُه بمَهْوى لِخُرْصِ
٧ ما تعاطَيتُ ظاهِرَ الصَّبْر إلاّ رَدَّني جِيدُها بأوْضَحِ نَصٍّ!

[١٣]

الشروح :

(☆) النص في الإحاطة (عنان) ٢٥٨/١ . وطبعة الموسوعات ١٢٢/١

(٢) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة ، أو الكثيب منه المجتمع أو الصغير ، وبه تشبه الأوراك .

(٦) في (ط عنان) : لخوص ، (بخاء وواو) وفي (الموسوعات) : وحوص ، بحاء مهملة وواو . ولعلّها كما رسمتها لخرص ، وهي القناة والسنان ، وهذا يتلاءم مع سياق النص ، واحتمال الرسم .

(٧) نصَّ الحديث (والكلام) رفعه وأسنده . ونصّت الظبية جِيدَها : رفعته .
ـ وفي البيت تورية .

[١٤]

رسالة من ابن خاتمة إلى لسانِ الدّين(☆) :

إلى أن قال : « ومما خاطبني به بعد إلمام الركاب السُّلطاني ببلده وأنا في صُحبته ، ولِقائه إيَّايَ بما يَلْقى بهِ مثله من تَأْنيس وبِرٍّ ، وتودُّدٍ وتَرَدُّد :

[من الكامل]

١ يا مَنْ حَصَلْتَ على الكمالِ بما رَأَتْ عَيْناايَ منهُ مِنَ الْجَمالِ الرَّائعِ
٢ قمرٌ يَرُوقُ وفي عِطافَيْ بُردهِ ما شِئْتَ من كَرَمٍ ومَجْدٍ بارِعِ
٣ أشْكُو إليكَ من الزَّمانِ تحامُلاً فِيْ فَضِّ شَمْلٍ لي بِقُربكَ جامِعِ
٤ هَجَمَ البعادُ عَليه ضَنّاً باللّقا حَتَّى تَقلَّص مثلَ بَرْقٍ لامِعِ
٥ فَلَو أنني ذُو مَذْهبٍ لِشَفاعةٍ ناديْتُه: يا مالكي يا شافعي!

شكواي إلى سيدي ومَعظَّمي ـ أقرَّ الله تعالى بسنائه أعين المجد ، وأدرَّ بثنائه ألسن الحمد ـ شكوى ظمآن صَدَّ عن القراح العذب لأول وروده ، والهيمان ردَّ عن استرواح القرب لمعضل صدوده ... » .

[١٤]

الشروح :

(☆) النص من نفح الطيب ٣٤/٦ ـ ٣٥

(٥) وفيه تورية ظاهرة .

[١٥]

[من وصف لسان الدين لابن خاتمة وحديثه عنه] :

[و] كان مُجَلِّياً ، وأنشدَ في حَلبة الشُّعراء قصيدةً أوَّلُها(☆) : **[من الكامل]**

أجِنانُ خُلْدٍ زُخرفت أم مَصْنَعُ ... والعِيْدُ عاوَد أمْ صَنِيعٌ يُصْنَعُ ؟

[١٥]

التخريج :

(☆) البيت في الإحاطة (عنان) ٢٥٢/١ . وطبعة الموسوعات ١١٨/١

[١٦]

ومن غرامياتِ ابن خاتمة قوله(☆) : **[من البسيط]**

١ وَقَفْتُ والبَيْنُ قَدْ زُمَّتْ رَكائِبُهُ ... وللنفُوسِ مَع الأنفاسِ تَقْطِيعُ

٢ وقَدْ تَمايَلَ نَحْوي للوَداعِ وهَلْ ... لِراحلِ القَلْبِ صَدْرِ الرَّكْبِ تَوْديعُ

٣ أضُمُّ مِنْهُ كَما أهْوى لِغَيْرِ نوًى ... رَيْحانَةً في شَذاها الطِّيبُ مَجْموعُ

٤ تَهْفُو فأُذعَرُ خَوفاً من تَقَصُّفِها ... إنَّ الشَّفيقَ بِسُوءِ الظَّنِّ مَوْلُوعُ

٥ هَلْ عِند مَنْ قَدْ دَعا بالبَيْن مَغلبةٌ ... أنَّ الرَّدى منه مرئيٌّ ومَسْموعُ

٦ أُشَيِّـعُ القَلْبَ من رَغْمٍ عليَّ ومـــا بَقــاءُ جِسْمٍ لَــهُ للقَلْبِ تَشْييــعُ
٧ أُرِي وُشـاتيَ أنّي لَسْتُ مُكْتَرِثـاً لِما جَرى وصميمُ القَلْبِ مَصْـدوعُ
٨ الـوجـدُ طَبعي ، وسُلواني مُصـانَعَـةٌ هَيْهـاتَ يُشكِـلُ مَطْبـوعٌ ومصنـوعُ
٩ «إن الجـديـدَ إذا مـازِيْـدَ في خَلَـقٍ تَبَيَّنَ النّـاسُ أنَّ الثّـوب مَرْقـوعُ»

[١٦]

الشروح :

(☆) النص في الإحـاطـة (عنـان) ٢٥٤/١ ـ ٢٥٥ . وطبعـة الموسوعـات ١١٩/١ ـ ٢٠ . والكتيبـة الكامنة : ٢٤١ ـ ٢٤٢

(٤) أولع بالشيء ، فهو مولع به .

(٨) أشكل الأمر : التبس .

[١٧]

وقال ابن خاتمة(☆) : **[من الخفيف]**

١ أنـا بَيْن الْحَيـاةِ والْمَـوْتِ وَقْفُ نَفَسٌ خـافِتٌ ودَمْـعٌ وَوَكْفُ
٢ حَـلَّ بي مِنْ هَـواكَ مـالَيْس يُنْبي عَنْـهُ نَعْتٌ ولا يُعبِّرُ وَصْفُ
٣ عَجبـاً لانْعِطـافِ صُـدْغَيْـكَ والمعطفِ والجِيْـدِ ثُمَّ مـامِنْـكَ عَطْفُ !
٤ ضَـاق صَدْري بِضيقِ حِجْلِكَ واسْتَـوْ قَفَ طَرْفي حَيْرانَ ذاكَ الـوَقْفُ
٥ كَيْفَ يُرْجَى فِكاكُ قَلْبٍ مُعنّى في غَرامٍ قَيْـداهُ قِرْطٌ وشَنْفُ

[١٧]

الشروح :

(☆) الأبيات في الإحاطة (عنان) : ٢٥٨ ، وطبعة الموسوعات ١٢٢/١

(٤) الحِجْلُ (بالكسر) : الخلخال .

(٥) الشّنف : ماعلق في أعلى الأذن ، وأما ماعلق في أسفلها فقِرط .

[١٨]

[و] من غرامياته قوله(*) : [من الكامل]

١ مَنْ لم يُشــاهِــدْ مَـوْقِفـاً لفِراقِ ... لَمْ يَــدْرِ كَيْفَ تَـولّـهُ العُشّـاقِ
٢ إنْ كُنْتَ لَمْ تَرَهُ فســائِـلْ مَنْ رأى ... يُخْبِرْكَ عن وَلَهِيْ وهَـوْلِ سيـاقي
٣ مِنْ حَرِّ أنفـاسٍ، وخَفْـقِ جَـوانـحٍ ... وصُـدوعِ أكْبـادٍ وفَيْضِ مـآقِ
٤ دُهِيَ الفُـؤادُ فـلا لِسـانٌ نـاطِـقٌ ... عِنْـدَ الـوَداعِ ولا يَـدٌ متراقِ
٥ ولَقَـدْ أُشيرُ لِمَنْ تكلَّف رِحْلَـةً ... أنْ عُـجْ عَليَّ ولـو بقَـدْرِ فُـواقِ
٦ عَلّي أُراجِـعُ مِنْ ذَمـاي حشـاشَـةً ... أشكـو بهـا بَعْضَ الـذي أنـا لاقِ !
٧ فمَضى ولَمْ تَعْطِفْـهُ نَحْـويَ ذمَّـةٌ ... هَيْهـاتَ! لا يَثْني عَلى مُشْتـاقِ
٨ يـا صاحِبَيَّ وقَـدْ مَضى حُكْمُ الْهَـوى ... رُوحـا عَلَيَّ بِشيمَـةِ الإشْفـاقِ
٩ واسْتَقْبِـلاهـا نَسْمَـةً من أرضِكُمْ ... فَلَعَـلَّ نَفحتهـا تَحُـلُّ وَثـاقي
١٠ إنّي لَيَشْفيني النَّسيمُ إذا سَرى ... مُتَضَـوِّعـاً من تِلْكُمُ الآفـاقِ
١١ مَنْ مُبْلـغٌ بـالجِـزعِ أهـلَ مَـوَدَّتي ... أنّي على حُكْمِ الصَّبـابَـةِ بـاقِ ؟
١٢ ولئن تحـوَّل عهـدُ حُبِّهِمُ نَـوى ... مـا حُلْتُ عَنْ عَهْـدي وعَنْ مِيْثـاقي
١٣ أنِفَتْ خَـلائقيَ الكِرامُ لِخَلَّتي ... نَسَبـاً إلى الإخْـلالِ والإخْـلاقِ
١٤ قَسماً بِـه مـا اسْتَغْرَقتني فِكْرَةٌ ... إلاّ وفِكْري فيـهِ واستغراقي
١٥ لي أنَّـةٌ عنـد العشِيِّ لَعَلَّـهُ ... يُصغي لهـا، وكـذا مـعَ الإشراقِ
١٦ أبْكي إذا هَبَّ النسيمُ فـإن تَجِـدْ ... بَلَـلاً بـه، فَبِـدَمْعِيَ الْمُهْراقِ
١٧ أُومي بِتَسْليمٍ إليـهِ مـع الصَّبـا ... فـالـذِّكْرُ كُتبي، والرِّفـاقُ رِفـاقي
١٨ مَنْ لي على شَحْـطِ الْمَـزارِ بنـازحٍ ... أدنى لِقَلْبي مِن جَـوى أشـواقي
١٩ إنْ غـابَ عنْ عَيْني فَمَثْـواهُ الْحَشـا ... وسُراهُ بَيْنَ القَلْبِ والأحْـداقِ
٢٠ جـارَتْ عَليَّ يَـدُ النَّـوى بفِراقِـه ... آهـاً لِما جَنَتِ النَّـوى بفِراقِ
٢١ أحْبـابَ قَلْبي هَـلْ لِماضي عَيْشِكُمْ ... رَدٌّ فَيُنْسَـخَ بَعْـدكم بِتَـلاقِ ؟!

٢٢ أمْ هَلْ لأَثْوابِ التَّجلُّدِ راقعٌ إذْ لَيْسَ مِن داءِ المحبَّةِ راقِ
٢٣ ماغابَ كوكبُ حُسْنِكُمْ عنْ ناظِري إلاّ وأمْطرتِ الدِّما آماقي
٢٤ إيهٍ أُخَيَّ أدرْ عليَّ حَديثَهُمْ كأْساً ذكَتْ عَرْفاً وطيبَ مَذاقِ
٢٥ وإذا جَنحتَ لماءٍ اَوْ طَرَبٍ فمِنْ دَمْعي الْهَمُوعِ وقَلبيَ الخفَّاقِ
٢٦ ذِكْراهُ راحي، والصَّبابةُ حَضْرَتي والدَّمْعُ ساقِيَتي، وأنْت السَّاقي
٢٧ فَلْيَسْلُ عَنّي مَنْ لَحاني إنَّني راضٍ بما لاقَيْتُه وأُلاقي!

[١٨]

الشروح :

(☆) النص في : الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة ، تأليف لسان الدين بن الخطيب ٢٤٠ ـ ٢٤١ . وفي الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (طبعة الموسوعات ، القاهرة) : ١١٨ ـ ١١٩ . وانظر أيضاً الإحاطة (طبعة دار المعارف بمصر) : ٢٥٢ ـ ٢٥٤ . واعتمدت النص كما أثبته في الكتيبة الكامنة .

ـ القصيدة معارضة لقصيدتين إحداهما لابن خفاجة (ديوانه : ١٥٨) ومطلعها :

أمقامُ وصلٍ أم مقامُ فراقِ فالقُضبُ بينَ تصافحٍ وعِناقِ

والثانية لأبي عبد الله بن أبي الخِصال (رسائله وشعره= ٦٥١) ومطلعها :

هبَّ النَّسيمُ هبوبَ ذي إشفاقِ يُزْهى الهوى بجناحِهِ الْخَفَّاقِ

(٤) كذافي الأصول : متراق .

(٥) الفواق : مابين الْحَلْبَتَيْن من الوقت .

(٢٥) همعت عينه : سال دمعها .

[١٩]

وقال ابن خاتمة(☆) : **[من الوافر]**

١ دِماءٌ فوقَ خَدِّكِ أم خَلُوق وريْقٌ ما بثَغْركِ أم رَحيقُ
٢ وما ابتَسمَتْ ثَنايا أمْ أقاحٍ ويكنفُها شِفاهٌ أم شَقيقُ
٣ وتِلْكَ سَناةُ نَوْمٍ ماتعاطَتْ جُفونُكِ أمْ هي الْخَمْرُ العَتيقُ

٤ لَقَدْ أعْدَتْ مَعَاطِفُكِ انْثِناءً   وقلبي سُكْرُهُ ما إنْ يُفيقُ
٥ جَمالُكِ حَضْرَتي وهواكِ راحي   وكأسُكِ مُقْلَتي فمتى أُفِيقُ ؟

[١٩]

الشروح :

(☆) الأبيات في الإحاطة (عنان) ٢٥٩/١ (وطبعة الموسوعات) ١٢٣/١

(١) الْخَلُوق (بالفتح) : ضربٌ من الطِّيب .

(٢) في الصحاح : وشقائق النعمان معروف . واحده وجمعه سواء .

[٢٠]

[و] من قوله يتغزّل(☆) :   [من البسيط]

١ أَكُلُّ شاكٍ بداءِ الْحُبِّ مُضْناكِ   ماذا جَنَتْهُ على العُشّاقِ عَيْناكِ
٢ قدْ كانَ لِيَ عن سَبيلِ الْحُبِّ مُنْصَرَفٌ   حَتَّى دَعَوْتِ لَهُ قَلْبي فَلَبَّاكِ
٣ أيْقَظْتِهِ لأساهُ ثُمّ نِمْتِ وَما   بالَيْتِ، إيَّاكِ شكوى الصَّبِّ إيّاكِ
٤ أحْيِي دَمايَ وما أتْلَفْتِ مِنْ رَمَقٍ   إنْ قلتُ عِطفاكِ قالا بَلْ دَلالاكِ
٥ كأنني لَسْتُ أدري مَنْ أراقَ دَمي   واللهِ ما بِفُؤادي غَيْرُ مَرْماكِ
٦ أسْتَغْفِرُ اللهَ لا أبْغيكِ مَظْلَمَةً   فأنْتِ مِنِّيَ في حِلٍّ، ومِنْ ذاكِ
٧ كُلٌّ عَلَيَّ لَهُ جُنْدٌ مُجَنَّدَةٌ   يَكْفيكِ يا هِنْدُ أنّي بعضُ قَتْلاكِ !
٨ كَيْفَ الْخَلاصُ لِمِثْلي مِنْ هَواكِ وَقَدْ   رمَى بِيَ الوَجْدُ في أشراكِ أشْراكِ
٩ أعْدَتْ جُفونُكِ قَلْبي حَيْرةً وضَنًى   فَهَلْ دليلٌ لقلبٍ حائرٍ شاكِ ؟
١٠ قَدْ كُنْتُ أطْمَعُ أنْ تَصْحُو صَبابَتُهُ   لو قَدْ صَحَتْ مِنْ حُمَيّا التِّيْهِ عِطْفاكِ
١١ زَجَرْتُ فيكِ رَسُولَ الطرفِ عن نظَرٍ   فهلْ عَلى القَلْبِ عَتْبٌ إنْ تَمَنَّاكِ
١٢ يا طَلْعَةَ الْحُسْنِ تَزْهو في مَلابِسِهِ   رُحْماكِ في أنْفُسِ العُشّاقِ، رُحماكِ
١٣ تِيْهي على الشَّمْسِ واسْبِي البَدْرَ مَطْلَعَهُ   فإنّما رَوْضَةُ الدُّنيا مُحيّاكِ

١٤ أقــولُ والرَّوْضُ يُجْلَى في زَخــارفــهِ ... مَنْ عَلَّم الرَّوْضَ يَحكي حُسْنَ مَغْنــاكِ
١٥ في فِيْـكِ راحٌ وفي عِطْفَيْـكِ هِـزَّتُهـا ... فَهَـلْ تثنِّيْـكِ سُكْرٌ مِنْ ثَنــايــاكِ
١٦ أليْسَ مِنْ أعظمِ الأشيــاءِ مَـنْوجــدةً ... أنْ تَضحكي بي وطَرْفِي دائِمٌ بـــاكِ
١٧ وأقْطَـعُ العُمْرَ مــالي في سِواكِ هَوًى ... ولَيْسَ لي مِنْـكِ يَـوْماً حَـظٌّ مِسْواكِ
١٨ أُوْمي بفيَّ لِتَقْبيــلِ الصَّبــا وَلَهــاً ... أقـول شَـوْقــاً عَســاهــا قَبَّلتْ فــاكِ
١٩ وأمــلأُ الصَّــدْرَ من أنْفــاسِهــا كَلَفــاً ... بِما أَشُمُّ بهــــا من طِيْبِ رَيّـــاكِ
٢٠ هَـلْ بـالأُثَيْـلِ وبــانِ الجـزعِ تَسْليـةٌ ... ومـا الأُثَيْلُ وبـانُ الْجَـزْعِ لَـوْلاكِ!؟
٢١ إنّي لأَهْـواهُ والثّـــاوي بحِلَّتـــهِ ... ولَسْتُ أهــوى على التَّحْقيـــقِ إلاّكِ
٢٢ يـا مَنْ نـأتْ وبـأحْنـاءِ الضُّلوع ثـوَتْ ... تُراكِ تَنْسَيْنَ صَبّــاً لَيْسَ يَنْســاكَ؟
٢٢ أمــــا وسِرُّ جَمالٍ أنْتِ رَوْنَقُـــــهُ ... لَو صُـوِّرَ الْحُسْنُ شَخْصـاً مـاتَعَـدّاكِ!
٢٤ حَيِّي عَلى البُعْـدِ تُحيي نَفْسَ ذي كَمَـدٍ ... مــا إنْ تَهُبُّ صَبــاً إلاّ وحَيّـــاكِ

[٢٠]

الشروح :

(☆) القصيــدة في نثير الْجُمان في شعر من نظمني وإيــاه الزّمــان لـلأمير أبي الـوليـد إسماعيـل ابن الأحمر : ١٧٦

(٣) في الأصل : « لأساةٍ » .

(١٦) كذا في أصل النسخة .

[٢١]

ومن قول ابن خاتمة أيضاً : **[من مخلع البسيط]**

١ سَفَّهني عــــاذِلي عَلَيْـــــهِ ... وقــــالَ لي وُدُّه عَليْـــــلُ
٢ فَقُلْتُ : مُعتـــــلٌ أو صَحيْـــحٌ ... يُــودِعُــه عَيْنَـــهُ الخليــلُ[٢] !

[٢١]

الشروح :

(☆) أزهار الرياض : ٢٠٢/٣ ، ونفح الطيب : ٥٣٧/٥

(٢) يورّي بكتاب (العين) للخليل بن أحمد . وقد اشتهر هذا الكتاب في الأندلس ، وكذا مختصر العين الذي صنعه أبو بكر الزبيدي الأندلسي .

[٢٢]

[وفي نفح الطيب] :

« وحكى غيرُ واحد ؛ منهم ابن داوود البَلَوي ـ أن القاضي أبا البركات(☆☆) لما عزم على الرحلة إلى المشرق كتب إليه ابنُ خاتمة بما صورته :

[من الوافر]

١ أشَمْسَ الغَرْبِ حقّاً ما سَمِعْنا ... بأنّك قد سَئِمْتَ من الإقامَهْ

٢ وأنَّكَ قَدْ عزمتَ على طُلوع ... إلى شَرْقٍ سَمَوْتَ به عَلامَهْ

٣ لقد زلْزَلْتَ مِنّا كُلَّ قَلْبِ ... بحَقِّ اللهِ لا تَقِمِ القِيامَهْ !

قال الحاكي فحلفَ أبو البركات أن لا يرحلَ من إقليم فيه مَنْ يقولُ مثل هذا ؛ انتهى(☆☆☆) .

يشيرُ بقوله : « لقد زلزلت ... إلخ » إلى طلوع الشّمس من مغربها(☆☆☆☆) .

[٢٢]

التخريج :

(☆) نفح الطيب : ٤٨٢/٥ ، والنص في (رائق التحلية في فائق التورية : القطعة ٥٠) .

(☆☆) سبقت ترجمته .

(☆☆☆) قال أبو جعفر بن زرقاله ، حكاية عن شيخه ابن خاتمة : إن هذا كان سنة ٧٣٩ . وقال هناك بعد الأبيات : إن السفينة التي خلّفها أبو البركات دون رحلته غرقت ليلة إقلاعها من مرسى المريّة .

(☆☆☆☆) يشير صاحب النفح إلى بعض أشراط السّاعة .

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وصلَّى الله على سيِّدنا محمّدٍ وآلهِ وسلَّم

قالِ الشَّيخ الفقيه العالِم العَلَمَ الأديبُ الفاضِل أبو جعفر أحمدُ بنُ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ خاتمة :

كتب إليَّ شيخُنا الفقيهُ القاضي الجليلُ العادل النَّزيهُ الصَّدرُ الأوحد الخطيبُ البليغُ الأُستاذ العَلَم الأكْمَلُ ، خَلَفُ أولياء اللهِ تعالى ووَارِثُ درجَتِهم ، أبو البَرَكات محمّدُ بنُ محمّد بن الحاجّ البَلَّفيقِي[1] ـ أبقى الله تعالى بَرَكتَه ، وحفِظ في مَراتبِ أهلِ العِلم درجتَه ـ سائلاً ومُنازِلاً :

« يا مَنْ إذا تنافَرَتِ المعاني فهو لها حَكَمٌ عادل ! أيُّها أثقَلُ على المُحِبِّ : الرَّقيبُ أوِ العاذِل ؟ وقد ظهر لي مَنِ الأثقلُ ، ولكنّي أردْتُ أن يتأيَّدَ ما مِن ذلك يُعْقَل ، بما عَنْ مِثْلك مِن الأخبارِ يُنْقَل . لا زِلْتَ للمعالي خِبْئاً ، ولطُلّابها رِدْءاً[2] ، والسَّلام » .

فأجَبْتُه جارياً من طريقةِ الأدب على المَهْيَع[3] الَّذي سَلَكَ والمَذْهَب الَّذي ذهَب ، وهو (الفَصْلُ العادِل ، بَيْنَ الرَّقيبِ والوَاشي والعَاذِل) . أمَّا بعدَ حَمْدِ الله تعالى مُخَوِّل[4] أوليائهِ مِنْ مَوَاهِبِ آلائه[5] وَاجْتِبائِه ما يُربِي[6] عَنْ رَغْبَةِ الرَّاغب وأمَلِ الآمِل ، المُصْفِي لهم مِن مَوارِد حُبِّه ومُشاهِد قُرْبه ما تَنَزَّهَ عن رِقْبَةِ الرَّقيب وعَذْلِ العاذِل ؛

والصَّلاةُ والتَّسليم على سيِّدنا محمّدٍ المصطفى الكريم المخصوص مِنْ تلكَ المقاماتِ بأحظى درجة الأواخر والأوائل ؛

---

(١) سبقت ترجمته في القطعة (٢) من المستدرك على الدّيوان .

(٢) الرِّدء : العَوْن .

(٣) المَهْيَعُ : الطَّريق البيِّن ، ويعني به أسلوبَ أبي البركات البلّفيقي في النثر المسجوع .

(٤) خوّلَه اللهُ الأمر : أعطاه إيّاهُ مُتفضّلاً .

(٥) الآلاء : النِّعَم .

(٦) أربى : زادَ .

والرِّضى عن آله الكرام وصَحابتِه الأعلامِ أُولي الفضائِل المأثورة والفَواضل ، الْمُحْرِزِينَ عنه إرْثَ تلكَ الدّرجة الرَّفيعة والْمَقامِ الفاضِل .

فإنَّك ـ أيُّها الْحَبْرُ البَحْرُ[(٧)] ، والإمامُ الصَّدْر ، وقَاكَ الله خُلْسَةَ الرُّقباء[(٨)] وإلحاحَ العاذِل واخْتِلاقَ الوُشَاةِ[(٩)] ـ سألتَ عن مسألةٍ مِن الْمَسائل : أيُّها أثقلُ على الْمُحِبّ : الرّقيبُ أم العاذِل ؟ فَهَلاَّ في الزَّمانِ الغابرِ[(١٠)] والعَصْرِ الذّاهِب والعَهْدِ الْمُتَقدِّم ؛ والقَلْبُ حليفُ حُبٍّ وشَوْق ، حتَّى أُخبرك عن عِيَان وأُشافِهكَ عَنْ ذَوْق ؟ أمَا وقَدْ خَبَا الوَقْد وكَبَا الزَّنْد[(١١)] ونَبَا الْحَدّ[(١٢)] وفاءَ ظِل[(١٣)] الأُنْسِ الْمُمْتَدّ ، فأقولُ بِمُقتضى النَّظر ، وليس الْخُبْرُ كالْخَبَر[(١٤)] :

إنَّ في الْحُبّ ثلاثَ خصالٍ : رُقباءٌ ووُشاةٌ وعُذَّال ، ليس على الْمُحِبّ بعدَ الهَجْرِ أدْهى منها ، ولا مَحِيص[(١٥)] لكلّ عاشِق ومَعْشوقٍ عنها ، وهِي على الْجُملة تَتَشابَهُ تَشَابُهَ النَّظائِر ، ولكنَّها عندَ التَّفصيلِ تَتَبايَنُ تَبايُنَ الضَّرائِر .

فأمَّا الرَّقيبُ فَمُسَلَّطُ العَيْن ، على كُلِّ إلفَيْن ، يَتَرَصَّد الْخُلَس ، ويَتَرَقَّبُ الغَلَس[(١٦)] ، ويُسَلِّلُ لحظَه بينَ النَّفْسِ والنَّفَس ؛ ما طَلَعَ إلاّ كدَّر الوِصال ، وقَطَع الأوْصَال ، وقَصَم الانتِظامَ والاتِّصال ؛ إنْ لَحَظَ أَحْفَظ[(١٧)] ، وإنْ رمَقَ رَشَق ، أو نَظَرَ أضَرَّ ، أو دَنَا لم يُبْقِ ولم يَذَر .

---

(٧) الْحَبْر : العالم .

(٨) خُلسة الرّقباء : استِراقُهم النّظرة بعد النظرة .

(٩) اختلق الكذب : افْتَرَاه .

(١٠) يعني : ألا كانَ سؤالُك في الزّمان الماضي .

(١١) الزّند : العود الّذي يُقْدَح به النّار ؛ وكبا الزّند : لم يُخْرِج نارَه .

(١٢) الْحَدّ : حدّ السّيف ونحوه ؛ ونَبَا حدُّ السّيف : لم يَعْمَل في الضّريبة .

(١٣) في الأصل : « وباطل الأنس ... » تحريف . وفاءَ الظِّلُّ : صار فيئاً ؛ والفَيءُ : ظِلٌّ ما بعدَ الزّوال ، والظِّلُّ : ما قبلَ الزّوال .

(١٤) الْخُبْرُ : العِلم .

(١٥) الْمَحِيص : الْمَهْرَب والْمَحِيد .

(١٦) الغَلَس : ظُلْمَة آخر اللّيل .

(١٧) أحْفَظَهُ : أغضبه .

وأمّا العاذل فَمُسَلَّطُ اللِّسـان ، على كلِّ مُحِبٍّ هَيْمان ، يَرْشُقُه بسِهام مَلامِه ، ويَلُوكُه لَوْكَ الْمُهْرِ لِحَكَمَةِ لِجامِه[١٨] ؛ كَلِماتُه مُحْفِظات ، باردَةُ العِظات ، مُظْهِرَةٌ لِوُجوهِ الْحَسَنـاتِ في مظـاهِر الهَنَات[١٩] ؛ إنْ قالَ أحَال[٢٠] ، وإن تكلّم آلَمَ ، وإنْ سلَّمَ تَوَدُّ لو تَرَكَ السُّنَّةَ وما سَلَّم !

وأمّا الواشِي فَمُصَرِّف العَيْنِ واللِّسان ، وآخِذٌ مِن هذا بشأنٍ ومِن هـذا بشَـان ، نَظَرُه اختِلاس وتَجْسِيس ، وكلامُه تَخْمينٌ وتَـدْليس[٢١] ، إن قَصَّرَ فلسـانُـه طويل ، أو عَمِيَ بَصرُهُ فقـائِـدُه القـالُ والقِيـل ؛ فالرَّقيبُ أعوانُه أجْفانُه ، والعاذِل سِنَانُه لِسانُه ، والواشِي وزيرُه تزويرُه وبُهتانُه .

وإذْ بانَ الفَرْقُ ، وظَهَرَ الْحَقّ ، فأثْقَلُ الثَّلاثَةِ ، بَعْدَ ما يَشْتَرِكُونَ فيهِ مِن الدَّناءةِ والْخَبـاثَـة ، هو الرَّقيب الرَّاصِد ، الَّذي هو العَدُوّ الحاسِد ؛ فَلْنَصْدَعْ[٢٢] بالْحُكْمِ العادِل ، بين الرَّقيبِ والعـاذِل ، فنقول إنَّ الرَّقيبَ أثْقَلُ منهُ لوجوهٍ عديدة ، بين قَرِيبةٍ وبَعيدة :

أوَّلُهـا : وهو أعْضَلُهـا[٢٣] ، أنَّ ثقَلَ الرَّقيب على كاهِـل الْمُحِبّ والْحَبيب ، بِخِـلافِ الـلاَّئِم ، فعَادِيَتُهُ[٢٤] عائِدَةٌ لِلهائِم ، يُعَنِّي الصَّبَّ أوّلاً بتعذيبـه ، وثـانيـاً بِشَجْوِ حبيبـه ، فيَصيرُ الثِّقلُ عليـهِ ضِعفاً ، والوَاحِدُ لدَيْهِ ألْفاً .

قَـالَ لِي : إنَّ رقِيبي ... سَيِّئ الْخُلْـقِ فَـدَارِهْ
قُلْتُ : دَعْنِي ، وَجْهُـكَ الْجَنْـ ... ـنَـةُ حُفَّتْ بِـالْمَكَـارِهْ[٢٥]

الثَّاني : أنَّ الرَّقيبَ يُنازِعُكَ الْمَحْبُوب ، ويُشَاطِرُكَ بلَحْظِه الغَرَضَ الْمَطلُوب ، والعَـاذِل إنَّما حظُّه تَسْفيهُ حِلْم ، وإرساء بزَعْمِه لِمَا هُوَ كالمهم .

---

(١٨) حَكَمَةُ اللِّجام : ماأحاطَ بحَنَكَي الفَرَس مِن لِجَامِهِ .

(١٩) الهَنَات : جمع الهَنَةِ ، وهي الخصلة السَّيِّئة .

(٢٠) أحالَ : جمع بين المتناقِضَيْنِ في كلامه .

(٢١) التَّخمين : الظَّنّ . والتَّدليس : أن يرويَ المحدّث عَمَّنْ عـاصَرَهُ مـالم يسمع منـه مُوهِماً سَمَـاعَـه ، أو أن يسمِّي شيخَـه بمـا لا يُعْرَف به .

(٢٢) صَدَعَ بالحكم : بيَّنه وجهر به .

(٢٣) عَضَلَ الأمرُ : اشتدّ وضاق .

(٢٤) العَادية : الشَّرّ والظُّلم .

(٢٥) معنى البيت مأخوذ مِن قوله ﷺ : « حُفَّت الجنّة بالمكارِهِ ، وحُفَّت النّار بالشَّهوات » صحيح مسلم : ٢١٧٤

قَـــالَتْ : رَقِيبي مُقْبِـــلٌ وتَبَرْقَعَتْ حَـــذَرَ الرَّقيب[٢٦]
فنَظَرْتُـــهُ فـــإذا بـــهِ مِنْ حُبِّهـا فَـوْقَ الَّـذي بِي[٢٧]

والثَّالِث : أنَّ الرِّقبَةَ إنَّما تكونُ عنـدَ الوِصـال ، وهِي أشَـدُّ لتقطيعِ الأوصـال ، والعـاذِل متَى حَضَر ، فأيُّ ضَرَرٍ مِنْ ضَرر .

وعُيُـونُ الـوُشـاةِ تُفْسِـدُ بـالرِّقْـ ـبَـةِ واللَّمْـحِ زَوْرَةُ الأحبـاب
فَمَتى يَظْفَرُ المُحِبُّ وتَشْفَى بالتَّداني مَضاضَةُ الاكْتِئـاب[٢٨]

الرَّابـع : أنَّ العينَ رائـدُ النَّفْس ، وهي مَقَرُّ الأُنْس ، واللِّسـانُ تَرْجُمانُ العقْـل ، وهـوَ مَحَـلُّ العَذْل .

نَظْرَةُ الرَّاصِـــد فِينـــا أثَّرَتْ لا رَقَتْ دَمْعَـهُ عَيْنِ الرَّاصِـدِ[٢٩]

والخامِس : أنَّ الرَّقيبَ عَدُوٌّ مُكافِح ، والعَذُولُ مُظْهِرٌ أنَّهُ صَدُوقٌ ناصِح .

فَقَدْ أطاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظاهِرُهُ

السَّادِس : أنَّ الرَّقيبَ شاهِدٌ مُتَسَلِّط ، والعذول قد يُباهِت ويُغْلِط[٣٠] .

ولَقَدْ وَصَفْتُ لعاذِلي مِنْ حُسْنِها طَرَفـاً فَـوَدَّ بـأنَّـهُ لَمْ يَعْـذِل
وعَصَيْتُـهُ فِيما مَضَى مِنْ عَهْـدِنـا وأنـا الَّـذي أعْصِيه في المُسْتَقْبَلِ

---

(٢٦) تبرقعت المرأة : غطّت وجهها بالبُرْقُع ، وهو قناع الوجه للمرأة .

(٢٧) وَرَدَ في حاشية الأصل هذان البيتان بخطٍّ مُغَايِر :

أُحِبُّ العَـــــذُولَ لتكرارِهِ حـــــديثَ الحبيب على مسمعي
وأهـــــوى الرَّقيب لأنَّ الرَّقيـ ـبَ يكـــــونُ إذا كانَ حِبِّي معي

(٢٨) المَضاضَة : الألم مِن وَجَعِ المصيبة .

(٢٩) (لا رَقَتْ دَمعتُـه) أصلُـه : لا رَقَـأت ، فسهّل الهمزة وحـذف الألف لالتقـاء السّـاكنين ؛ ورقـأ الـدَّمـعُ : جَفَّ وسكن وانقطع بعد جريانه .

(٣٠) باهَتَهُ : قاذَفَهُ بالبُهْتان ؛ وهو الكذب المفترى ؛ وبَهَتَهُ : أخذهُ بالحُجَّةِ فَشَحَبَ لونُه . وأغلطه : أوقَعَهُ في الغلط .

السَّابع : أنَّ الرَّقيبَ حَسُود ، والعاذِل بريء من الحقود ، وأيْنَ مَنْ يَتَنَفَّسُ عَنِ الْحَسَد ، مِمَّن يَتَنافَس[٣١] في الرَّأيِ الأفْسَد .

لَشَتَّانَ مابَيْنَ اليَزِيدَيْنِ في النَّدَى[٣٢]

الثَّامِن : أنَّ أمرَ العَذول مَشُوبٌ بحَلاوَةِ ذِكْرِ الْمَحْبُوب ، والرَّقِيب أُجاجٌ ليسَ فِيها مِزاج[٣٣] .

أجِدُ الْمَلامَةَ في هَواكِ لَذِيذَةً ... حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

التَّاسِعُ : أنَّ الرَّقيبَ غَيْبَتُه حَضُور ، وصَمْتُه مَحْذُور ، والعاذِلُ لا تَتَقاذَفُ بِهِ الْمَجاهِل[٣٤] .

عَلَيْكَ رَقيبٌ ثَقيلُ اللِّحاظِ ... مَتَى لَمْ يُحِطْ عِلْمُهُ يَخْرَسِ
أَنَمُّ مِنَ المِسْكِ للنَّاشِقينَ ... وأَلْحَظُ عَيْناً مِنَ النَّرْجِسِ[٣٥]

العاشِر : أنَّ العَذُولَ ناطِقٌ والنَّاطِقُ يُسْتَراحُ إلَيْهِ ، والرَّقيب صامِتٌ لاتَرى ولا تَدْرِي ما يَنْطَوي عَلَيْه .

أعْرَضْتُ عَنْهُ وَرُبَّ صَمْـ ... ـتٍ كانَ أبْلَغَ مِنْ مَقالَهْ

إلى غَيْرِ ذلكَ مِن الدَّلائل ، الشَّاهِدَةِ بفَرْقِ ما بينَ ثِقل الرَّقيبِ والعاذِل ، وأرْجَحُها في عِيارِ الاعتِبار ، عند مِسْبارِ الاخْتِبار[٣٦] ، قولُهم في الْمَثَل الْمَضْرُوب : « أَثْقَلُ مِن فَجْأةِ الرَّقيب »[٣٧] ،

---

(٣١) تَنافَسَ في الشَّيْء : بالَغَ فيهِ ورَغِبَ .

(٣٢) جاءَ في هامش الأصل : « هو شطران ، وتمامُه :

يزيدُ سليم والأغرّ ابن حاتم »

والبيت لرَبيعة الرَّقّيّ في ديوانه : ١٢٥

(٣٣) الأُجاج : ما يلذع الفَمَ بمرارته أو ملوحته . والمِزاج : ما يُمْزَج به الشّراب ونحوه .

(٣٤) الْمَجاهل : جمع الْمَجْهَل ، وهي المفازة لا أعلامَ فيها .

(٣٥) نَمَّ الشّيء : انتشرت رائحتُه .

(٣٦) المِسْبار : ما يُعْرَف به غَوْرُ الماء أو الجرح .

(٣٧) في مجمع الأمثال ١٥٨/١ : « أثقل من رقيب بين محِبَّيْنِ » .

ولم يَـأْتِ في الْمَنْقول ، مِنَ الْمَثَلِ الْمَقُول : « أَثْقَلُ من عَـذُول »[٣٨] ، وهـذا أَنَصُّ في البـاب ، عِنْـدَ أُولي الألباب ، فالْمَثَلُ - كما قيل - عِلْمٌ مُتَداوَلٌ على الأيَّام ، والقَوْلُ بِهِ ماضٍ عند أربابِ الأحلام ؛ فإنْ قيلَ : فَقَد قيلَ في الْمَثَلِ الصَّادِق : « أَثْقَلُ مِن واشٍ على عاشِق »[٣٩] ؛ قُلْتُ : إنَّما ذلِـكَ رَقِيبٌ شاهِد ، فَقَد رأيْتُ الواشِيَ دائراً بينَ اللَّقَبَيْن ، وآخذاً بطرَفٍ مِن كِلا السَّبَبَيْن ، فمَتى غلَب أحدُهمـا عليـه ، نُسِبَ إليـه ؛ وأمَّا بِما هُوَ واشٍ ، فـأمرُه عنـدَ الْمُحِبِّ مُتَلاشٍ ، لأَنَّ لحظَـهُ خَلْس ، وثِقْلَـه نَفْس ، وإنَّما جُمْلَـةُ اعتِمادِه ، على إصـدارِه في التَّزويرِ وإيرادِه ، وحَسْبُ الْمُحِبِّ مـا يَرُوم ، ودَعوا القِيامَةَ أنْ تَقُوم .

ولله دَرُّ أبي جعفر بنِ الأبَّار ، فَقَـد جرى مع الطِّرْفِ[٤٠] في مِضْمار ، وفسَّر سُنَّتَـهُ في الرُّقَبـاء ، فأشْرَقَهُم بـالمـاء ، وأَخِـذَتْ عليهم فُروجُ الْهَواء[٤١] ، ولو كانَتْ لَهُمْ هِمَم ، أو سَما بِهِم كَرَم ، مـا طَرَف لَهُمْ في الرِّقبـةِ بعـدَهـا طَرْف ، ولا تقـدَّمَ لَهُمْ بِهـا قَـدَم ؛ أستغْفِرُ اللهَ أنْ تكـونَ عنـدَ الْمُحِبِّين مِن مَكارِه ، وهي عنـدهم مِمَّا يُخـارُ فيـهِ للعَبْـدِ وهـو كارِه ؛ ولْنَثْنِ عِنـانَ الْمَقـالَـةِ ، خـوفَ الإسهـابِ والإطالة .

هذا ماسنَحَ في القَضيَّة ، مِن الوُجوهِ الْمَرْضِيّة ، ولَعَمْري إنَّـه لَحُكْمٌ يَعْضُـدُه شـاهِـدُ الـذَّوق ، ويـؤيِّـدُه الاختِبـار في مَقـامـاتِ الْمَحَبَّـةِ والشَّـوْق ، وإنْ كنتُ في جـوابي كالْمُسْتَبْضِـعِ إلى صَنْعـاءَ وَشْياً[٤٢] ، والْمُدَّعي في بَني ثُعَلٍ رَمْياً[٤٣] ، والْمُهْدي إلى بُورانَ بِنْتِ الْحَسَنِ حُلَلاً وحَلْياً[٤٤] .

(٣٨) جـاء في جمهرة الأمثـال ٢٣١/٢ : « أثقـل من العـذول » عنـد شرح أبي هـلال العسكريّ للمثـل : « مَن لاحـاكَ فقـد عاداك » .

(٣٩) لم أجد المثل فيا رجعت إليه من كتب الأمثال .

(٤٠) الطِّرْف : الكريم من الْخَيْل .

(٤١) يشير المؤلّف إلى أبيات لأبي جعفر أحمد بن الأبّار الإشبيليّ ، أنشدها له المقّريّ في النّفح (٤٧٧/٣) ، ومطلع الأبيات :

زارَني خِيفَـــةَ الرّقيبِ مُريبــا   يَتَشكّى منـــه القضيبُ الكثيبــا

وفي الأبيات إطرافٌ في إقذاع !

(٤٢) استْبضع الشيء : جعله بضاعةً . والوَشيُ : نوعٌ من الثّياب الْمَوْشيّـة (المزينـة) ، واليَمَن مشهورةٌ بصناعتهـا ؛ والمثل المشهور : « كمستبضِع التّمر إلى هَجَر » وانظر مجمع الأمثال (١٥٢/٢) .

(٤٣) بنو ثُعَل : حيّ من طيّئ مشهورون بالرّمي ، وهم الذين عناهم امرؤ القيس بقوله (ديوانه : ١٢٣) :

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَـــلِ   مُخْرِجٍ كَفَّيْـــهِ مِن سُتَرِه

(٤٤) بُوران بنت الحسن بن سهل : زوج المـأمون الخليفـة العبّاسيّ ، وانظر خبر دخـول المأمـون بهـا في كتـاب (الـذّخـائر والتّحف) للقاضي الرشيد بن الزبير (ص : ٩٨ - ١٤١) ، طبعة مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٤ م .

فَحُسْنُ الإغْضاء ، كَفِيلٌ بالصَّفْحِ عَنِ القَضـاء ، والرِّفْقِ بـالاقتِضـاء ؛ جعلَني الله وإيّـاكَ مِمَّنْ عَمَرَ قلبَـه الْحُبُّ الشَّريفُ الفـاضِل ، الّـذي لاتتطرَّق إليـه رِقبـةُ رقيب ولا مـلامـةُ عـاذِل ، ومَـلأَ جوانِحَنا مِن الشَّوقِ إليه ، بما يُطَيِّبُ لنا القُدومَ عليه .

على أنَّ الرَّقيبَ في كلِّ حـالٍ مَلوم ، وعلى كلِّ لسـانٍ مَـذمـوم ، فقـد قيـل : مَـذْهَبُ القَـوْمِ الْخَلْـوَة[٤٥] ، حتَّى إنَّهم يَرَوْنَ أنَّ اللَّحْمَ الَّـذي بينَ الجِلْـدِ والعَظْمِ رقيبٌ مُـزاحِم ؛ فيـا للهِ مـاأثْقَـلَ الرَّقيبَ على كلِّ مُحِبٍّ هائِم ، وأعدى فُنونَه ، وأهْنَأَ العيشَ دُونَـه ﴿ وَإِنْ تُخْفُوهـا وَتُؤْتُوهـا الفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُم ﴾[٤٦] ، « حَتَّى لاتَعْلَمَ شِمالُه مـاأنفقَتْ يَمينُـه »[٤٧] ، « إلاَّ الصَّوم فهو لي وأنـا أجزي به »[٤٨] .

ومِنْ شَرِّ الرُّقَبـاء ومِنْ جِنـايَتِهِمْ مُـوافَقَـةُ الرِّيـاء ، الَّـذي هُـوَ الشِّرْكُ الأصْغَر[٤٩] ، والـوِزْرُ الأكْبَر .

أعاذَنا اللهُ مِن جِناياتِ الرِّقبـة ، وحَمانـا شَرَّ الفِتْنَـة ، وجعلَنـا من عبـادِه المخلصين ؛ والصَّلاةُ والسَّلامُ على مولانا محمَّد وعلى آله وأصحابه السّادات الكرام ، والثِّقات الأعلام .

انتهى بحمد الله تعالى

---

(٤٥) يريد بالقوم : الصّوفيّة .

(٤٦) من الآية (٢٧١) من سورة البقرة .

(٤٧) من قول النبيّ ﷺ : « سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه .... ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم يمينه ماتنفق شماله ... » صحيح مسلم : ٧١٥

(٤٨) من الحديث القدسيّ : « قال الله عز وجل : كلّ عمل ابن آدم لـه إلاّ الصّيام ، هو لي وأنا أجزي بـه ... » صحيح مسلم : ٨٠٦

(٤٩) من قول النبيّ ﷺ : « إنّ أخوَفَ ماأخاف عليكم الشِّرْك الأصغر » قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرِّياء ... » مسند الإمام أحمد ٤٣٨/٥

فهرس القوافي

التوشيح

الفهرس